



# **IBN—E—ZAIDUN'S CONTRIBUTION TO ARABIC PROSE**

**Thesis Submitted For the Degree of  
Doctor of Philosophy  
IN  
ARABIC**

**BY  
MOHAMMAD AHMAD**

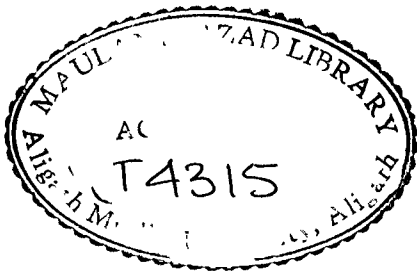
**Under the Supervision of  
Dr. Mohd. Zahoorul Haq**

**DEPARTMENT OF ARABIC  
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY  
ALIGARH (INDIA)**

**1992**



T4315





# مساهمة ابن زليون في النثر العربي

البحث لنيل شهادة الدكتوراه  
في اللغة العربية وآدابها

الباحث

د

المشرف

الدكتور محمد طه رالحق

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الإسلامية علم

١٩٩٢

## فهرس الموضوع

مقدمة

الباب الأول —

صفحة

1

تأريخ النشر العربى فى الاندلس

2

النواع النشر الاندلسى

2

نشر الدارين

2

نشر الرسائل الخلقية والاجتماعية

2

نشر الرسائل الادبية

2

النشر الحياكى

2

النشر العامى

4

مميزات النشر الاندلسى

4

صور من النشر الأندلسى

الباب الثالث —

14

منايا الملوك والامراء باشابة اللغة  
العربية وبالعلم والعلماء

19

رغبة الاندلسيين الى كسب العلوم و  
الفنون

٤١

سجله الاندلسيين الى المشرق لكسب  
العلوم ومنافستهم اياهم

### الباب الثالث

٥٠

الحضارة الاندلسية

٥٢

المآلم

٥٣

الوزير

٥٤

الكاتب

٥٥

القاضي

٥٦

صاحب الشرطة

٥٦

الراى العام

٥٧

الفقهاء

٥٨

الحضارة الاقتصادية

٦١

الحضارة العمرانية

٦١

١. فرطية

٦٤

٢. اشبيلية

٦٥

٣. الحضارة الاجتماعية

صفحة	الباب الرابع
٦٩	تاريخ موجز لفتح الاندلس وامراتها
٧٦	عصر ابن زيدون
٧٧	الوالد بن جهور
٨٠	الوالد بن جهور
٨٢	عقوب بن عباد بن عباد
٨٣	مؤسس الاسرة لبي عباد الحاكمة باشبيلية
٨٥	العنصر بن عباد
٩٠	المعتمد بن عباد
٩٣	خريطة الاندلس الباب الخامس
٩٤	ترجمة ابن زيدون
٩٤	اسرته
٩٥	والده
٩٨	جده لأمه
١٠٠	مولد ابن زيدون
١٠٣	عوائل بنو عباد

صفحة

١٠٦

تعليمه

١٠٧

استاذته

١٠٩

ابن زيدون في قرحية

١٢٢

ابن زيدون في ظل الجب الوليه

١٢٦

البوكريين ذكوان

١٢٨

ابن زيدون باشيلية

١٣٦

ابن زيدون في ظل الحتمدين سبار

١٤١

حييته

١٤٧

محاسن ابن زيدون

١٤٩

سرعة المبدية

١٥٠

ولعه بالملذات واللاهي

١٥١

طبيعة ابن زيدون

١٥٣

صفامة الجسميه

## الباب السادس

١٥٤

ابن زيدون في سبارين العلم والادب

١٥٥

القروان الكوليم

صفحة

١٥٦

الحديث الشريف

١٥٦

الفقه

١٥٧

اصول الفقه

١٥٧

العلوم والفلسفة  
الطب

١٥٧

١٥٨

العلوم التاريخية

١٥٨

علوم اللغة والآداب

١٥٩

فلسفته في الحياة

١٦١

أشار ابن زيدون الأدبية

١٦٣

من الغزل

١٦٧

من الأخوانيات

١٦٧

المطامير الشعرية

١٦٨

الإهداء والاستهداء

١٦٨

مجالس الأئمة



صفحة

١٦٨

المناجاة

١٧٠

مأثور بن زيدون النشوية

١٧٢

النثر الوصفى

١٧٢

النثر النقدي

١٧٣

النثر التاريخي

١٧٣

النص الاول

١٧٤

النص الثاني

١٧٥

الرسالة الموزنية

١٧٧

تلخيصها

١٧٨

الإعلام ٢ التي ذكرت في هذه الرسالة

١٨١

شرح الرسالة الموزنية المشهور  
وشارحها

١٨٣

ابن نباته

١٨٤

الرسالة الحدية

١٨٥

تلخيص الرسالة الحدية

صفحة	
١٨٧	الموازنة بين الرسالة العزلية والحديثة
١٨٧	رسائلته إلى استاذة
١٨٩	رسائلته إلى المظفر
١٩٠	رسائلته إلى حميدة بركة عامر بن مسلمة
١٩٠	رسائلته إلى الفضل
١٩١	مكانته الأدبية
١٩٢	منزلته بين الكتاب
١٩٣	تأثير ابن زيدون برسالة الجاحظ
١٩٤	شرح رسائل ابن زيدون
٢٤٩ - ١٩٦	مقالاته
٢٥١ - ٢٥٠	خاتمة
٢٥٩ - ٢٥٢	المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

إن الأندلس قبل وطأتها أقدام كثير من ملوك  
الدول المجاورة وقد استقلت من مناجمها المخفورة الصنية  
الفطرية . لاخرى أقواماً من السبك والقوط وغيرها من  
الأقوام البائدة تعمل لأثارها وإنتاجها وإخراجها من حيث  
الزراعة والصناعة والفنون وغيرها . وإنتاجهم يعصبون  
ينهبون تراثها الفطرية . ولما نزلت أقدام العرب على الأندلس  
زاهم يهتمون بإخلاء مواهبها الفطرية في ميادين التجارة  
والزراعات والصناعات والفنون والآداب وغيرها من  
جميع شعب الحياة . فقد كانت إهتمامهم وإعتناؤهم أن جعل  
الأندلس مهوى العالم كله ، كما ترى طلاب العلم يشدون  
رحالهم إلى الأندلس لكي يستفيضوا من مناجمها الصافية  
ولذلك نبغ فيها كثير من الأدياء والشعراء والعلماء و  
الفضلاء والمؤرخين والجغرافيين والخويلين والكتاب والسراخ  
البارزين كما إرتفعت على المنزلة العليا من الزراعات و  
الصناعات وتزينت البلاد . ومن الأدياء البارزين كانت  
ابن زيدون الذي هو موضوعنا الأصيل لهذا البحث وستعلم  
إن شاء الله عنه بالتفصيل . وهذا يحسن بنا أن نذكره إجمالاً من  
حيث عصره وبيئته وعلمه وأدبه والاهتمام به لتحقيق آثاره .

لم يكد القرن الرابع الهجري يؤذن بالإنقضاء حتى كانت  
دولة بني أمية في الأندلس التي أرسى قواعدها عبد الرحمن  
اللاخل . ونهضت بسامقة بنائاً عبد الرحمن الناصر مسرحاً  
للإحطاط والفضى . فأشأ مملكة تناهت أيدى لم تحسن الحفاظ  
عليها . فالفرط ذلك إنتاج الذي طامازها في مفرق الدهر مجلاً

---

## ب

وعزة ومحنة. إلى ممالك وإمارات دعيت بدول ملوك الطوائف. وابن زيدون الذي هو موضوعنا الأصلي لهذا البحث. تفتحت عيناه في ذلك العصر ونبع فيه وعرج إلى سماء الشهرة.

إن بلاد الثقافة التي عرست في العصر الأموي ازدهرت وأنبعت في عصر الطوائف وساعد على ازدهارها التنافس القوي القائم بين ملوك الطوائف في البناء والإشاعة والتشجيع للحركة الفكرية والأخذ ببلد أربابها. ولذلك نجد كثيرين من ملوك الطوائف كانوا شعراء وأدباء وعلماء ومؤلفين. ومن بين هؤلاء ملوك الطوائف تجلّى مقام قرطبة في جميع شعب الحياة. ولقد بدأ سائر ملوك الطوائف كأصحاب أشيلية وطليلية وعريانة وبطليوس وراخون قرطبة في هذا المضمار.

ولاشك في أن أبرز ما اتسمت به الحقبة التاريخية الأولى من أيام العرب في الأندلس هو تأثر الأندلسيين بالمشاركة والأخذ منهم. وقد تتلمذ الأندلسيون لعلماء المشرق وظلوا متأثرين بهم زمناً طويلاً فكانوا يستقدمون أعلامهم ويجزلون لهم العطاء، كما كان طلاب العلوم والمعارف يشدون رحالهم إلى المشرق يتتلمذون لعلمائهم غير أن كتبهم وينقلون أسانيدهم. وطالما أنها فتوا على كتب المشاركة وبذلوا فيها أعلى الأثمان. ونراهم في أول الأمر حريصين على تقليد المشاركة في شعرهم وفنهم ومهنهم حتى أنهم يتلقون بألقابهم. ولكن الأمر انقلب من التقليد إلى المنافسة أو التحدي فقام كثير من

---

## ج

أعلامهم ينادون بالتخلص من هذه التبعية ويهتفون -  
بالاستقلال. نرى ابن بسام يؤلف كتابا المسمى "بالذخيرة"  
ليتحلى به "يتيمة الدهر" للبحالي. ويؤلف ابن زيدون  
كتاب "التبيين" في تاريخ خلفاء بني أمية بالأندلس مباريا  
فيه كتاب "التبيين" في خلفاء الشرق للمسعودي. وأيضا  
رسالته منافسا لرسالة الجاحظ المسماة "برسالة الترسيع  
والتدوير" ويؤلف أبو الفرج الجياني كتاب "الحلائق" منافسا  
به كتاب "الزهرة" للأصمعي. هذه حقيقة أن الأندلسيين  
أخذوا يتميزون عن السارقة ويحاولون التفوق عليهم.  
ولقد بلغت الحضارة العربية قمتها في عصر ملوك الطوائف  
كما بلغت الآداب العربية فيه نشأوا بعيا، وبدأت تستقل  
بمزاياه خاصة عن مصادرها الأولى بالشرق، وأمنفت إلى  
الداخلات العربية ذخائر طريفة وبخامة في الشعر. وفي هذا  
يقول ليفي بروفنسال المستشرق العظيم "كان عصر الطوائف  
عرفت فيه أسبانيا أكبر اشراق شعري من غير شك" ٢  
وكانت مع هذا يذكر ليجيردي مستقيم LEGIERE DE MISTEYME  
"حق علينا أن نقول إن العرب ولا سيما عرب أسبانيا هم أصل  
وينبوع كل معرفة في الطب والفلسفة والفلك والتعاليم  
التي بزعت في أوروبا منذ القرن العاشر فصاعدا" ٣  
طالب التاريخ يعلم أن الأندلس كيف أسهمت في بناء  
عجلها وعظمتها وكيف إندهرت وأينعت ثقافتها المتنوعة  
المتعددة وأثرت في جميع شعب الحياة. فكتب التاريخ خاصة  
بذكرها - حينما كانت أوروبا في جهالة عمياء. وقد اعترف  
هذه الحقيقة المؤرخون والباحثون والمستشرقون. حسنا الآن

---

شهادة إثنين من أفاضل علماء الغربيين أحدهما فرنسي والآخر من الإنكليز. يقول غوستاف لوبون. " كانت مراكز الثقافة في الغرب أبحاثاً يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم عن القراءة . . . . . مضت مدة طويلة قبل شعور أوروبا . بهجيتها ولم يبد ميلها للعلم إلا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من الميلا . فلما ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا عندهم ألفان الجمل ولوا وجوههم شطر العرب ، ولم تكن الحروب الصليبية سبباً في إدخال العلوم إلى أوروبا كما يظن على العموم وإنما أدخلت العلوم إلى أوروبا من أسبانيا وصقلية وإيطاليا له . ويقول لين بول . " ملك المسلمون ثلثي شبه الجزيرة وسموها الأندلس لتمييزها وأسسوا فيها مملكة قرطبة العظمى التي صارت أعجوبة القرون الوسطى وحملت مشعل المدنية والثقافة متألفة متوجهة في الغرب على حين كانت أوروبا غارقة في ظلمات الجهالة والبربرية فريسة للمنازعات والحروب : له وحسبنا ما ذكرنا من الأمثلة الكثيرة حول هذا الإعتراف . ولكن إلى جانب آخر يرى أوروبا تدعى بأنها الأصل في الاختراعات والابداعات في العلوم والفنون . وقد أنسوا أن الحرب قضوا قروناً ثمانية في الأندلس يرفعون لواء الحضارة ويبفون روائح العجالة ويشجعون الفنون وينهضون بالعلوم ويتفانون في جت النهضة في قلب أوروبا الجاهلة الشقية المحرومة المخزولة التي سرقت أجداد العرب ومدنيتهم ثم جردت فضلهم وأكرت أبا ديمه البيض على أوروبا المسكينة المحرومة يومذاك .

ويا للأسف أن هدمت منارة عظمة مسلمي الأندلس بأيدي اليهود والنصارى الظالمة العاصية فأحرقته مدنها وهدمت

جامعاتها وبيدت مكتباتها وشردت أهلها وقضت على آثار الحضارة فيها ظلم وجهلاً واستبداداً مما لا نسميه حركة التحرري لأن الشعب الأناطلي كان قد اختلط حينئذ بالشعب العربي وصار أهل البلاد شعباً واحداً. له خصائصه الفكرية والثقافية وكدت حركة التحرر لا تترادف الجهل والرجعية والوحشية ولا يعنى بها سفك الدماء وتمزيق الأشلأء هدم الجامعات وحرق المكتبات وإستباحة الأعراف وإنتهاك الحرمات والقضاء على شعب كبير له تاريخه وسماته وخصائصه في تاريخ الحضارة الانسانية وما أصدق ما يقول الشاعر الأناطلي .

قلت يوماً لارقوم تفانوا      أين سكانك الخزاز علينا ؟  
فأجابته هنا أقاموا قديلاً      ثم صاروا ولست أعلم أين ؟  
وها هو ذا أحد الشعراء الأناطليين يبكي ما ضاع من ثمرات الحقول  
والأفكار الإسلامية في الأناطس فيقول من قصيدة وجهها إلى  
بايزيد العثماني مستغنياً من ملك الروم وتنكيلاً بالمسلمين — و  
قضاؤه على تراجمه الفكرى :

وخان عهوداً كان قد غرنا بها -	ولصونا كرها لجنت وقسوة
وأحرق ما كانت لنا من مصاف	وظلها بالنزج أو النجاسة
وكل كتاب كان من أمر ديننا	ففى النار أبقوه بهوء وحقرة
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم	ولم يصحفاً يخفى به للقرأة

لكن نظن أن قصة مصرع المسلمين في الأناطس بأيدى  
الضاري الظالمه وقصة مصرع مسلمي الهند الحلايث وتقاربه في  
الأحوال . حيث حكم المسلمون على الأناطس قروناً ثمانية كما كانت  
نظام حكومة الهند بأيدى المسلمين إلى مرة طويلة . وكلتا الحكومتين  
لهبنا دونهما في بناء المجد والعظمة وتركنا ما أثر مجدها وعظمتها

ورفعتهم بالن تمحو عن صفحات التاريخ. نحت فلم أن المسلمين قد قتلوا أشنع قتلة أو اضطخوا في دين مسيحي حتى لا يبقى فيها أحد من المسلمين الذين كانوا منارات المجد والعظمة والرفعة. وكذلك نرى حالة مسلمي الهند في عهدنا هذا إن الطبقة البرهمنية من الهنداكا قد تسلط على أمر الهند وقد عرمت بفتك المسلمين وإخراجهم عن موطنهم وإجلاء ما أثرهم العظيمة المنقشة في أنحاء الهند. وكما أخبرنا أن وفداً من الهنداكا المشردة مشتملاً على أربعين رجلاً كان قد ذهب إلى الأندلس ليطالع كيفية إخراج المسلمين عن الأندلس. وقد سمعنا أن هذا الوفد قد رجع بعد إنفاذ تجاربه المأخوذة عن النصارى. أو لا أشار في مله سائر الهنداكا نار الحقد والبغض للمسلمين. وقد فاز هذا الوفد الضال والمضل في غايته كما لاحظنا في إيفلام المسجد الباجري يوم السادس من ديسمبر سنة ١٩٩٢ م

وذلك اليوم صراع الجمهورية والعدلية والحكومية. حتى أننا رأينا مساعدة الحكومة البرهمنية لتلك القوة الفسطائية. وما اكتفت هذه القوة الفسطائية على إيفلام المسجد الباجري فقط. بل قتل آتدفت من المسلمين أشنع قتلة وانتهبت أموالهم وأحرقت بيوتهم وركابيتهم وهدمت مساجدهم. فهذه هي حالة مسلمي الهند التي نتقارب من حالة مسلمي الأندلس في الماضي. موضوع بحثي للكتابة هو "ما أثر ابن زيدون في النثر العربي"، وفلم أن ابن زيدون يتعلق بالأندلس التي أسست للعالم كله مناهج العلوم والفنون ومهدت له سبل الصناعات والاختراعات. فقد إهتم كثير من الأدباء والعلماء والباحثين بتأليف كتبهم القيمة حول ما أثر الأندلس المتعددة المتنوعة.



وإنما اخترت هذا الموضوع "مآثر ابن زيدون في النثر العربي" لأنني كنت مولعاً بدراسة الأدب، مآثرها الحميدة وفضائلها المتعددة الرائقة منذ سن شعوري. وبذلك كنت اخترت موضوع البحث للحجرات في الفلسفة "جوانب النثر الأدبي في القرن الرابع والخامس للهجرة! لقد علم أن هذين العصرين كانا على منتهى عظمتهم ورفعتهم في جميع شعب الحياة وابن زيدون كان متعلقاً بهذا العصر الزاهر وله حظ وافر في إزدهار العلوم والفنون والآداب.

إن الباحثين قد عثروا بتحقيق مآثر العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وخاصة سبق في مجال التحقيق المستشرقون. ولكننا نراهم ينوون في تحقيقهم وبحثهم بحيث يدخلون فيها من عندهم أشياء تدل على نقائص العرب ومعتقداتهم. كتاب جورج زيلان "التميز الإسلامي" الذي كان ملوئاً بالافتراء والكذب على معتقدات المسلمين رد عليه العلامة شبلي الخماني. وأشار إلى افتراء المستشرقين على المسلمين واعتقالاتهم حيث يهدفون إلى أربعة أمور منها أن المستشرقين يجدون عملاً صريحاً إلى الافتراء والكذب لإفلاح معتقدات المسلمين الصالحة. وثانياً أنهم يعمدون الوثائق الخاصة بحيث تعتبر من أساس الثقافة الإسلامية. وثالثاً هم يحرفون في نقل الاقتباسات بحيث يلتبس به معنى غير صحيح. ورابعاً هم يستدلون من مصادر غير ثقة له ولا شك في أن جورج زيلان ودوركي وكوندرا و مسيوليبيان وغيرهم من المستشرقين سبقوا في مجال الافتراء والكذب. ولكن مع هؤلاء المستشرقين والكذاب نجد فيهم عدواً وإن كان عددهم قليل مثلاً استألف بول واسكات وغوستاف لوبون

## ح

وليت بول نستطيع أن نعلم من الباحثين الثقات .

ومع هؤلاء المستشرقين قد إعتنى كثير من الباحثين العربيين وغيرهم في هذا المجال و ألفوا كتباً كثيرة وأتوا براهين تدل على أجاد الأندلسيين العظيمة ومفاخرهم الحميدة وما أثره الرفيعة المتنوعة المتعددة . نراهم يستفيدون عن المخطوطات المحفوظة في مكتبات الغرب ويستخرجون عنها كنوزهم المسروقة على أيدي النصارى الطامعة مثلاً " لفخر الطيب " للمقرئ حقه ودونه الدكتور احسان عباس وأطبعه من مطبعة بيروت .

هذا الكتاب من أهم مصادر اللغة العربية وآدابها . وقد استعان فيه المقرئ بمصادر عديدة صناع معظما . ولكن من عيوب هذا الكتاب أن مادته العلمية غير منسقة فالمؤلف يتنقل فيه من فن إلى فن وليستطرده من خبر إلى خبر وقد يهود إلى ما به أه علة مرات ما يسبب للباحثين مشقة وعناء .

هكذا كتاب ابن سعيده " المغرب في حلى المغرب " حقه شوق ضيف وطبع من مصر سنة ١٩٥٣ م . ألف هذا الكتاب في القرن السادس الهجري . نرى المقرئ صاحب لفخر الطيب يرجع لتأليفه إلى هذا الكتاب . ونجد ابن سعيده مؤلف المغرب يستفيد عن تأليف اسلافه مثلاً تأليف أحمد بن محمد بن موسى المسمى " بالمسهب " وكتاب ابن غالب <sup>٥</sup> المسمى " بفرجة الأنفس " وكتاب ابن حيان <sup>٣</sup> المسمى " بالمقتضب " وكتاب رقيق القيرواني المسمى بتارخ أفريقيا والمغرب " وكتاب ابن حزم الأندلسي <sup>٤</sup> المسمى " بنقط الحروس في توارخ الخلفاء " وكتاب الملاحى <sup>٦</sup> المسمى بتارخ غرناطة وكتاب ابن الفرضى <sup>٧</sup> المسمى بتارخ علماء الأندلس

<sup>١</sup> المتوفى سنة ٣٤٤ هـ المتوفى في أواخر القرن السادس

<sup>٣</sup> المتوفى سنة ٤٦٩ هـ هو كان مؤرخ القرن السادس للهجرى

<sup>٤</sup> المتوفى سنة ٤٥٦ م <sup>٥</sup> المتوفى سنة ٦١٩ هـ <sup>٧</sup> المتوفى سنة ٤٠٠ هـ

وكتاب الحميدى له المسمى بجذوة المقتبس " و " تراجم علماء الأندلس " وكتاب ابن بشكوال المسمى " بالصلة " فقد ألف ابن سعيد كتابه مستفيداً عن كتب هؤلاء المؤلفين .

وبعض من الكتب المذكورة قد طبعت الآن جلد الفحص و التحقيق مثلاً كتاب ابن الفريسي تاريخ علماء الأندلس فلاحقه وعلقه عزرة الخطار وطبع من مصر سنة ١٩٥٤م وهكذا كتاب ابن حبان " المقتبس " حققه الأب مشور وطبع سنة ١٩٢٧ م وكذا كتاب ابن عبد ربه " العقد الفريد " عن تحقيقه ثلاثة من أدباء مصر البارزين وهم أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري . وكتاب أبي عبد الله محمد الراشدي المعروف بابن عذاري له " البيان المغرب في أخبار المغرب " قد نشر جزءيه المستشرق دوزي في مطبعة بريل بمدينة ليدن جدا التحقيق . وجزء هذا الكتاب الثالث فقد نشر العلامة ليفي بروفنسال في باريس سنة ١٩٣٠ هـ . وتأليف لسان الدين بن الخطيب " له " أعمال الاعلام " حققه العلامة ليفي بروفنسال ونشره في المطبعة الجديدة برباط الفتح سنة ١٩٣٤ هـ

ومع هذه العناية بتحقيق الكتب عن الباحثون بترجمة الكتب مثلاً ترجم كتاب دوزي جلال محرز ومختار عبادي وسماه " تاريخ مسلمي أسبانيا " و ترجم حسين مؤنس كتاب آتخل جنبشالت بالسيا وسماه " تاريخ الفكر الأندلسي " . وكذلك ترجم الدكتور صفاء خلوص كتاب رينولد نكلست وسماه " تاريخ الفكر الأندلسي " وكذلك جلد المحققين والمؤرخين قد ألفوا كتباً كثيرة حول موضوع الأندلس الزاهرة في آدابها المتنوعة وما أثرها المتعددة مثلاً

كتب عبد المنعم خفاجة كتابه باسم " قصة الأدب في الأندلس " وكتب جودت ركابي كتابه باسم " في الأدب الأندلسي " وعمر فهد خ كتابه باسم " تاريخ الأدب العربي المجلد الرابع " والكتور احسان عباس كتابه تاريخ الأدب الأندلسي " وسباعي بلومي كتابه " تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي " وموسى سليمان " القصص عند العرب " وسعد زغلول " تاريخ المغرب " وأحمد أمين " ظهور الإسلام " المجلد الثالث . فهذه الكتب كلها تعد من أهم إنتاجات الفكر الأندلسي .

وهكذا يرى الباحثين الهناريين والبالستانيين يهتمون اهتماماً خاصاً حول تحقيق مآثر الأندلس الإسلامية وقد أتوا بكتب قيمة لا تعد ولا تحصى مثلاً صنف في لغتنا الأردنية السيد سليمان النادوي كتابه على خط العلامة شبلي الشامي . ولذا نوه رياست على النادوي بذكر مآثر الأندلس الإسلامية وكتب تاريخاً مستنلاً . ونواب ذوالقدر جنك وعبد الفتوي صنياء . وفي عهدنا الحاليث استاذنا المؤقر الدكتور محمد ظهوري حفظه الله الذي مهد لنا سبل التحقيق في هذا المجال . إستفادنا عن كتابيه " ابن عبد البر " مآثره وبيئته وعلومه " و " خريف السارية و بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر حقه علق عليه الاستاذ الدكتور محمد ظهوري الحق . ومن نفس الاستاذ الشفيق المشرف بي على الدكتوراه مباشرة ، تارة في حل مخوف من العبارات في المتن وتارة بالإشارة إلى المصادر الأصلية . وكذلك استفدنا كثيراً من كتاب الدكتور اشفاق احمد النوروي " اسبين بين كلجر " (ثقافته العرب في الأندلس) حول مراجع مآثر الأندلس الأصلية .

وللخشي كتاب على عبد العظيم الذي كان معيناً لنا على كل قلام من تجزية الآراء والأقوال المختلفة في المصادر العربية وفي جمع الآثار النثرية في مكان واحد ولم يكتف به هذا بل أشار إلى مراجعها الأصلية. وهذا الكتاب مفيداً حول موضوع ابن زيدون. ونظرة هذا الكتاب حول هذا الموضوع للانظر له ولا مثيل. وللخشي إحسانه علينا بأنه طبع الغوص كله الذي لا عيناه كثيراً من العنت والعناء في البحث لأن معظم مقتبسات المصادر مسبوكة وكثيراً ما يطغى السجع والمحسنات البديعية على المعنى فيلتبس الأمر على الباحثين. كما يقول ابن بسام في الخلاصة في ترجمة ابن زيدون: "كان أبا الوليد صاحب منشور ومنظوم وخاتمة شعراء مخروم أحد من جرائم جبال وفات الثام طراً وصرفت السلطان لفعلاً وضراً .... " له

ويروي ابن عذاري نقلاً عن ابن حيان مقالته في ترجمة المهتد بن عباد: "ذو الأنباء البديهة والحوادث الشنيعة والوقائع المثيرة والهمم العالية والسطوة العجيبة فرماه الله بسهم من مراميه المصمية أحد ما كان في اعتلائه وأرقى ما كان في سماءه. ويتحدث لسان الدين ابن الخطيب عن ملوك الطوائف في تاريخه لهلم " ..... وتوسلت إليهم الفضلاء وهم ما بين محبوب، وبربري محبوب، ومحب غير محبوب وغفل ليس في الراء بحسب .... " له

موضوع بحثي "آثار ابن زيدون في النثر العربي" قسمت هذا البحث في ستة أبواب:

الباب الأول يحتوي بتأريخ النثر العربي في الأندلس وأنواعه ومبادئه وصوره.

الباب الثاني يحوي ذكر رعاية الملوك بإشاعة اللغة العربية وبالعلم والعلماء ورغبة الأندلسيين إلى كسب العلوم والآداب ورحلتهم إلى المشرق لكسب العلوم والفنون ومناقشتهم إياهم .

والباب الثالث يحيط بالخصائص الأندلسية الحضارة السياسية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية .

والباب الرابع يشتمل على تاريخ أمراء الأندلس وعصر ابن زيدون وأمراء عصره

والباب الخامس يشتمل على ترجمة ابن زيدون وأسرته ووالده وحده لاسه وعوامل بؤسه وتعليمه وأساتذته وتمكنه على المناصب العالية في ظلال أبي الحكم بن جهور وإبنه أبي الوليد في قرطبة وفي ظلال المحتضد والمعتد بأشبيلية . وحبهم مع ولادة بنت المستكفي وحاسنه .

والباب السادس يحيط بمساهمته في ميادين العلوم والآداب وآثاره وأدبه ويأتي تحت هذا الباب آدابه وآثاره الشعرية موجزة وآثاره النثرية مفصلة في صور رسائله وغيرها .

يظهر من أجوبة الثلاثة الأولى ليس لها علاقة بموضوع البحث الأصلي ولكننا نظن أن لها علاقة قوية بالموضوع . إن الأجوبة الثلاثة الأولى تحيط بذكر تطورات النشر الأندلسي وأنواعها ومبادئها وصورها لكي تتفهم أمانة الصورة الوضحة والنزلة الصحفية حينما نبث عن مساهمة ابن زيدون في النشر العربي . ولذلك لا بد لنا أن نذكر عوامل إبراز اللغة العربية وآدابها . فذكرنا رعاية الملوك الأمراء والأندلسيين العامين

ومنا فستهم بالمشاركة . وهكذا ذكرنا الحضارات الأندلسية  
من حيث الاقتصادية والسياسية والعمرانية والاجتماعية ليس  
بخالك عن الفاشلة . بل أننا نرى أن هذه الحضارات ساعدت في  
بناء تلك الأمجاد في جميع شعب الحياة .

وجده هذه الأبواب الثلاثة اتينا بتاريخ موجز لأمر  
الأندلس وذكرنا عصر ابن زيدون بالتفصيل وقد أتينا بذكر  
حياة ابن زيدون بالتفصيل في ظلال أمراء قرطبة واشبيلية  
وبعد ذلك انتقلنا إلى ترجمة ابن زيدون وأمرته وأسائره  
وعوامل بنو غنم وصداقته وحبه ما لاقاه من بهجة وسرور في  
شطر من حياته وحافاساه من عنقه وضيق في شطر حياته الآخر  
وجده انتقلنا إلى أدبه وآثاره من فنونه الشعرية والنثرية  
وأتينا بأمثلة عديدة شاملة . وقد جمعنا في هذا البحث جميع  
مآثره ورسائله النثرية التي وجدناها في كتب التاريخ . وأخيراً  
ذكرنا منزلة ابن زيدون بين الكتاب والأدباء المشرقين والمغربين .  
استقلنا للكتابة هذا البحث عن المصادر القديمة كما مساعدتي  
الكتب الحديثة في اللغة العربية والإنجليزية والأردية في  
كتابته . والكتب التي ذكرنا من المصادر القديمة استقلنا عنها  
كلها ما يمكن الوصول إليه . خاصة لفخ الطيب للمقري والذخيرة  
لدبنة لبسام وقصة الأدب في الأندلس لعبد المظم فقاجة و  
تاريخ الفكر الأندلسي لداخلي خبثاثة بالنيا . وتاريخ القصة والنفقة  
لسباعي بيومي . وتاريخ العرب الأدبي لعمر فروغ . وتاريخ الأدب  
العربي للملاكتور احسان عباس . وتاريخ آداب العرب لمصطفى  
صادق الرفاعي . وتاريخ الأدب العربي لإبراهيم أبو الخشب

## ن

وتاريخ العرب الأديب لريو لانكلسن. وابن زيدون عصره  
وحياته وأدبه لعلى عبد العظيم وديوان ابن زيدون محقته  
وشرحه على عبد العظيم وديوان ابن زيدون مع دراسة  
لقضيلية للشاعر لنديم مرعشلى وابن زيدون لشوقي ضيف  
وغيرها المصنفات الكثيرة المطبوعة

ههنا أن نذكر إشارة الأستاذ <sup>ربيع الدين</sup> الذي ذكرنا  
وقت المناقشة للحاج سترغت الفلسفة أن نلحق خريطة الأنلس  
فقد زينت هذا البحث بخريطة الأنلس القديمة ولم نجد عند  
الجغرافيين أى خريطة حديثة تقارن بأسماء الأنلس -  
الإسلامية القديمة

ولابد لنا أن نذكر من معاناة في سبيل إعداد  
هذا البحث. تعترض هذه المقاساة أمام كل باحث هندي. عناه  
تصعب له المراجعة الى المصادر الأصلية لأنا قليلة أفقودة  
في بلاد الهند. ولا يتحمل البادش النفقات الوسيعة في سبيل  
البحث والتحقيق. وخاصة إذا لم يجد المذقة الدراسة. وهذه المسئلة  
اعترضت أمامنا لذلك لن ندعى بأن هذا البحث قيم من كل جهة  
وللتيق بهذا الادعاء. فكل ما هو فيه خير فهو من عناية استاذي  
الدكتور محمد ظهور الحق وما فيه من نقص فهو لتقصير من عندنا.  
معونة مشكورة: وأخيراً علينا أن نلقى كلمات الشكر للذين ساعدوا  
في إعداد هذا البحث. لا ننسى أولاً إحسان استاذنا الدكتور محمد  
ظهور الحق حفظه الله الذي كان يساعده من أول يوم، التحقت  
بالجامعة الإسلامية على كره بالبحث على مطالعة الكتب وبالإشارة  
إلى المصادر القيمة. فإنه هي عنايته البالغة التي سهلت لنا

---



# س

تحقيق شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها والماجستير في الفلسفة وهكذا استمرت عنايته علينا أن قدرنا على أن نعرض البحث للدكتوراه. فها أنا شاكر له شكرًا جزيلًا بكل أعماق قلبنا وأدعوا الله له دوام الصحة والعافية.

وكيف ننسى ألفت أساتذتنا الدكتور الاستاذ عبد الباري والدكتور الاستاذ محمد راشد النديوي ولداشك في أن لنا دظًا وافراً في تثقيفنا وتدريبنا في سبيل أصول التحقيق وجمعها المشكورة سرًا لنا سبيل حصول التعليم في هذه الجامعة.

وللله لنا أن نشكر لأصدقائنا الحميمين أن لولا كانت معادنتهم لصعب لنا إعداد هذا البحث في هذه الصورة منهم الأخ أظهر احسن الملاحى الذي كتب هذا البحث بخطه الجميل والأخ فحي الدين ساحب الملاحى والأخ راشد رافع والأخ محمد ساحب والأخ الظهركمال فانا لشكرهم جميعًا من أعماق قلبنا.

وأخيرًا علينا أن نذكر لطف والدينا وإخواننا لوما كانت مساعدتهم لما يتيسر لنا الدفاعة في هذه الجامعة فلكل من هؤلاء الرجال المذكورين. جهود مشكورة. أدعوا الله لجميعهم دوام الصحة والعافية.

والله

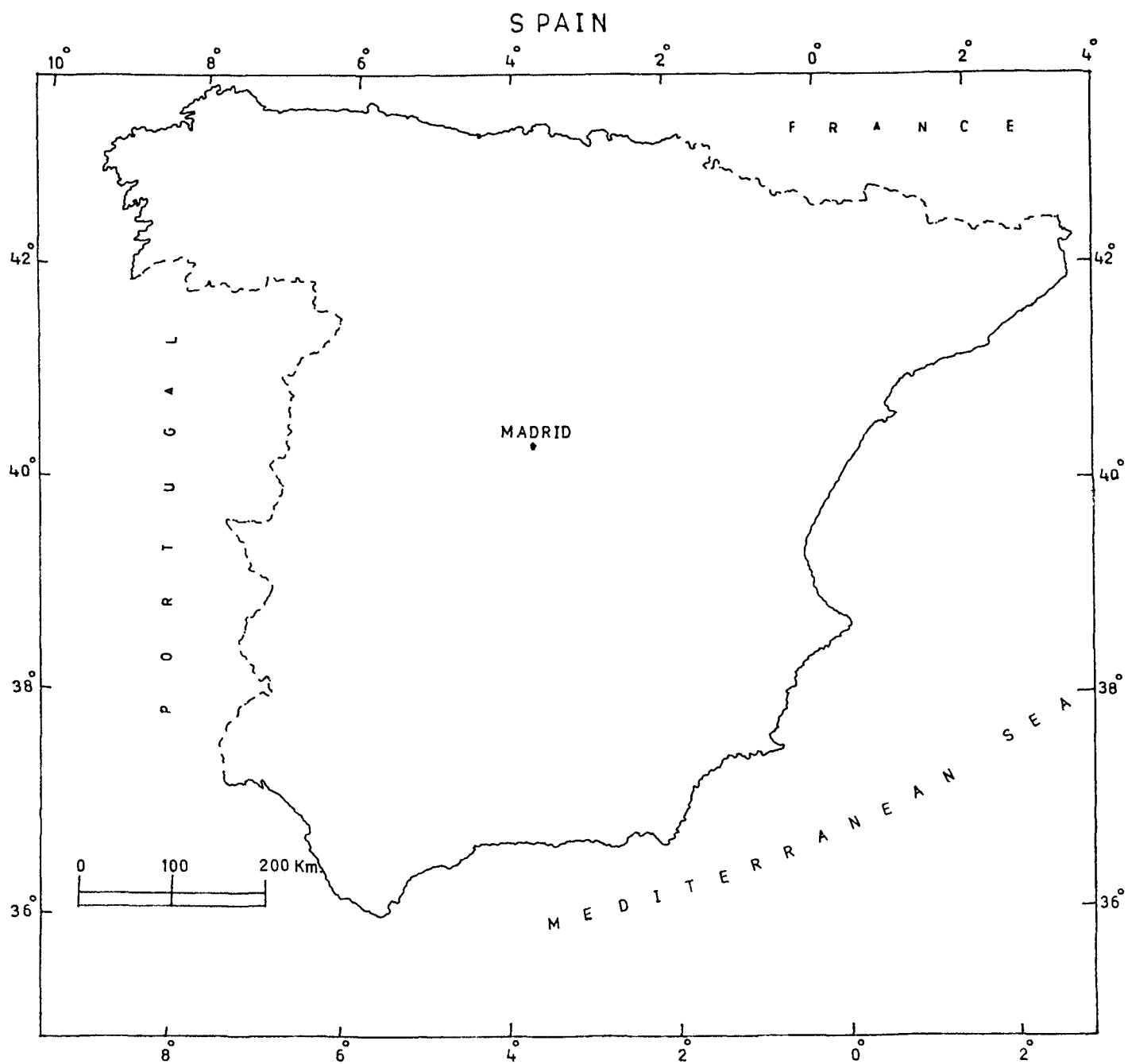
محمد احمد

٢٠ ديسمبر ١٩٩٢م

١٧٨ عثمانية أير

اليس اليس مال نارتھ

الجامعة الإسلامية علي كرا



# الباب الاول

(١) تاريخ النشر العربي في الاندلس

(٢) انواع النشر الاندلسي

(٣) مميزات النشر الاندلسي

(٤) صور من النشر الاندلسي

# الباب الأول

## تاريخ النثر العربي في الأندلس

النثر الفني مظهر من مظاهر الحضارة والرقى العقلي، وأثر من آثار العناية بالمخاطبة، يقصد فيه إلى جودة العبارة وسلاسة الأسلوب، حتى يجد القاري من اللذة مثل ما يجده من يستمع إلى الشعر الجيد، فهو من مظاهر الجمال، وقد اقتصر في القرن الأول من دخول العرب الأندلس على ما تقتضيه الأحوال من الخطب والرسائل الإدارية والسياسية لضبط أمور الدولة واستعمال الحماسة في أرواح الجند لأن ميدان الحياة الاجتماعية والسياسة لم يكن قد استقر واتسع، فلم يساعد على نمو ملكة الكتابة الفنية في الموضوعات الخيالية والاجتماعية. ثم اتسع المجال للنثر الفني فشمل الموضوعات المعروفة لدى المشاركة، وابتكر الأندلسيون ما لم يكن شائعاً هنالك، فشملت رسائلهم مدح الخليفة والتهنئة والشوق والعنا والوصف كوصف المحافل والجالس والرياح والأزهار والأنهار والكلاب والتعازي والأحاديث والقصص والمناظرات الخيالية بين بلدان الأندلس أو بين السيف والقلم وكتبوا في التوسل إلى الله وإلى الرسول والتصوف والزهد والتقوى.

بعد أن تغلب العرب على شبه الجزيرة دخل في حكمهم آلاف المسيحيين من كل جهة فتحوها، فعاش أولئك المسيحيون في كنف المسلمين وأحسنّت الحكومة معاملتهم ومنحهم الحرية الدينية وكثيراً ما رفعهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك. فاعتنق كثير منهم الإسلام وافتتن ببحارته وثقافته.

كما يقول دوركا " بعد الفتح الإسلامي اعتنق كثير من المسيحيين دين الفاتحين - ففرضه لهذا المنافع من جهة واقتناعهم بشأن الدين الإسلامي هو الدين الحق من جهة أخرى. فقد جلدوا فلسفتهم في نظرية الصراع - يعتقدون أنه حيث تكون القوة يكون الحق ، ويقولون بملكهنة " لو كانت المسيحية حقاً فلماذا أسلم الله بلادنا وهي مسيحية لشعبة دين غير صحيح " له . وكما نرى " المنارد " كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع للميلاد يولول في أوائل ذلك العصر شاكياً من أبناء دينه انكبابهم على مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوتى المسلمين وفلاسفتهم - لا يقصد تنفيذها - بل رغبة في التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربى رشيق وصحيح . له

نجد اللغة في عهد الولاة الفاتحين وهو ما يقرب من نصف قرن ، كانت حالها في المغرب أشبه شئ بحالها في المشرق . فان القوم هم القوم ، ولم يجد في أمرهم ما هو جدير بأن يؤثر في حال اللغة ولا استحدثت جديد لها ، فاللغة قوية فطرية ، أسلوبها مرسل وألفاظها جزلة بريئة من تكلف البديع ومحائنها بعيدة من تحمق المناسفة . وفي زمن بني أمية وملوك الطوائف انتشرت اللغة بين أهل البلاد على اختلاف أجناسهم وملتهم . فكان الأندلسيون يقتفون أثر المشاركة في أساليب الكتابة لأنهم رأوهم أمثمتهم في صناعة الكلام ، وكان النثر أول عهد العرب بالأندلس سهلاً جزلاً لا تكلف فيه ولا أثر للصناعة اللفظية إلا ما يجئ منها عفواً

## انواع النثر الأندلسي : - حسبنا أن نذكر كما ذكر صاحب

١	قصة الأدب في الأندلس ، عبد المنعم خفاجه	ص ٢٢٤
٢	" " " " " " " "	ص ٢٢٣
٣		

قصة الأدب<sup>١</sup> أن للنثر الفني (الأندلسي) أنواعاً كثيرة أهمها .

(١) **نثر الدواوين** : وما هو يصدر عن الملوك والأمراء في تحريف شئون الدولة وأعمالها، أو يصدر عن الكاتب بإرشادهم وتوجيههم، وكانوا إذا علت لديهم مرتبة الكاتب وناب عن الأمير أو الخليفة لقب بالناجب وهو أشرف الألقاب في الدولة، وكان اسمه الوزير يطلق على كل من يجالس الملوك ويختص بهم، وأما الذي يتوب عن الملك في سياسة الدولة فكان يلقب (بداي الوزراء) ويكون غالباً من أهل الأدب .

(٢) **نثر الرسائل الخلقية والاجتماعية** :- ويتناول البحث في شئون الناس وأحوالهم، وما يكونوا عليه من خلق فاضل وعادل، ومحبة وسلام .  
(٣) **نثر الرسائل الأدبية** :- وهو ما يصدر من الكتاب والأدباء متناولاً أغراض الشعر من مدح وعتاب وتهنئة ورثاء وصف ونحوها، ومصوراً عواطف الناس وأهواءهم في حياتهم الخاصة والعامة .

(٤) **النثر الخيالي** :- ويقصد به الترفيه عن النفس بما يلد قرأته من القمص الموضوعة، وهو ما نسميه الآن النثر الروائي . وهو أنواع فمنه ما يتناول شرح الحقائق في أسلوب قصصي خيالي، كرسالة ابن شهيد المسماة بالتوايح والزوايح، تناول فيها جبهة من الأدباء، فعرض حوراً من شعرهم ونقدتها، ومنه ما يتناول الأمور الخيالية كالمنظر بين السيف والقلم، والمنظر بين بلدان الأندلس، ومنه ما يتناول الموضوعات العامة الإجتماعية والفلسفية على شكل قصص .

(٥) **النثر العلمي** : وإن كان الأدباء لا يعدونه من النثر الفني ولكن الأندلسيين لما أبدعوا في الفن وإساليبه، ونفقوا عباراته، صبح أن يعد عندهم من النثر الفني، قلنا الحقيان، ومطمح

الأنفس ونفخ الطيب تؤيد ذلك .

ولما ظهر ابن العميد وحلبته في الشرق ، أخذ عنهم الأندلسيون طريقته في الكتابة فغلب على نثرهم الصناعة المنطقية والتزم فيه السجع ، حتى أصبح من خواص النثر الأندلسي ولأدبه بالمشيقات والاستعارة والكنائية واشتياؤه من المحسسات البديعية .

## مميزات النثر الأندلسي

- (١) كثرة الوصف لمظاهر الكون
  - (٢) غلبة الخيال الشعري على محانيهم
  - (٣) كثرة المناظرات والمحاورات الخيالية بين القلم والسيف والرياح والحزيف والمدن والأنهار والأزهار
  - (٤) إلتهام الإطناب في الرسائل السلطانية .
  - (٥) قلّة الخلو والمبالغة في تعظيم الملوك والأمراء كما كان المشارقة يفعلون . ومع ذلك ظل النثر الأندلسي محافظاً على عريته ووضاحته لم تفسده العجاجة إلى جلاء المسلمين عنها .
- والآن نخب أن ندكر محوراً من النثر الأندلسي لكي يتضح أمامنا صورة المتديمة :

**صور من النثر الأندلسي :** وصف عبد الرحمان الداخل فداره من بطش الحباسيين فقال ، إنني لجالس يوماً في ظلمة بيت تواريت فيه ، لرمد كان بي ، وابن سليمان ، بكر ولدي ، يلعب قدامي ، وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها ، إذ دخل الصبي من باب البيت فازعاً باكياً ، فأهوى إلى دجري فجعلت ادفعه لما كان بي ، ويأبى إلا التعلق وهو دهش يقول ما يقوله الحميان عند الفرع ، ففرجت أنظر ، فإذا بالمرور قد نزل بالمقربة ، ونظرت فإذا بالرايات السود منطلقة ، وأخ لي

له كما في رسالته ابن برد الأصغر في تفصيل الورد ( بحواله بلاغة العرب : أحمد صيف

في الأندلس . من : ٥ - ١٦١

حدث السن كان محي يشتهد هارباً ، ويقول لي : " النجاة يا أخي ،  
فهذه الوايات المسودة " فضربت بيدي إلى دنائرتنا ولتها ونجوت  
بنفسي ، والحبى أخى محي ، واعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقتمدي  
وأمرتهن أن يذهبنني ومولاى بدر معهن ، وخرجت فكنت في موضع  
ناء عن القرية ، فلما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت  
بالدار ، فلم تجد أثراً ، ومضيت ، ولحقني بدر ، فأتيت رجلاً من  
محارقي بشرط الفرات ، فأمرته أن يبتاع لي دواب ما يصلح لسفري  
فلما على عبد سوء له ، فلما عينا إلى جليلة الخيل تحفزنا ،  
فأشتد دنا في الهرب ، وسبقنا حمار إلى الفرات ، فرمينا فيه بأنفسنا ،  
والخيل تنادينا من الشط : ارجعوا لأبائنا عليكم " فسجبت حاتاً لنفسي  
وكنيت احسن السبح ، وسبح العلامة أخى ، فلما قطعنا نصف الفرات  
قصر أخى ودهش ، فالتفت إليه لأقوى من قلبه ، وإذا هو قد  
أخفى إليهم ، وهم يخذعون من عن نفسه ، فناديت " تقبل  
يا أخى " ! إلى الله ! " وإذا هو قد اغترباً ما منهم وخشى الغرق . فاستعجل  
الافتلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، وبجضهم قد هم  
بالتجرد للمباحة في أشرى ، فاستفكتهم أصحابه عن ذلك ، فلوكوني  
ثم قد مو الحبى ، أخى ، الذي صار إليهم بالأمان ، فضربوا عنقه  
ومضوا برأسه ، وأنا أنظر إليه ، وهو ابن ثلاثة عشر سنة  
فأحتملت فيه تكلماً لأنى مخافة ، ومضيت إلى وجهي أحسب  
أنى طائر ، وأنا ساع على قدمي ، فلدجأت إلى غيضة أشبه  
فتواريت فيها حتى الفطح الطلب ، ثم خرجت هارباً أروى المغرب  
حتى وصلت إلى افريقية .

وحين اشتد الكرب بين يدي يوم حربه مع الفهري  
قال : " هذا اليوم هو أساس ما يبني عليه ، إما ذل الدهر ، وإما



عن الدهر، فأصبروا ساعة فيما لا تشتهون، ترجوا بها بقيه أعماركم فيما تشتهون" وله خطبة حين عرضت عليه إمارة الأندلس وفند من السكان أنتى معه، فتأثلاً: "أجمع المسلمون المصادقون على انتخابك أميراً للجزيرة، فيسلك أن تبني فيها ملكاً مشيداً الأركان، مولد الدعائم، على أساس أقوى من الجبال، محتمداً على عزائمهم القوية، وطاعتهم المصادقة، لا ريب أن ستجد مقاومة وبجس خمر، ولكنك لست وحدك بل بجانبك قتيان أشداء من أنباء من فتحوا العرب، وشعوب ترغب فيك وتدعوك إليها، ونحن جميعاً نهب إلى الوغى، لنبدل الأرواح في سبيل ارتقاك إلى عرش الإمارة التي تلقى مقاليدها إليك، وتحفظ بنياتها من أن يشلم."

فسكت عبد الرحمن حينها يتوقع منه أن يتم خطابه، لكنه شعر أن الوقت ينتظر إجابته فخطبهم بقوله: أيها السراة الأمجاد! إجابة لرغائكم، وسعيًا وراء أمانكم في إصلاح شئون مسلمي إسبانيا، أذهب معكم، بأذى النفس، في سبيل الدفاع عن هذه الغاية الحميدة، فإذا صدقت عزائمكم ودامت طاعتكم وفتح الله لنا باب الفوز، رأيتم مني أنا صادقاً يقاسمكم الشقاء والمهناء ويعلم الله لا أخشى الشدائد ولا أهوال الحروب، ولا أرهب الموت الأحمر فملا عركني الدهر وعركته، وكثيراً ما ركبت متون الأخطار على حداثة سني، وإذا كان ما يدعوني إليه هو غيبة مسلمي الأندلس الأشراف، فأنألبى نداءهم وأقبل أن أكون أميرهم وحامي دمارهم إن شاء الله هكذا نرى سلاسة اللسان في خطبة طارق ابن زياد التي ألقاها أمام الجند بعد احراق السفن. لا حاجة لنا أن نذكرها في هذا البحث ليرجع طالعها في كتب التاريخ.<sup>٢</sup>

ابو عامر بن عقال الذي كان أديباً شاعراً كاتباً من كتاب بنو قاسم من ملوك الطوائف، ولما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، فكان كاتباً نشأته، ذكره صاحب قصة الأديب في الأندلس في كتابه مودة إنشاء ابن عقال "كتب به عن الأمير ابراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمس مائة. في الساعة الناشية من يوم الجمعة، كان يوم جواره (أيلاه الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد دل بجد استصحابه، وسهل بجد أن رأى الشماخ من حضابه، وصارحيه ميئاً، وهذره صمئاً، وجباله لا تترك فينا عوجاً ولا أمئاً، وضعف تعاطيه وعقل السلم بين موجه وشاطئه، فحبر آثام من سلوانه، متمسكاً لمصواته، على جواد يقطع الجروف لمحا، ويكاد يسبق الريح سبجاً، لم يحمل لجاماً ولا سرجاً، ولا عهد غير الدجة الخضراء مرجاً، عنانه في رجليه، وهلاب العين يحكي بعض شكله، قلبه دره من جواد، له جسم وليس له فؤاد، يفرق الهواء، ولا يرهبه، ويركب الماء ولا يشربه<sup>١</sup> وهناك نستطيع أن نذكر صوراً من فن النثر العلمي التي ذكرها عبد المنعم خفاجة في كتابه حيث ذكرت تحت باب ما يميز فيكون له معنى، فإذا لم يميز كان له معنى آخر. من كتاب "المختصر" <sup>٢</sup>

"يقال: قدر واث في الأمر، وقد رويت رأس بالاهن. وقد تملأت من الطعام والشراب، وقد تمليت الحيش: إذا عشت ملياً أي طويلاً، وتقول: قد تخطأت له في هذه المسألة، وقد تخطيت القلندر، لأنه من الخلوة، وقد قرأت القرآن وما قرأت الناقة سلاقط، أي لم تلق ولذا، أراد أنهما لم تحمل، وقد قرئت الضيف وقد سوأت عليه ما صنع، إذا قلت له: أسأت وقد سويت الشئ. والعرب تقول: إن أُميت فموبني، وإن أخطأت فخطئني، وإن أسأت فسوبني على. وقد نأب الشئ يخبثوه خبثاً. وقد خبت النار خبواً: إذا ذهب لهيبها، وقد برأت من المرض

<sup>١</sup> قصة الأدب . من ٢٦٨ - ٢٦٩

<sup>٢</sup> صاحبه أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللخوي الضرير المعروف بابن

امراً برعاً، فلا يرى القلم، وقد بارأت شريكى — إذا خارقته — وقد  
بارأ الرجل امرأته، وباريت فلاناً إذا كنت تفعل ما يفعل، وفلان يبارك الريح  
سقاء.

ومن كلام أبي عمرو أحمد بن عبد ربه القطبى له صاحب "الحقل الفريد" في  
مقدمة كتاب الأجابة: "هي أصعب الكلام كله مركباً، وأعزه مطلباً، وأعنفه  
مذهباً، وأضيقه مسلكاً، لأن صاحبه يجعل مناجاة الفكرة، واستعمال القرينة  
يدوم في بلاجه نقيض ما أبرم القائل في رويته، فمما لمن أخذت عليه  
الفجاج، وسالت عليه المخارج، وقد اعترض الأسنة، واستلاف  
المرامي، لا يدري ما يقترح به فيتأهب له، وما يفجئ من خصمه  
فيقرعه بمثلته، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بهجاء الكلام،  
فخلاه بزمامه بعد أن رد حافيه واحتفل، وجمع خواهره واجتهده،  
وترك الرأى يخب حتى يختمر، فمما كرموا الرأى الفطير، لما كرهوا  
الجواب اللبري، فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه حتى إذا  
المعان شارده، وسكن نافذه، صك به خصمه جملة واحدة، ثم  
قيل له: أجب وقد تخطى، واسرع ولا تبطئ! فتراه بجواب من  
غير أمانة ولا استحلال، يطبق المعامل، وينفذ المقاتل، كما يرى  
الجنل بالجنل، ويقزع الحليد بالحليد، فيحل به عاره،  
وينقص مراثيه ويكون جوابه على أكثر كلامه كسحابة  
لبست عجابة، فلا شئ أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز  
من الخصم الذي لا يحيا يقترح صاحبه ويصرع منازعه، كمثل  
النار في الحطب الجزل." له

وكما ذكر ابن بسام في كتابه "الذخيرة" حيث يقول: "وأما ولادة  
التي ذكرها ابن زيادون في شعره، فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله  
الناصري، وكانت في ساء زمانها، واحدة أو أنها حصور شاعداً، وعزارة أو أوبة،  
وحسن منظر ومخير، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة مشدحاً لحرار  
المسر، وفناؤها ملعباً لآبياء النظم والنثر، يعيش أهل الأدب إلى صوء  
عزيتها، ويتها إلى أعزاد الشجراء على —

حلاوة عشرتها إلى سهولة وجانبها وكثرة مشابها، تخلط ذلك بجلو  
 بصباب، وكرم أنساب وطهارة أثواب. على أنها - سمح الله و  
 تغمد زللها - طرحت التدصيل، وادجبت إلى القول فيها السبيل، لقلّة  
 مباليتها ومجاهرتها ببلداتها. كتبت - زعموا - على أحد عاتق ثوبها:  
 أنا والله أصلح للمعالي : وأمشى مشيتي وأتبعه فيها  
 وكتبت على الآخر :

امكن عاشقي من لشه خلد : وأعطى قبلتي من يشتهيها  
 هكذا وجدت هذا الخبر، وابتأ إلى الله من عمدة ناقله، وإلى الأدب  
 من غلط النقل إن كان وقع فيه... ١

ومن رسالة لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفيلسوف  
 صاحب كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، ذكر في وصف أهل  
 قرطبة: "كان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات و  
 الإلهام على كثير من الفقه، والبصر بالدخو والشعر والمفظة  
 والخيرو والذهب والحساب والنجوم، بما كان رجب الفناء واسج العطن  
 متفاني الأقطار فسيح المجال". ومنها في ذكر مواد العلوم: "وأما المذهب  
 فكتب الوزير يحيى ابن اسحاق مشهورة، وهي كتب حسان رفيعة وكتب  
 محمد بن الحسن المتدجى استاذنا رحمه الله تعالى وهو المعروف  
 بابن الكنانى، وهي كتب رفيعة حسان، ٢

ومن رسالة التوايح والزوايح لأبي أحمد بن أبي مروان بن  
 شهيد حفيد ذي الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن شهيد وزير  
 الناصر ٣. "كنت أحن إلى الآداب، وأصبوا إلى ثاليف العلم، غابتعت  
 الدواوين وجلست إلى الأسانيد، فنبض في عرق الفهم، ودرلى -  
 شريان العلم. وقليل الالتماح من النظري يؤيدني، ويسير المطالعة  
 في الكتب يفيديني، إذ صادف شئ العلم منى لبقته، ولم أكن

١ الذخيرة لابن سام قصة الأدب من ٢٧٤-٢٧٥

٢ قصة الأدب من ٢٧٦

٣ المتوفى سنة ٤٢٦ هـ

كالشبح تقتبس منه نارا ، ولا كالحمار يحمّل أسفارا ، قد منست  
شجرة العلم دراكاً ، واعلقت أرجل طيره اشراكاً ، فانتالت لي العجائب ،  
وانماالت لي الرغائب ، وكان لي أوائل مبعوثي حوى اشتد له كلفي ، ثم  
لاحقني بعض ملل في أثناء ذلك الميل ، فاتفق أن مات من كنت أهواه  
مدة ذلك الملال ، فجزعت ، وأخذت في رشائه فقلبت ،

تولى الحمام بظبي الخدور . وفاز الردي بالخرال الخريز  
إلى ان انتهيت إلى الاعتذار من المل الذي كان فقلت .

وكنتم مللتك بلا عن قلى . ولا عن فساد ثوى في الضمير  
فارتج على القول فاداً أنا بفارس بباب المسجد على فرس أدهم كأنما يعقل  
وجمله ، متداتك على رمدته وحاح بي : أعجزاً يا فتى الناس ؟ فقلت :  
لا وأبيك لكلام احيان ، وهذا شأن الإنسان فقال : قتل بعدة .

كمثل ملال الفتى المنحيد . إذا دام فيه ، وحال السرور  
فأثبتت إجازته وقلت . بأبي من أنت ؟ قال زهير بن نمير من أشجع  
الذين . تصورت لك رغبة في احدطفائك . قلت اهلاً بك أيها الوجه  
الومناح . صادفت قلباً إليك مقلوباً وهوى يتولى مجنوناً وتجادشنا  
وتنه أكرمت معه اخبار المذهباء والشعراء ومن كان يالفهم من التوابيح  
والزواج .. له

حسبنا ما ذكرنا حورا من النثر الأندلسي المتديمة . سنبعث إ شاء الله  
بالتفصيل حينما نذكر ترجمة ابن زيدون ومآثره النثرية .  
فخلاصة ما ذكرنا في الصفحات السابقة تحت ارتقاء النثر العربي —  
بالأندلس نستطيع أن نذكر ما يلي : وهو أن لكثرة المحفوظ عند الأندلسيين  
وعنا يتمم بجميع العلوم الإسلامية ظهرت في كتاباتهم عدة اقتباسات  
من الكتاب الحكيم والسنة النبوية ، إلى عدة تضمينات من الشعر  
العربي والأمثال ، وقد بالغ بعضهم في هذا النوع ، ولعل ابن زيدون .

فارس هذه الحليمة ، ففي رسالتيه الجديدة والمهزلية العجيب العجيب ، مما أطل بعرض الألسنة بأنه لم يفعل في ذلك أكثر من جميع شتات أمثال وحكم . وكذلك كثرت الإشارة إلى الحوادث التاريخية والأيام العربية ، وغلب بعضهم فيه غلوًا شديدًا . بل بأس بأن نقول إن من بحاسن كتاب الأندلس هو عدم الحفل بقيود البدء والمختار ، ولا المتأنيب التعظيم التي كان يذمهمها المشاركة تقليدًا للفرس ، فكان لكل من الخليفة والسلطان والعالم والمناخي والخطيب ونحو هؤلاء لقب خاص به ، ما أنزل الله به من سلطان واد جاء في لسان العرب الأواشل ، كما أنهم لم يخلفوا بأنواع الدعاء وتنويعها ، ولا صيغ التعظيم وتفنيمها ، وإنما كانوا أقرب شتى إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها .

ففي ضوء ما ذكرنا نستطيع أن نقول . إن أدباء الأندلس عمنوا بمحاكاة أدباء الشرق واتباع طريقتهم أولاً ، ثم دأب الترف في النفوس والحقول كمادب في الاجتماع ، ويمشي هنالك نوع جديد من التفكير ، وظهرت آثار الثقافة العلمية والفنية ، وتهدبت الأفكار ، وذهبت الحقول ، بما تمثل من علوم وفنون ، وانتشرت مظاهر الحضارة في الدجاس والجامع . فامتأرت نفوس الكتاب بشتى الموضوعات التي وسعت من أخيبتهم ، وهذببت من إدراكهم ، وأكسبتهم صبغة فنية ، وبما كان من إبهة الملك ، ووجعت المباني الضخمة والقصور الفخمة ، ومظاهر الترف ومجالس الخلفاء والأمراء . فكان ذلك من العوامل الجديدة في نمو ملكة الكتابة ، فنشأ عن ذلك : النثر الإشائي الفني ، واشتمل على كل مظاهر الحياة العلمية والاجتماعية ، فكتب الكتاب رسائل في المراسلات والأوصاف والسياسة والمناظرات الخيالية ، والمناقشات العلمية والقصص الاجتماعية والخيالية ورسائل الاستعطاف والهذباء المملوءة بالحكم والأمثال ، والرسائل الفكاهية ، وكتبوا على ألسنة البطلان والحيوان

وكتبوا في الدعوات والإرشاد والتوسل إلى الله ، وفي شجائر الحج ، كما كتبوا في الزهد والتموّه ، وكما كتبوا في المجون ، فبرعوا في النثر .

وممن كتب في الاستعطاف والهدجاء ابن زيدون ، وممن كتب في القمص والفكاهات ابن شهيد . وممن كتب المناظرات بين السيف والقلم ابن برد الأصغر ، كما كتب أبو بحر حفص بن إدريس في المناظرة بين بلدان الأندلس ، وكتب ابن طفيل في القمص الفلسفية ،

كانت كل كتاباته بأنواع المجاز من استعارة وتشبيه ، مما لا تكاد تخلو جملة منه ، حتى كانت هذه الصناعة المنطوية بديمه أدل ما يقتضون إليه من أغراض الكتابة الفنية ، ويوجهون إليه همهمة . وكان هذا الأسلوب الفني في جملة أرق الأساليب وأجملها في تلك الأيام ، وكانوا أحياناً يتكفون في كتاباتهم فتخرج وكأنها شعر مصنوع ، سجع ملتزم ، حتى في الأسلوب العلمي والمكتابة التاريخية .

على أن المكتابة في الأندلس لم تقتصر على كتابة الدواوين والرسائل ، فميرة كانت أو طويلة ، مسجعة أو مرسلية ، في الحشق والأهراق أو في الدم الموم أو في المدح والاستعطاف بل شملت كل شئ في الاجتماع هناك وكانت منظرًا لتلك المدنية ، والحالة السياسية العقلية والعلمية .

وهنا نحب أن نذكر شيئاً في إظهار الأندلسيين ما في حناجرهم كيف كانت مساهمتهم في اشاعة اللغة العربية وآدابها . حسبنا أن منذ ما نقله خفاجة<sup>١</sup> في كتابه نكي يتخج أمامنا لغة الأندلسيين على اختلاف طبقاتهم ومشاركتهم في تنميتها . يقول باحث<sup>٢</sup> : وكان كلما مضى الزمن على الفتح ، ونزع العرب في الأندلس إلى الترف ، والفوا سكنى المدن ، لانت جلودهم وأستهم ، وبعد عهدهم

<sup>١</sup> قصة الأدب حد ٢٢٢

<sup>٢</sup> له منجد اسمه . ع

بالخطوة العربية ، فإنمازات لغة حديثهم عن لغة كتابتهم ، وصار  
إلى العربية ما يصيل إلى اللغات حين يفقد أهلها ملكاتهم . من تحريف  
أو تدهيف ، وإهمال للاعراب ، واشتقاق على غير القياس العربي ، واستعمال  
كلمات من الذخيل ، واختلاف على نبر الحروف ولهجة النطق .  
وكذلك الشتان في خلطاء العرب ، من البربر وأهل البلاد ، إذ خلطت  
في ألسنتهم لغاتهم واللغة العربية ، فنشأت ألسنة ليست من هذه  
ولا من تلك ، وحدثت منهم أساليب في العربية يحكون بها أساليب  
لغتهم التي درجوا عليها ، وهكذا حتى تألفت لغة جديدة تعمل سمات  
اللغات الأولى لهؤلاء المتخاطبين ، وتلك هي التي تسمى «اللغة العامية»  
وهذه العامية تحتاج إلى أن من في تكوينها ، وتعام بنائها ، وتأصل  
ملكاتها ، لذلك نراها في بلاد الأندلس قد حارت كذلك بعد حين ،  
فغلبت على الألسنة حتى لا يستطيع العالم النحوي ، الذي وعى علم  
العربية ، وحفظ تشواهداها وفضل مسائلها أن يقيمه لسانه لحنًا ، ذكروا  
ذلك عن الشلو بيني<sup>له</sup> ، قال صاحب نفح الطيب في معرض الكلام على  
علم النحو : « والنحو عندهم في نهائية من علو الطبقة ، وإن كان كلامهم  
الشائع في الدواجن والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ،  
حتى إن شخصًا من العرب لو سمع كلام الشلو بيني أبي على المشار إليه  
بجلم النحو في عصره ، الذي عربت تصانيفه وشرقتها ، وهو يقرأ درسه ،  
لمضحك ببل فيه من تسلة التحريف الذي في لسانه ، والخاص  
منهم إذا تكلم بالاعراب ، وأخذ يجرى فيه على قواعد النحو ، استثقلوه  
استبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والداخلات



## الباب الثانى

(١) عناية الملوك والامراء باشاعة اللغة العربية وبالعالم والعلماء

(٢) رغبة الاندلسيين الى كسب العلوم والآداب

(٣) رحلة الاندلسيين الى المشرق لكسب العلوم والفنون

ومنافستهم اياهم

## الباب الثاني

### عناية الملوك والأمراء بإشاعة اللغة العربية وبالعلم والحماء

كان الملوك في الأمس أدباء وشعراء يتدقون الأدب ويقضون الشعر، والأديب أعرف بقيمة الأديب، والشاعر آنس بالشاعر، فكانوا الهذا يتنافسون في تعبد الأدباء وإثابة الشعراء ويبالغون في إكرامهم وإجزال العطاء لهم. كان عبد الرحمن الداخل شاعراً أديباً كما ذكرنا حصولاً من نثره العربي، وكان ابنه هشام أديباً وكان المستنصر عالماً أديباً، وكذلك كان بقية الخلفاء والموزراء والملوك كإبن أبي عامر وملوك بني الأفطس والمعتضدين والمعتزدين وابن جهور وغيرهم. ولقد يكون من فرط عناية بعض هؤلاء الملوك بالأدب واعتدادهم بالشعر أن يستوزروا وزيراً إلا أن يكون شاعراً أديباً كما نرى في تاريخ مسلمي الأمس. ولقد قيل إنه لم يجمع من فنون الشعراء وأمراء الكلام بباب أحد من ملوك الإسلام ما اجتمع بباب الرشيد والصاحب بن عباد والمعتزدين هذا وكان بحضوره مثل ابن زيدون وابن اللبانة وابن عماد وابن وهب وغيرهم. وفي هذا الاهتمام من جانب الخلفاء والملوك ما فيه من بعث المهمة واستمحاء القرائح والنفوس بالشعر والأدب.

فلأجاس بأن نقول إن الملوك في الأمس عناية شديدة بالعلم والعلماء فغلبت الرحمان بن الحكم<sup>١</sup> كان مثلاً في تكريم العلماء ورعاية الثقافة وإشاعة اللغة العربية وهو الذي قدم زرياب<sup>٢</sup> إلى الأمس في عهده. ويروى أن عبد الرحمن كتب إلى عماله على السبلاد بأن يحسنوا إليه ويوصلوه إلى قرطبة، فلما أنزلوه في قصر مشيد جعل له مائة دينار في العام ولكل واحد من بنيته

١ (٢٠٦ هـ — ٢٢٨ هـ) مدة خلافته

٢ مؤسس الموسيقى بالأمس.

الأربعة عشرين ديناراً . و لعبد الرحمن قمصن تدل على كرم وسخاء  
 في رعاية العلم والعلماء . وفي عهد عبد الرحمن الناصر أنشئت  
 المدارس والمكتبات العامة وكان دائب الدواب على العلماء والسؤال  
 عنهم ومجالستهم . وهنا يجب أن نذكر مثلاً من التاريخ  
 والذي يتضح إكرامه ورعايته بالعلم والعلماء . هذه الحكاية ذكرها  
 عبد المنعم خفاجة في كتابه " حكي الفقيه أبو القاسم بن مفرج قال :  
 كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم من كبار العلماء المالكية  
 في عهد الناصر لدين الله رحمه الله تعالى . فيمن يختلف إليه  
 للفتنة والرواية فأتى لعنده في بعض الأيام في مجلسه بالمسجد  
 المشوب لأبي عثمان الذي كان يملئ به قروب داره . ومجلسه حافل  
 بجماعة الطلبة وذلك بين الصلاتين - إذ دخل عليه فصي من  
 أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلم وقال له :  
 يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبتاه الله فان الأمر خرج فيك وها هو  
 قاعد ينتفرك وقد أمرت بإعجالك فالله الله ! فقال سمعاً  
 وطاعة لأمر المؤمنين ولا عجلة ، فارجع إليه وعرفه - وفقه الله -  
 عني انك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى مع طلاب الحديث  
 اسمهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسه  
 يقيدونه عني ، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود  
 لهم في رضا الله وطاعته ، فذلك أوكد من مسيرك إليه الساعة ،  
 فإذا انقضى امر من اجتمع إلى من هؤلاء المحققين في ذات الله ، الساعين  
 لمرضاته ، مشيت إليه إن شاء الله تعالى ، ثم أقبل على شأنه  
 ومضى الخصى يهينه متحاجراً من توقفه ، فلم يترك إلا ريشماً أدى  
 جوابه ، وادصرف سريخاً ساكن الحيش فقال ! يا فقيه أنهيت قولك  
 على نفسه إلى أمير المؤمنين أبتاه الله فأصغى إليه ، وهو يقول

له ( ٣٠ هـ — ٣٥ هـ ) مدة خلافته

له قصة الأدب . من ١٩٤ — ١٩٥

لك : جزاك الله نيراً عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وامتعه بك ! وإذا أنت أوعيت فامض إليه راشداً إن شاء الله تعالى ، وقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقض شغلك وتمضي معي . فقال : حسن جميل ، ولكنني أضعف عن المشي إلى باب السدة ويصعب على ركوب دابة لشيوختي وضعف أعصابي ، وباب الصناعة الذي يقرب إلى من أبواب القصر المكرم أحوطي وأقرب وأرفق بي ، فإن رأى أمير المؤمنين أبده الله أن يأمر بفتحه لأدخل إليه منه هون على المشي ، وودع جسمي ، وأحب أن تهود وتنتهي إليه ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه ، وكذلك تهود إلى ، فاستأخرت حتى تشديداً ، فكان على الخير محيئاً . ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه : قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت إليك وأمرت بملازمة ذلك منذ أرى باليهود عند فراغك وقال : افعل راشداً . وجلس الفاضل جانباً حتى أكمل إبراهيم مجلسه بأكمله وأفسح ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق ، فلما انفضأ عنه قام إلى داره فأصلح من شأنه ، ثم مضى إلى الخليفة الحكيم فوصل إليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقاءه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد لإغلاقه على أثر خروجه . قال ابن مفرج : " ولقد حمدنا في تلك العشية إشرقياً مناعن الشيخ أبي إبراهيم المروسي بهذا الباب الجهود اغلأته بدير القصر الذي تجشم الخليفة له فوجدناه مفتوحاً كما وصفه الفاضل وقد حفره الخدم والأعوان منزعين ما بين كناس وفرش ، متاهبين لا نتظار أبي إبراهيم<sup>له</sup> ، وكان عناية الحكم<sup>ه</sup> بالحلم والعطاء لا مثيل له ، وهو الذي استقبل أبا علي القتالي في وفادته على الأندلس عام ٢٢٨ هـ بدعوة من أبيه الناصر ، وكتب إلى بعض العمال أن يتلقاه وفداً من وجوه

رعيته ففعل وسار به في موكب جليل إلى قنطرة طيبة، وقد بحث الحكم وهو ولي العهد كذلك إلى أبي الفرج الأصماني في طلب نسخة من كتابه "الأغاني" وبحث إليه بآلف دينار فجاءته منه نسخة قبل أن يظهر بالمشرق، وكان اهتمام الحكم بالكتب والمكتبات كبيراً، وكان في قنطرة في عماله عشرات المكتبات الحاملة وفي غرناطة سبعون مكتبة عامة.

أما ملوك الطوائف فقد جودوا في إعزاز العلم وإكرام العلماء متنافسين في الفضل، قاصدين إلى إرضاء العامة، مقدرين ما للحكام من أثر في حفظ ممالكهم. ولقد كان منهم المفتاء والأدباء والعلماء، في كل فن يؤلفون وكتيروا ما يمدحون العلماء إلى التأليف برسومهم، كما فعل ذلك سابقاً في دولة بني مروان أبو علي الفاي، فإنه طرز كتابه "الأمال" باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر. فقد قيل أن أبا غالب اللخوي القرطبي له لما ألف كتابه في اللغة بحث إليه أبو الجيش مجاهد العامري ملك دانية بآلف دينار ومركوباً وكساء على أن يجعل الكتاب باسمه فيزيد فيه: "هذا الكتاب مما ألفه أبو غالب لأبي الجيش مجاهد"، فرد الدينانير وقال: "ألفته لينتفع به الناس وأخلد فيه همتي، ثم أقبل في صدره اسم غيري وأصرف الفخر له". فلما بلغ هذا مجاهد استحسن ألفته.

قد صرف ملوك الطوائف جهدهم إلى العناية بالأدب والشعر، فصار المدح لخداء أرواحهم كالمدح لطحام أجسامهم وظلت حمزة الحادة فيه قيل أن يوسف بن تاشفين لما دخل الأندلس توسط له المعتز بن عباد عند الشجرة ليمدحوه حتى لا يصغر شأنه مع أنه دخل في نزلة لهم على الإفرنج، وكان على يده النمر المبين.<sup>٣</sup>

وكان للمتممور بن أبي عامر مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل

١هـ الأدب العربي: محمود مصطفى من ٣٢/٣

٢هـ المتوفى سنة ٤٣٦ هـ.

٣هـ تاريخ الأدب للرافعي. ٣٩٢/٣

الأدب و العلم للمناظرة بحضورته<sup>١</sup> وكان للمحتمد دار مضمومة<sup>٢</sup>  
بالشعراء وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه فلا يدخل عليه غيرهم<sup>٣</sup>  
ومن مؤلفي هؤلاء الملوك المظفر بن الأقطس صاحب بطليوس،  
كان كثير الأدب، حبه المعرفة، محباً لأهل العلم، جمعاً للكتب،  
داخراً سنة عظيمة. قال في حقه ابن بسام. كان المظفر المتوفى سنة  
٤٦٠ هـ، أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع، وله التضييف  
الرائق، والثاليف الفائق، المترجم بالذاكرة، المشتهر أيضاً باسم الكتاب  
المظفري في خمسين مجلداً، يشتمل على فنون وعلوم ومغاز وسير ومثل  
وغيره، وجميع ما يقتضيه علم الأدب، وذكر "المعجب" أنه كان ولوعاً  
بالاطلاع على جميع فروع الثقافة فجمعت له كتب ومؤلفات  
في شتى أنواع العلوم، وقد جمع ما أنفذه له العلماء في كتاب  
سماه باسمه.

١ المعجب للمراكش ٣٥

٢ قصة الأدب. ٢٣٦

٣ النفج ٤٦٨/٢

## رغبة الأندلسيين إلى كسب العلوم والفنون

قد رأينا في المصنفات السابقة كيف كان اهتمام الملوك والأمراء في إشاعة العلوم والفنون وخاصة في إشاعة لغتهم السامية. وقد رأينا أيضاً أن الملوك والأمراء لا يقتربون إلى بلاطهم إلا من كانوا أدباءً، شعراء وعلماء. ولذلك كانوا يهتمون بجمع العلماء والعلوم والفنون. ولذا نرى باهتمامهم الدخامس نبخ في الأندلس الأدباء، الشعراء والعلماء حتى اتفق المؤرخون على أن في أواسط عهد مسلمي الأندلس ليس هناك أحد من لا يعلم القراءة والكتابة. وكتب التاريخ مملوءة بأمثال ذلك الأندلسيين وقوة حفظهم ورغبتهم إلى كسب العلوم. هناك نستطيع أن نذكر بعض الأمثلة التي تؤيد ما رأينا هذا. كما ذكر عبد المنعم خفاجة في كتابه بجيت يقول " قد امتاز الأندلسيون كذلك بحافظة قوية اعتمدوا عليها في رواية الأدب والشعر، ومن نوادر حافظة الأندلسيين القوية الواقعية. ما يروى عن الوزير أبي بكر ابن وزير أبي مروان عبد الملك قال: " بينما أنا قاعد في دهليز دارنا وعندى رجل ناسخ أمرته أن يكتب لي كتاب الأغاني. فجاء الناسخ بالكتاب التي كتبها فقلت له: " أين الرجل الذي كتبت منه فأجاب محلث به " قال: " ما أتيت به معي " فبينما أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز عليا رجل بذي الهيئة عليه ثياب غليظة أكثرها صوف وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير اتقان لها، فحسبته لما رأيته من بعض سكان أهل البادية، فسلم وقعد. وقال " يا بني! استأذن لي على الوزير أبي مروان " فقلت له: حمونائهم، هذا بعد أن تكلفت جوابه غاية التكلف، حملني على ذلك نزوة المصبي، وما رأيته من خشونة هيئة الرجل، ثم سكبت عن نساءه وقال: " ما هذا الكتاب الذي بأيديكما؟ " فقلت له:

ما سؤالك عنه؟ " قال ، " أريد أن أعرف اسمه فاني كنت أعرف أسماء المكتيب ، فقلت . هو كتاب الأغاني . فقال . إلى أين بلغ المكتيب منه؟ قلت . " بلغ موضع كذا " . وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبه ، قال . ما الكتاب لا يكتب؟ قلت : طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعرض هذه الأوراق ، فقال : لم أجش به حتى ، فقال . يا بني هذا كتابي وعارضي . قلت : لماذا؟ وأمين الأصل؟ قال : كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباه ، فتبسمت من قوله . فلما رأى تبسمي قال : أمسك على . فأمسكت عليه وجعل يقرأ ، فوالله إن أخطأ وأولأ فاءاً . هكذا استوكراسين ، ثم أخذت له في وسط السفر وأخبرته فرأيت حفظه في ذلك كله سواء . فاستدعيت عجبتي ، وقمت مسرعاً حتى دخلت على أبي فأنخبرته الخبر ووصفت له الرجل ، فقام كما هو من فوره لا يرفق على نفسه وإنما بين يديه وهو يوسهني لوماً حتى تراءى على الرجل وعانفته ، وجعل يقبل رأسه ويدنيه ويقول . " يا مولاي ! أعذرني ، فوالله ما أعلمني هذا الخلف إلا الساعة " وجعل يسبني والرجل يخفض عليه ويحول : ما عرفني . وأبى يقول . هبه ما عرفك فما عذره في حسن الأدب؟ ثم أدخله الدار وأكرمه مجلسه وخلابه ، فتحدثا طويلاً ، ثم خرج الرجل وأبى بين يديه حافياً حتى بلغ الباب ، وأمر بوابته التي يركبها فأسرعت وحلفت عليه ليركبها ثم لا ترجع إليه أبداً . فلما انفصل قلت لأبي : من هذا الرجل الذي عظمت هذه التحظيم؟ فقال لي : اسكت أو يهلك! هذا أديب الأندلس وسيدها في علم الأدب . هذا أبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، أيسر مدحفو نظائره كتاب الأغاني ، وما حفظه في ذلك ، خاطره وجودة قريحته . وكان ابن عبدون يلقب بأصفى الأندلس .



ولهذا دلالة قوية على عناية الأسد لسيين عامة والوزراء و -  
 ارباب السلطان بالأدب والعلم ورجاله ووضعهم إياهم في المكان  
 الأول من الإحلال والرفعة . وكذلك كان اهتمام الأسد لسيين السلايد  
 بمقتل كتب الشرق ونسخها لتعلم فاشدتها ودليل على تنفع الأسد لسيين  
 بالآكتنار من المحفوظات إلى حد يصعب لتعمد ليعته على من لم يدرس  
 حياة العرب دراسة جيدة ، فإن من لا يعرف الدولة العالوية  
 التي وصلت إليها ملكات العرب في الشرق لا يستطيع تمليق هذه  
 الحكاية وامثالها معاير ووجه عن عرب الأسد ل .

وقد حدثت المراكشي صاحب كتاب المعجب ، محرراً عن استاذة  
 أبي جعفر أحمد بن الحميري له . وكان قد حصر عليه بقرطمة في سنة  
 ٦٠٦ هـ . فقال . " كان أبو جعفر آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأسد ل .  
 لزمته دحواً سنتين ، فما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر  
 بحكاية تتعلق بآداب أو مثل سائر أو بيت نادر أو صفحة مستحقة  
 منه ، أدرك حلة مشايخ الأسد ل فأخذ عنهم علم الحديث  
 والقرآن والآداب ، وأعانته على ذلك طول عمره وحداق محنته وفقره  
 شغفنه بالعلم

قال لي ولده عصام ، وقد رأيت عمه لسحة من شعر  
 أبي الهيب قرئت على أو أكثرها ، فألفيتها شديدة الجملة ، فقلت .  
 لقد كتبتها من أصل صحيح وتحررت في نقلها ، فقال . " ما يمكن أن  
 يكون أصل أحج من الأصل الذي كتبت منه " فقلت . أين هو؟  
 فقال لي : " عن يمينك " فعلمت أنه يريد الشيخ ، فقلت . " ما  
 على عيني إلا الأستاذ " فقال لي : " هو أصلي ، ومن إملائه  
 كتبت ، كان يملأ من حفظه " فجعلت أتعجب . " سمع الأستاذ  
 حديثنا ما التفت إلينا وقال . " فيم أستا؟ مأخره ولده بالخط ، فلما

رأى تعجبي، قال: " بعيداً أن تفعلوا! يجب أحذكم من حفظ ديوان المتنبي! والله لقد أدركت أقواماً لا يحدون من حفظ كتاب سيوسيه حافظاً، ولد يرويه مجتهداً " <sup>له</sup>

وقد كانت الجامعة تشارك في العلم والأدب وتحتفي به وكانت لغة تخالطها تكاد تكون أدباً وكان منهم شعراء وكتاب وأدباء. وقد نفل لنا عبد المنعم خفاحه عن القزويني عن مدينة " شلب " بالبرتغال أن من إحدى عجائبها أنه قل أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً، وقد يعاني الأدب، ولو مررت بالمساح خلف فدانه، وسألته عن الشعر قرخ من ساعته ما اقترحت عليه وأما معنى طلبته <sup>له</sup> منه وحينما جاء ذكر الشعر والأغاني لا بد لنا أن نذكره إجمالاً إننا نعرف أن الأندلسيين الذين كانوا قد تسدحوا على الأندلس وأحبوا سكانها المتدينين في صبغتهم الدينية الإسلامية العربية، هم العرب خالصاً وبجد اصطبغوا بهم بالعربية كان أهلها بلا استثناء شاركين في إفاء اللغة العربية والأدب والعلم وسائر الفنون ولذلك ندرك أن الأندلسيين قد سبقوا في إبداع بعض من الفنون والأدب والعلم وغيره - مثلاً - قد أبدعوا في الشعر والأغاني فنا الأزجال والموشحات وهما ضربان محبوبان وكلاهما مبتدع في إسبانيا ووضعهما معروف وإنشاء وهما متجانسان، ويتركب أغلب هذه الأغاني والأوصناع الدارجة من العامية الرقيقة غير المفيدة بقواعد اللغة. وأول من رفع الزجل إلى مرتبة الأدب، يقال: هو ابن قزمان في سنة ١١٦٠م <sup>له</sup>، ومما نفل إلينا من مخططات الأمويين بالأندلس نرى أن شغفهم بالشعر والموسيقى والبلاغة الراقية قد زاد حتى كان قريباً من جميعه الحديث.

ندرك أكثر الشعراء كان يلحظ المعاني التي تدور على ألسنة العامة

<sup>له</sup> نفل عن قصة الأدب . ص ٢٤٦

<sup>له</sup> عجائب المخلوقات . ص ٢٤٥ قصة الأدب . ص ٢٢٢

<sup>له</sup> اسمه الكامل أبو بكر محمد بن قزمان القرطبي المتوفى . سنة ٥٥٥هـ

فينظرونها ليتخفى الناس بهما حتى قربت لهجاتهم من اللهجات العامية  
وأصبحت خليطاً من اللغة الفصحى وكلام العامة وصار الناس ينظرونها  
غير متبحرين قواعد اللغة وأصولها ولذلك تعددت لهجاتها وتولد  
من ذلك فن الزجل . وهو نوع من الشعر العاصي المتوغل كثيراً في لهجات  
العامة وأغانيهم . وقد ذاع أمر الزجل وتعددت لهجاته بتعدد  
الأماكن التي نشأ بها واشتمل على أنواع الشعر أكثرها الغزل والوصف .  
وقد قيل أن الزجل أصله في التعبير عن النفوس من الشعر الفصيح لقربه  
من تعبير العامة واشتماله على عباراتهم المألوفة وعدم احتياجه  
إلى التكلف في الصناعة واختيار الألفاظ . ولكن هذه العامية التي صارت  
لسان الدخايل والعوام في حادثاتهم كانت عامية مقبولة ، يغلب في  
كلماتها العنصر العربي ويمثل الدخيل ولا يشهد التحريف ، يرى كل  
ذلك مائلاً في الموشحات والأزجال التي هي أدب عامتهم فلا تكاد  
تختار فيها بدخيل ولا تعجز عن بعد من أصله كل البعد وإن كان إهمال  
الأعراب نشأ عنها لأنه أول ظاهرة في عامية اللغة العربية في أي  
بلد نشأت . وعلى أن هذه الموشحات والأزجال لا ينبغي أن تعد  
مقياساً محبواً للعامية ولا مثلاً صادقاً لما كانت عليه فأنعامية  
الخاصة إذ كان أغلب قائلها من الشعراء المهرجين الذين تبسّلوا  
في قولهم وتوسّعوا في أدبهم فقيل الموشحات والأزجال تكون  
لغة هذين الفئتين هي عامية الأدباء وإن كانت لا بد مفهومة  
للعامية لأنفسهم هم المصودون بها في الخطاب فهي تدل من قريب  
على اتجاه العامية في أهل الأندلس فهي علمية غير مستقلة ولا  
ولقد بلغ من حرص الأندلسيين ورغبتهم على كسب الحلول  
والفنون أن نبغ ونشأ في الأندلس الأدباء والشعراء والعلماء والفنلاء .  
وقد حان لنا أن نذكر بعضهم بإيجاز .

من أشهر علوم اللغة أبو بكر الزبيدي صاحب مختصر العين المتوفي -  
سنة ٣٧٩ هـ . اسمه الكامل محمد بن الحسن الزبيدي الشبلي .  
قال ابن الفرضي . كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة . أخذ العربية  
عن أبي القتالي وأبي عبد الله الرياحي . وأدب ولد المستنصر بالله  
دولي عمده هشام ودولى قضاء قرطبة وحنيفة مختصر العين وإبنيه  
سيوسيه والواضح في العربية وما يدخن فيه عوام الأندلس وله بقايات  
النحويين وتوفي سنة ٣٧٩ هـ

وقيل ٣٩٩ هـ . والزبيدي بضم الزاي وفتح الباء نسبة إلى زبيد  
وهي قبيلة كبيرة باليمن وقد ألف مختصر العين الزبيدي له هشام  
المؤيد مختصراً له من كتاب العين .

وعلى بن مؤمن بن محمد المكنى بأبي الحسن بن عمغور النحوي  
الحضري الشبلي حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس أخذ  
من الدباج الشلوبيني ولما زمه مدة ثم كانت بينهما مناخرة ومقاطعة  
وتصلر للإشتغال بالتدريس مدة في عدة بلاد وحال في الأندلس وأقبل  
عليه الطلبة وكان أحسن الناس على الملاحظة لا يعمل ذلك ولم يكن  
عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولما أهل لغير ذلك وكان رقيق الدين  
جلس في مجلس شراب فلم يزل يرحبه بالتاريخ حتى مات سنة ٦٦٣ هـ  
وقيل ٦٦٥ هـ وحنيفة كتب كثيرة

عمر بن محمد أبو علي الشبلي الأذدي المعروف بالشلوبيني  
هو أيضاً من أشهر اللغويين . وكان إمام عصره في العربية بلا مدافع  
وآخر أئمة العربية بالشرق والمغرب وكان الحارثون يمتدرون تلاميذه  
وغيرهم يغالون فيه مخالفة شديدة وكانت فيه مع ذلك غفلة  
وصورة بله حتى قالوا إنه كان يوماً على جانب النهر وبهذه كراريس  
فوقع منها كراسته في الماء وبجالت عنه فلم تحصل إليها بيده فأخذ

كراسته أخرى وجذبها بها فتلفت بالماء !! وله في هذه الحال حكايات كثيرة توفي سنة ٦٤٥ هـ بأشبيلية .

عبد الله بن السيد البطليوسي كان عالماً بالأدب واللغات متبحراً فيهما . سكن مدينة بنسبة وكان الناس يجتمعون إليه ويقرأون عليه . وكان حسن التحليل جيد التفهم وله كتاب " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب " . وهو مطبوع وقد توفي سنة ٥٢١ هـ .

أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف النحوي الأندلسي الأشبيلي كان فاضلاً في علم العربية وله فيها مصنفات . شرح كتاب سيبويه شرحاً جيداً ، وشرح كتاب الجمل للزجاجي . قيل : كان في خلقه زعارة ( شراشة ) ولم يتزوج قط . وكان يسكن الحانات ، واختل في آخر عمره ومشى في الأسواق عريان بادي العورة . توفي بأشبيلية سنة ٦٠٩ هـ . أو ٦١٠ هـ على ما ذكره ابن خلكان أو سنة ٦٠٣ هـ كما يقول المزهري .

ابن سيده : هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده . كان إماماً في اللغة والعربية حافظاً لها . له مصنفات في ذلك كثيرة منها " كتاب المحكم في اللغة " هو كتاب جامع ، رتبته ترتيب " كتاب العين " ويمتاز بالضبط والدقة وصحة الشواهد . ومنها " المخصص " وهو مهجم في سبعة عشر جزءاً مطبوع بمصر . ومنها " شرح مشكل المتنبي " وهو من خطوط بدار الكتب المصرية . وكان ابن سيده صريحاً وأبوه كذلك . توفي سنة ٤٥٨ هـ .

ومن مؤلفي تفاسير القرآن العظيم أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد القرطبي . له تفسير خففه قبل إنه لم يؤلف مثله في الإسلام . ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٧٦ هـ .

ومن أئمة رجال الدين في الأندلس يفتي بن كثير الميشتي له يقال له عاقل الأندلس وراويه ما ومحدثها ، ارتحل إلى المشرق وتعلم الإمام

مالك وسمح منه المؤطا ورواه عنه . حتى كانت المشرقة يرجعون إلى روايته ويمتد مومنه على غيره مع كثرة رواة كتاب المؤطا . وهو من الذين عملوا على نشر مذهب مالك في الأندلس هو واستأذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي وكان أميئاً في دينه محدثاً للأئمة لمرء لترفعه عن القمضاء . توفي بقوطبة سنة ٢٣٤ هـ .

ومن فقهاء الأندلس المعروفين عبد الملك بن حبيب السلمي القوطي ولد سنة ١٧٤ هـ وتوفي سنة ٢٣٨ هـ . وكان فقيه عصره . سكن قرطبة وزار مصر ثم عاد إلى الأندلس وتوفي بها . وكان من كبار فقهاء مذهب مالك . هو كان عالماً بالتاريخ والأدب . ألف كتباً كثيرة منها : طبقات الفقهاء وطبقات المحدثين وتفسير مؤطا مالك والواحدة وغيرها .

ومن أئمة الذين المعروفين أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن خزم . كان أصل جده عن بلاد فارس وقتل دخل أحد أجداده الأندلس . ولد ابن خزم بقوطبة سنة ٣٨٤ هـ . ولما شب اشتغل بتعلم العلوم الدينية كالحدِيث والفقه حتى صار من كبار العلماء في ذلك . وألف في علم الحدِيث والفقه والأصول ومراتب العلوم وكتب مباحث في أصول الأديان وما كان من التبديل والتحجير في بعضها . وألف رسائل في الطب والأدب . فكان عالماً وأديباً وفقهياً وشاعراً متفنناً في العلوم جميعها ، عاماً بعلومه حتى قالوا : إنه كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان وفور خطه من البلاغة والشعر والأدب والمعرفة بالسيور الأخبار . وكانت بينه وبين علماء أهل زمانه مناظرات ومجادلات حملت أعماده على التشجيع به حتى نفرت منه القلوب وأجمع فقهاء زمانه على تضليله فأقصته الأحكام عن بلاده

---

حتى توفي سنة ٤٥٦ هـ . ومن أشهر كتبه : " كتاب الفحصل في الملل والنحل " ، تكلم فيه على مذاهب الفلاسفة ومعتقداتهم وفصل الكلام على الفرق الإسلامية . وله عدة مؤلفات في الأدب والحكام والفقه والملل وغيرها وله كتاب صغير سماه " نكت الحروس " ذكر فيه ومناجح تاريخية في الأندلس وأخلاق وعادات بني أمية فيها وهو كتاب مفيد لم يحصل سوى بعض أبواب حفظها المؤرخون بعده ٢ . وكذلك له كتاب " المقتبس في تاريخ الأندلس " في عشر مجلدات . ثم كتاب " المتين أو المبين كما جاء في كشف الخطون " في تاريخ الأندلس أيضاً في ستين مجلداً .

قال فيه عبد المصنف خفاجه ٣ : " وكان واسع الثقافة حر الرأي مع تدين وتميمون ، ويقال إن مؤلفاته بلغت ٤٠٠ مجلد تناهز ثمانين ألف ورقة في الفقه والحديث والجدل والنسب والمنطق والفلسفة والشعر ، ومن أشهر كتبه في الأدب حقوق الحمامة وهو أول كتاب في فلسفة الحب وكتاب الفحصل في الملل والأهواء والنحل ، ويؤهله لمقام عال بين العلماء باعتباره أول عالم عن بدراسة الأديان والموازنة بين تاريخها ، وأنه وحصل إلى نتائج لم ينتبه إليها أحد حتى ظهرت المدرسة النقدية الحديثة في القرن السادس عشر .

ومن العلماء الأجلاء في الأندلس قاسم بن ثابت السرقسلي ٤ ، عبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه الإمام ٥ ، محمد بن سعيد الملقب بالدمعي بقوة ذكائه ، أبو محمد القاسم الشالحي ٦ ، الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي ٧ . عمر بن الحسين الظاهري الأندلسي المحدث ٨ .

١ ديوان ابن زيدون شرح وتحقيق عبد العظيم ح ١٨

٢ وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٠/١

٣ ديوان ابن زيدون ح ١٨

٤ المتوفى سنة ٣٠٣ هـ . ٥ يقال بلغت تاليفاته ألفا

٦ ( ٥٢٨ هـ — ٥٩٠ هـ ) ٧ ( ٤٦٨ هـ — ٥٤٢ هـ )

٨ ( ٥٤٨ هـ — ٦٠٣ هـ )

أبو عبد الله القرشي الهاشمي<sup>١</sup>، ومحمد بن سراقته الشاطبي<sup>٢</sup>، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي الملقب<sup>٣</sup> وغیره من علماء الدين الأحناف الذين نبهوا في عهد مسلمي الأندلس .

إننا نلاحظ فيها أن العلوم الدينية كانت صاحبة الممات الأول وكان الفقهاء يتمتعون بمترلة سامية ترتب من مزللة الأمرء بل كانوا أكثر ما يهددون عروشهم ويؤلبون العامة عليهم إذا آكسوا منهم إخراجاً عن القصد وجنوحاً عن السداد . وثأت علوم اللغة وفنون الآداب في المرتبة الثانية . وإز دهرت بالأندلس إزدهاراً عظيماً لأنها صادفت بيئة صالحة وطبيعة موحية ومواهب ملهمة . وقد أسهم الأندلسيون بنصيب وافر في العلوم العاشية من طب وهندسة وفلك . ولكن عامة الشعب لفروا من العلوم الفلسفية وناهضوا المهتمين بها حتى أحرقوا كتبهم وإن كانت العمول بدأت تتحرر بعض التحرر من هذا الغل الثقيل في عهد الطوائف وماتلاه من عمور .

وهكذا انجلد الأندلسيين قد أسهموا بحداف وافر في علوم التاريخ والجغرافية والطب والهندسة والفلك . وحسبنا أن نذكر شيئاً من بعض هذه العلوم خوفاً من اللطاب غير ضروري . فمن أشهر المؤرخين ابن حيان القرطبي المتوفي سنة ٤٧٦هـ<sup>٥٥</sup> أو برواية أخرى ٤٦٩هـ<sup>٥٥</sup> كما ذكر آخره كرعبد المنعم خفاجة . وهو أعظم مؤرخي الأندلس . وله في تاريخها كتاب " المبين " في ستين مجلداً . وقد بقيت من هذا الكتاب آثار متفرقة في كتب المؤرخين . ويروي أنه ألف خمسين كتاباً آخر لم يبق إلى عهدنا هذا إلا بعض كتاب " المقابس في تاريخ الأندلس " .

<sup>١</sup> ( ٥٤٤هـ — ٥٩٩هـ ) هو كان أئمة المصوفيين بالأندلس .

<sup>٢</sup> ( ٥٩٢هـ — ٦٦٣هـ ) هو أيضاً من المصوفيين .

<sup>٣</sup> المتوفى سنة ٥٨١هـ . حقه قصة الأدب . ص ٢١٣

<sup>٥</sup> ديوان ابن زيدون . ص ١٨



ومن أشهر مؤلفيه في التاريخ المنظر بن الأندلس صاحب بطليوس  
وله كتاب المستقى باسمه « المنقري » في خمسين مجلداً وقد توفي  
سنة ٤٦٠ هـ . وللمتأخر أبي القاسم جاعاد بن أحمد الأندلسي  
كتاب في الطبقات المستقى « طبقات الأمم » ذكر فيه تاريخ  
العلوم عند جميع الأمم وعد علماء كل أمة . ولابن بسام  
الشتنمري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ كتاب « النخلة في محاسن أهل  
الجزيرة . وهو تاريخ الأندلس وآدابها في القرن الخامس الهجري . ومنه  
جزءان مخطوطان في دار الكتب المصرية والثالث في برلين وقد طبع  
الكتاب في مصر ، كما ذكره كذا أكثر المحققين . وقد قسم المؤلف  
كتابيه إلى أربعة أقسام . الأول أدباء أهل قرطبة وما يضاف  
إليها من بلاد اداسط الجزيرة . والثاني في أدباء الجانب الغربي  
من الأندلس من أشبيلية إلى ساحل البحر المحيط . والثالث في  
أدباء الجانب الشرقي والرابع فيمن طرأ على الأندلس من الأدباء .  
ولابن بشكوال أبي القاسم القرطبي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ كتاب  
« الصلة » جعله ذيلاً لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرخ المتوفى  
سنة ٤٦٣ هـ ، الواقع في عدة مجلدات . وقد ذيله ابن الآبار  
المتوفى سنة ٦٥٨ هـ ، كتاباً سماه « تكملة الصلة » وقد طبع  
في مجلدين فيما ٢١٥٢ ترجمة الأعيان الأندلس وعلمائهم  
وشعرائهم . وللفتح بن خاقان المتوفى سنة ٥٢٩ هـ كتابان سماهما  
« قلائد الحقيان » و « مطمح الأنفس » في أخبار الوزراء والكتاب  
والعلماء والشعراء . ولقد بلغ من عنايتهم بالتاريخ أن أرخوا  
المدينة الواحدة في كتاب كما فعل لسان المدين بن الخطيب المتوفى  
سنة ٧٧٦ هـ في كتاب « الاحاطة في أخبار غرناطة » . ومن مؤلفي  
التاريخ على بن موسى بن سعيد المغربي الغرناطي ، رحل إلى مصر

وتشتمل دبلاد العراق و الدجـاز و دون مشاهداته في مؤلفات بقي منها " المغرب في حلـى المغرب " في خمسة عشر مجلداً . وكتاب " المشوق في حلـى المشرق " ، في سـتين جزءاً . وهذا مفقود . يروى أنه توفى في دمشق سنة ٦٧٣ هـ . ومن عنايتهم بالتاريخ أن نظمـوه شعراً كما فعل أحمد بن عبدربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ صاحب الحمـد الفريد ، فإنه نظم حروب عبد الرحمان الناصر و نظم كذلك تاريخ المنذر بن محمد له وسبقته إلى نظم التاريخ يحيى بن حكم البـحـثـي المتوفى سنة ٦٥٠ هـ فقد ذكروا أن له تاريخاً منظوماً . هكذا ذكر عبد المنعم خفـاجـه في كتابه له ولحل رسم نظم التاريخ لم يدم إلى مدة طويلة فانسانا لنجل في التاريخ إسماعيل نظم التاريخ بعد القرون الأولى .

ولابد لنا أن نذكر المؤرخ الذي نظم المقرئ صاحب " نفح الطيب " كان اسمه الكامل شهاب الدين أحمد بن محمد أبو العباس المقرئ التلمساني ،<sup>٣</sup> له هو كان من أخذاذ الأدباء والمفكرين والمؤرخين العرب في القرن الحادي عشر . وقد رحل إلى جهات كثيرة في المغرب وإلى البلاد الإسلامية ، مصر والدجـاز والشام . يعد كتابه " نفح الطيب " من دوائر معارف عامة عن الأدب العربي في الأندلس والمغرب وموسوعة تاريخية كبرى عن الحياة السياسية والفكرية والأدبية في هذه البلاد . وقد طرأت شهرة كتابه في العالم كله . وقد مرجعاً أحسباً في الآداب الحربية في الأندلس وقد ألف هذا الكتاب من مسائل المراجع التي ضاعت بعد عصره وبقى ذكرها وآثار منها في نفح الطيب .

و من أنبج مؤلفيهم في الـطب الزهراوي<sup>٤</sup> صاحب كتاب " كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف " وقد طبـع هذا الكتاب

<sup>١</sup> له مدة خلافته ( ٢٧٣ هـ — ٢٧٥ هـ )

<sup>٢</sup> قصة الأدب . ص ٢١٥

<sup>٣</sup> ( ٩٨٨ هـ — ١٠٤١ هـ )<sup>٤</sup> المتوفى سنة ٥٠٠ هـ .

باللاتينية في القرن الخامس عشر فأمد أوربا بمرجعها الأكبر في تجبير  
العظام وأعمال الجراحية وبخاصة فتح المشانة وإخراج الحصاة  
وله كتيب مخير في الآلات الجراحية مع توضيحها بالأشكال  
وطرائق الاستخدام له . ومن أشهر في الأندلس في الطب ابن البيطار  
المالقي له وقد رحل إلى البلاد مثل الشام وبلاد الروم واليونان .  
درس النباتات وكتاب " مفردات الأدوية " هو كان من خدم الملك  
الكامل الأيوبي وكان يعتمد عليه في معرفة الأدوية ولا يزال  
مرجعاً أصيلاً في بابيه .

ومن أشهر علماء النجوم محمد بن عبد الله بن مالمس  
الندجي نشأ بمدينة جيان من الأندلس ثم انتقل إلى الأندلس  
وأقام بها . يقال إنه كان بحرًا لا يشق عبابه في العلوم خصوصًا  
في النجوم وتصدير بحليب لأقراء العربية وكان يجتمع به قاض القضاة  
ابن خلكان ويترجمه لحملته . ومن تلاميذه من خلفه الحكومة الحافية  
الشافعية في النجوم وهي ثلاثة آلاف بيت . وشرحها ثم انحصها  
في أرجوزة سماها " الخلاصة " وهي ألف بيت ولذا تعرف بالألفية .  
ونثر هذه في كتاب سماه " الفوائد النجومية والعقاصد المتوالية .  
ولتسهيل هذا الكتاب صنف كتاباً سماه " لتسهيل الفوائد وتكميل  
العقاصد ، واشتهر كتاب التسهيل دون كتاب الفوائد . ومن  
تلاميذه أيضاً " الأعلام بمثلث الكلام " وعدة اللاف و  
عمدة الحافظ . وقد توفي حسب ما ذكر عبد المنعم فاضل حبه  
سنة ٦٧٢ هـ . وقد التفت الناس على " الألفية " كثيراً يحفظونها  
ويتعرفون أحكامها . ولذا إننا نرى العلماء أكثرها من شرحها . فمن  
شرحها محمد بن ناظم المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وعبد الله  
بن عبد الرحمان المشهور بابن عقيل المتوفى سنة ٦٩٨ هـ بالقاهرة .

١هـ ديوان ابن زيدون . ح ١٩

٢هـ المتوفى بدمشق ٦٤٢ هـ .

٣هـ قصة الأدب . ح ٦١٩

وحسن بن قاسم المصري المتوفى عام ٧٤٩ هـ ، وقد شرح " التمهيد " أَيْمَنًا .  
 وأبو زيد عبد الرحمن المكوذي المتوفى سنة ٨٠١ هـ . وأبو الفضل عبد الرحمن  
 جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ . وبلال الدين علي الأشمونى -  
 المتوفى سنة ٩٠٠ هـ ، قد سماه " منبرج السالك الى ألفية ابن مالك . وقد  
 دون العلماء على هذه الشروح حواشى ، فمن ذلك حاشية الشيخ محمد  
 الخضري الدسوقي المتوفى سنة ١٢٨٨ . وابن أحمد قاسم الحبادي  
 المتوفى سنة ٩٩٢ هـ على شرح ابن النائم . والشيخ أحمد السجاعي  
 المتوفى سنة ١١٩٧ هـ بمصر على شرح ابن عقيل . والشيخ محمد الصبان  
 المصري المتوفى سنة ١٢١٦ هـ على هذا الشرح .<sup>١</sup>

ومن النحويين في الأندلس أبو عمرو وعقمان المعروف بابن الحاجب .  
 إنه رحل الى دمشق ودرس بجامعها قال ابن خلكان : " وقد سألته  
 من مواضع العربية مشكلة ، فأجاب أبليخ إجابة ، ومن جملة ذلك  
 انى سألته في بيت المتنبي :

لمتد تصبرت حتى لات مضطرب : فالآن اقعد لات مفتحة  
 عن السبب في نفخ مضطرب ومفتحة ولات ليست من أدوات  
 الجرح أطلال الكلام وأحسن الجواب . ولم يدرك ابن خلكان ضرورة  
 إجابة ابن الحاجب على ذلك خوف الإطالة . ولكن أجاب  
 عبد المنعم خفاجة من عنده فليرجح طالب التعميل كتابه<sup>٢</sup>  
 وقد كتبت شرح كثيرة على " الكافية " . ومن أشهرها شرح  
 رضى الدين محمد بن الحسن اللاسقربادي المتوفى حوالى سنة ٩٦٠ هـ .  
 يقال إن هذا الشرح جليل الاعتبار وكثير الفوائد ، فيه أشياء  
 لا توجد في غيره من كتب النحو أو في الشروح . وشواهد هذا الشرح  
 أخذها عبد القادر البخداري المتوفى سنة ٩٣٠ هـ . بالقاهرة ، وبنى  
 عليها خزانته المشهورة المسماة " خزانة الأدب " ، وللباب لسان العرب<sup>٣</sup> :

<sup>١</sup> له مدخل من قصة الأدب . ص ٢١٩ .

<sup>٢</sup> له قصة الأدب . ص ٢١٨ - ٢١٩ .

وهي واسحة الأرجاء مملوءة بجواهر الأدب . يروى أنه قل أن يوجد كتاب في بابها يحاكيها فهي ضالة الأديب . وقد طبعت بمطبعة بوداق سنة ١٢٩٩ هـ في أربعة أسفار ضخمة

وهكذا من النحويين المشهورين على بن محمد الكتامي أبو الحسن المعروف بابن المماثغ: إنه رد اعتراضات ابن الخراوة على الفارسي ، واعتراضات على سيبويه ، واعتراضات البطلوسي على الزجاجي ، ورد على ابن عمفور محظمه اختياراته . وله شرح الجمل وشرح كتاب سيبويه ، جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف ، وله في مشكلاته عجائب . وقد توفي سنة ٦٨٠ هـ .

والآن قد حان لنا أن نضئ على عنابة الأندلسيين بالأدب وناشرهم فيه في ضوء كتب التاريخ .

كتب التاريخ مملوءة بذكر أسماء الأدباء البارزين في الأندلس . فحسبنا أن نذكر بعض الأدباء الأجلاء الملائين نبخوا في هذا الميدان . ولد شك في أن الأدباء الأندلسيين يتلقون وحيهم من ينابيع ثلاثة أولها الأدب العربي القديم . فقد انكبوا على دراسته وروايته يحفظون من مآثوره ما وسعهم الحفظ ويتفهمون أخباره وأنباءه وكانوا في هذا خاصتهم لعوامل دينية وأخرى جنسية وثالثة وراثية تنحدر إليهم من أجدادهم وتضرب بحرقا يحن إلى عمور السداة في طاعتها من كل قيد وتحررها من كل غل وكان الشعراء القدماء يذكى هذا الحنين . المتوارث ويرضى النفوس التواقية إلى التحرر والإطلاق ويعينهم على فهم الكتاب الكريم والسنة النبوية والمبادئ الدينية التي مهلت لهم سبيل الملك والسلطان . والينبوع الثاني هو الأدب العربي المعاصر لهم في الشرق . فقد ظهر بالشرق أدباء أفندوا شغلوا العالم الإسلامي بجلب قرياتهم

الخالدة مثل ابن المقفع و الجاحظ و الأصفهاني و الخوارزمي و البديع و ابن الحميد من الكتاب و بشار بن برد و أبي نواس و أبي تمام و البحتري و ابن الرومي و المتنبي و المعري من الشعراء . وقد انتقلت آثارهم الأدبية و العلمية إلى الأندلس فأقبل عليها الكتاب و الشعراء و الأدباء و العلماء مستغوفين مفتونين ينهلون من معينها الحبيب و يحاولون تقليد هاهنا إلبار و إعداب ثم في تحذ و ازدهاء . و إذ كانوا يلحقوا بهم فقتل و صلوا إلى مدى قريب .

و ينبوع الثالث هو الطبيعة المرححة الباسمة بالأندلس و ما حفلت به من مناخر متعذدة و مشاهد متباينة من أنهار جارية و مروحة حالية و وهاد كاسية و جبال ساممة و أمطار دافقة و سيول جارفة و تلوج جاسية و بحار شاسعة و ديان تفيض بالذهب و اليمى و حياة حافلة بالثروة و النعيم . و ما دفنت هذه الطبيعة الخلابة نفوساً مشبوبة الحس ، متوفرة المشاعر ، مستجيبة للفن فألهقتها بأعذب الأرقاء أنغام .

فهذه هي ينبوع الثلاثة التي نهل منها الأندلسيون و جدد ذلك سبقوا في بعض ميادين العلم و الأدب أو قد وصلوا إلى مدى قريب . و قتل بدأ الأندلسيون يحاولون التحرر عن التقليد و إلههم شذوحتهم الفنية في عصر ملوك الطوائف حيث ظهر أئند اذ من الكتاب و الشعراء الخالدين مثل ابن حزم و ابن شهيد و ابن دراج القسطلي و بشار ابن برد و ابن زيدون ( وهو موهوع بحش ) و المعتمد بن عباد و ابن عمار و ابن حمديس و ابن بسام و ابن تغاابة و غيرهم من أعلام الكتاب و الشعراء . و إلى هذا يشير ليقي بروفسال بقوله " كان القرن الحادي عشر الميلادي " القرن الخامس للهجري " عصر ملوك الطوائف عهداً عرفت فيه أسبانيا أكبر إشراق شعري من غير

شك<sup>١</sup>، وكما قال على عبد الحظيم<sup>٢</sup>، «ولد عجب في هذا فقد كان النثر يعبر عن أغراضه بأسلوب ممتثل متموج أقرب إلى الأوزان الشعرية منه إلى الدسيابات النثرية» وفي هذا يقول ابن بسام عند حديثه عن رسائل ابن زيدون «كتب هي بالنظم النظم أشبه منها بالنثر»<sup>٣</sup> وقد قرراً حمد ضيف<sup>٤</sup> أنهم وصلوا في النثر أحياناً إلى درجة لا تفرق بينها وبين الشعر إلا في الوزن وقواعد العروض<sup>٥</sup>، وكثيراً ما كان الشعر يستخدم في الرسائل بدلاً من النثر وقد ظهرت في القرون الوسطى في زمن تمكن المسلمين على الأندلس تجليات وابتكارات لا نجد ما يشبهها في الشعر المتأخر مثل نظم الأراجيز التاريخية التي اعتمد عليها ربيعاً يقول بوجود أدب قديمى أندلسي سابق على ظهورها ومنها اختراع المؤشحة التي كان لها فيما بعد صدى بعيداً<sup>٥</sup>، ويرى جب (GIBB) أن هذه الفترة هي العصر الذهبي للشعر،<sup>٦</sup> وعلى الرغم من أن الآثار الأدبية الأندلسية أدبية عدت عليها عوامل التلف والافساد، فقد بقيت لنا من هذا العصر نبذة من الآثار الخالدة التي تدل على مبلغ ما أبدعوه في وادي عبقر، وإلى دماغ يفتضينا أن نقرر أن الشعراء والكتاب لم يتحرروا من الأدب القديم الموروث، شأنهم في هذا شأن إخوانهم المشارقة، فدخل الأدب الجاهلي يهيمن على الأدب العربي في عصوره المختلفة، وكانت محاولاته التجديد في نطاق محدود.

وإذا أردنا أن نوجز الإشارة إلى أهم ما برع فيه الأندلسيون في الآداب أمكننا أن نوجزه فيما يلي :

**الشعر** : برزوا في الوصف وبخاصة وصف الطبيعة مما تمها وناطقها، وأشهر من برع في هذا الميلان ابن زيدون وابن خفاجة

١ سلسلة محاضرة عامة في الأدب الأندلس وتاريخها من ١٤. نقلاً

عن ابن زيدون لحلى عبد الحظيم من ١٥

٢ ابن زيدون من ١٥ في الذخيرة ج ١ من ٢٩٠

٣ بلاغة العرب في الأندلس من ٣١-٣٢ في الشعر الأندلسي من ١٧

وابن حمدايس وغيره . سنضرب إن شاء الله أمثلة عديدة  
لابن زيدون حين نتحدث عن شعره . أما ابن خفاجة نستطيع أن  
نقرأ قصيدته في وصف الجبل<sup>١</sup> وقصيدته في وصف الروضة<sup>٢</sup>  
لنرى مقدار شغفه بالطبيعة وفنائه فيها . فليرجع طالب التفصيل  
إلى ديوانه حيث ذكر صفاته في العاشية وأما ابن حمدايس فإن  
ديوانه حافل بروائع وصفه للطبيعة وإقباله عليها . وقدمكننا  
أن نلمس شغفه بالطبيعة وامتدًا ملموسًا في قصيدته التي وصف  
فيها الأسد<sup>٣</sup> . أوفى وصفه لدار المنصور بن أعلى الناس وما  
حفلت به من تماثيل وتماويل .<sup>٤</sup>

والآن نستطيع أن نذكر بعض أسماء الأدباء النديين اشتهروا  
في ميدان الأدب . كما ذكرنا أن منهم البعض الذين مارسوا في النثر  
الفني ونبخوا فيه ولكن بعضهم النديين تركوا ما نثره في شكل تأليف  
علوم التاريخ وغيره عداها بعض المؤرخين والمتقنين في الأدب أيضًا .  
ولذا نذكرهم بحيث الأدباء البارزين .

يحد كتاب ابن عبدربه<sup>٥</sup> "العقد الفريد" من أمج كتب  
الأدب وأجلها فائدة وأوسعها مادة . جرى مؤلفه في تصنيفه على  
اسلوب لم يسبق إليه ، فقسمه إلى عقود وجواهر ، تكلم في باب منها  
على موضوع خاص . فجاء وأفيا في الأدب العربي وتاريخ العرب و  
أحوالهم ، جامعًا لكثير من القصص والأخبار وأمام العرب وعلموه  
اللغة وكثير من المسائل الأدبية محتوية على جملة من الحكايات  
والنواذر والملح مما يحتاج إليه الأديب من شعر ونثر . فهو  
كتاب جليل لمن يريد الوقوف على أدب العرب .

جمال الدين أبو محمد بن يوسف السرقسلي المعروف بابن  
الاشتروكي<sup>٦</sup> كذلك يحد من علماء الأدب في الأندلس .

<sup>١</sup> ديوان خفاجة ص ٢٦ - ٢٧ <sup>٢</sup> ص ١١

<sup>٣</sup> ديوان ابن حمدايس ص ٤٨٦

<sup>٤</sup> ص ٤٨٣ <sup>٥</sup> (٢٤١ هـ - ٣٢٨ هـ)

<sup>٦</sup> المتوفى سنة ٢٥٨ هـ .



له خمسون مقامة أنشأها بقرطبة على منوال مقامات الحريري والتزم فيها ما يلزم . ولذا تعرف بالمقامات اللزومية .

وكذلك منه الشريسي، المنسوب إلى مدينة " شريس " من إحدى القوى الجميلة المتديمة في الأندلس، هو شارح مقامات الحريري . وكان شرحه دائرة محارف ثقافية واسعة وممدار من مصادر الأدب العربي المتديمة . هو حدير بجناية الأدباء والعلماء به واهتمامه بدراسته والد طلاع عليه، فوق أنه عظيم الشهية في دراسة الأدب العربي المتديم في الأندلس وبلاد الغرب لما تضمنه من طرائف وخصول قيمة وإشارات لطيفة عن الأدب الأندلسي وأعلامه . يقول السيوطي<sup>١</sup> في كتابه " أحمد بن عبد المؤمن موسى بن عيسى ابن عماد المؤمن القيسي الشريسي أبو العباس النحوي، شارح المقامات " . قال ابن الملك : كان مبرزاً في المحرقة بالندو ، حافظاً للغات ، ذاكراً بالأدب ، كاتباً بليغاً ، فاحصاً لثقة ، عني بالرحلة في طلب العلم ، وروى عن أبي الحسن ومحمد بن أبي ركب وابن خروف ، وخلق ، وعنه ابن الأبار وابن فرتون وأبو الحسن الرعيني ، وتملأ بإقراء المخطاة والأدب والعربية والعروحن . وله ثلاثة شروح على المقامات ، وشرح إلى يضح ، وشرح عروحن الشعر وعلل القوافي وشرح الجبل<sup>٢</sup> ومنتمى نوادر الفاني وغير ذلك . وله في العروحن تأليفات<sup>٣</sup> . وجب مشاهير قصائد العرب . قال ابن الأبار : " لقيته بدار شيخنا أبي الحسن بن حريق من جنسية قبل توفي إلى أشبيلية في سنة ٦١٦ هـ وهو إذ ذاك يقرأ عليه شرحه بالمقامات ، فسمعت عليه بحضه وأجاز لي سائده مع رواياته وتأليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية بعد معنده من مرسية " . وله شروح بمقامات

١ هو جلال الدين السيوطي  
٢ بغية الوعاة ص ١٤٢  
٣ الجبل للزجاجي  
٤ نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٦

الحريدي: كبير ووسط و صغير. وفي الكبير من الآداب ما ألفاء له.  
وقال ابن الأبار عندما ذكره إنه دشرح مقامات الحريدي  
في ثلاث نسخ، كبراهها الأدبية ووسطهاها اللغوية وصغرهاها  
المختصرة. وقد توفي بشريليش في ذى الحجة سنة ٦١٩ هـ.

ومن الأدباء كذلك الفتح محمد بن عبد الله بن خاقان  
الأشبيلى. ولد سنة ٤٨٠ هـ. وتوفي سنة ٥٢٩ هـ. ونشأ ببلا د -  
الأندلسي ثم دخل بلاد المغرب واتصل بمولاهما وكتب لبني تاشفين  
والف كتابيه "تلائد الحقيان" و"ملحج الألفس" وهما من أشهر  
ما كتب عن أدباء الأندلس وشعرائهم وقضائهم ووزراءهم.  
ثم "الملل والنحل" تكلم فيه على مذاهب الملاسنة ومعتقداتهم  
وفصل الكلام على الفرق الإسلامية.

ومن الأدباء المؤلفين أبو الوليد الباجي، ولد عام ٤٠٣ هـ وتوفي  
في أواخر القرن الخامس الهجري. وذلك عام ٤٧٤ هـ. ومنهم محمد بن  
الوليد الفهري المولود في سنة ٤٥١ هـ والمتوفى في سنة ٥٢٠ هـ. أبي  
الحملة أمية بن عبد العزيز بن أبي الحملة الأشبيلى المولود  
سنة ٤٦٠ هـ والمتوفى سنة ٥٢٩ هـ والكاتب محمد بن عبد ربه  
المالقي من أدباء القرن السادس الهجري.

وأما الندسين جددوا في النثر الفني وأتوا بالفكاهات والتجديدات  
والابتكارات منهم ابن شهيد صاحب "رسالة التوايح والزوايح"  
و"قصة حى بن يقطين"، لابن الطفيل، والمناظرات المتنوعة بين  
المدن أو بين السيف والقلم أو بين فمبول العام. ومع هذا ذكر المحققون  
أن صياغتهم في النثر تشبه صياغة المشارق وإن كان فيها أقل،  
هنا نحب أن نذكر شيئاً في "رسالة التوايح والزوايح" لأن هذه  
الرسالة أبرز شئ في تجديلات الأندلسيين. يقال إن هذه الرسالة

كتبت على طريق "رسالة الخفزان" التي صنمها أبو الحلاء المعري في المشرق. ونحن نعلم أن هناك مسابقة شديدة بين المغرب والمشرق في العلوم والفنون. ولذا نرى أنه كلما جاء شئ في أحاموهم خلقوا مثله في بلادهم. فلهذا أصبح أن رسالة التوايح والزوايح كتبت لمسابقة المشاركة. موضوعهما مشتركان، فكلاهما يخلق قاريهما في جو الاتفاق والتميزات الخيالية إنما الفرق هو أن "رسالة الحمران" تأتي بقارئها في السماء وتتلذذ بالجنة وجهنم والدور في العالم الخيالي. و"رسالة التوايح والزوايح" تأتي بقارئها إلى عالم الحزن. وهناك يتلذذ بسماع السباحة الأدبية والعلمية والشعرية وغيرها. كلا الرسالتين كتبتا في عهد واحد. ولكن إحداهما كتبت في المغرب وثانيهما في المشرق. وهناك اختلاف بين المؤرخين في تعيين تاريخ تأليف الرسالتين. يقول المستشرق المشهور الماني بروكلمان: كان عهد تأليف رسالة التوايح والزوايح سنة ٤٠٤ هـ بمطابق ١٠١٣ الميلادي هـ. ويقول زكي مبارك: هذه الرسالة قد ألفت حوالي سنة ٤٠٣ هـ و ٤٠٧ هـ. وحسب تحقيق بطرس البستاني كانت سنة تأليفها ٤١٤ هـ وسنة تأليف رسالة الخفزان ٤١٤ هـ بمطابق سنة ١٠٢٢ الميلادي. ويقال إن رسالة الخفزان ألفت بعد عشرين سنة من تأليف رسالة التوايح والزوايح.

وتكون تأليفهما في زمن واحد يظن بعض من المؤرخين أن المعري قد سرق السرفة الأدبية ولكن هذا الشك ليس له دليل قاطع لأن بين الرسالتين فرق واضح. كلاهما تأتي بهما جميعاً في العالم المختلف. إحداهما تأتي بهما جميعاً في عالم السماء وأخرهما تأتي بهما جميعاً في عالم الحزن. ومقصد هما واضح بتخليقهما هذه الابتكارات هو تمكينهما على حساده في هذا الميدان وإزالة المعتقدات الباطلة من أذهان

المبتدعين دأهل البدع المثال.

فإنه هي صورة موجزة أشد الايجاز لما امتاز به الأندلسيون  
في فنون الآداب ولسنا هنا بسبيل الاغاضة في الحديث عنها. وحسبنا  
أن نختار هذه المومضات بأن نقرر ميج نيكلسون " إن عصر ملوك الطوائف  
لم ينل شهرته أعاء من آخر في الفنون والآداب " له

## رحلة الأندلسيين إلى المشرق لكسب العلوم ومناقشتهم إياهم

قد تلمذ الأندلسيون لحكام المشرق وظلوا مثاقيرين به زمنًا طويلاً  
مكثوا يستقدمون أعلامهم ويحجزون لهم العطاء، كما كان طلاب العلم  
والمعرفة منهم يشتدون رحلتهم إلى المشرق يتلمذون الحماة  
فيرون كتبهم وينقلون أسانيدهم وطالما تباغتوا على كتب المشاركة  
دند لوافيهما أعلى الأثمان، وقد خضع كل من ابن بسام والمقرع قسماً  
من كتبه للأعلام الراحلين إلى المشرق وقسموا آخر لمواعدين منه. وكانوا  
حريصين على تقليد المشاركة في شعرهم وشعرهم ومصنفاتهم ويتقبون  
بألقابهم. فابن حبان متنبى المغرب وابن زيادون باحثى الأندلس  
والشاعر المنروفي محرم المغرب وأبو عبد الله الرضا في ابن روفي  
الأندلسي وحملة خلفاء المغرب كما سموا بلداً منهم بأسماء  
بلدان المشرق مثل حمص والرمصانة ودمشق. ولكن الأمازغ انقلب  
إلى المناخسة أو التحدى. فقام كثير من أعلامهم ينادون  
بالتخلف من هذه التبعية ويهتفون بالاستقلال، ومن  
أشهر حاملي لواء هذه الدعوة منذ بن سعيد وابن حزم وابن  
سام. وقد نهى الأخير على قوله أنهم "أبوا إلا بد متعاجة المشرق".  
حتى لو نطق بتلك الآفاق غراب أولئك الباب لجثوا على هذا منأ  
وتلوا ذلك كتاباً ملكاً، وألف الدخيرة ليتحدثي يتيمة المدح  
للتعالبي. وألف ابن زيادون كتاب التبيين في خلفاء بني أمية  
بالأندلس مبارك فيه كتاب التعيين في خلفاء المشرق للمسيحي  
وألف أبو الفرج الجياني كتاب الحقائق مناقب كتاب الزهيرة  
الأصفهاني<sup>٥</sup>. والحقيقة أنهم أخذوا يتميزون عنهم ويحاذون  
التفوق عليهم فابتدعوا المؤنشات والزجل وضربوا بسهم ما أثب  
في كل ميدان. وإلى هذا يشير الدكتور فلب حتى بقوله "كانت

١ نفح الطيب ٢٤٢، ٢٤١/١ ٢ خلافة ج ١٤٥

٣ خلافة ج ١/٣ ٤ نفح الطيب ج ٢٣/١٢٣

٥ خلافة ج ٢/١

الثقافة الشرقية في القرون الأولى التي مرت على السطة الإسلامية في الأندلس لتسرحا ليم بامن مستوحى عال . غير أن الآلية انعكست في القرن الحادي عشر الميلادي " الخامس الهجري " والقرون اللاحقة كما يستدل من سير ابن زهر والباهلي إلى المشرق لإمادة أهله ، وقد منح سبيل المعارف الأندلسية في القرن الثاني عشر بحيث ظمأ على أوربا انفسها<sup>١</sup> وإلى هذا يشير تريند TREND بقوله " لم ينبغ أعلام مفكري أسبانيا الإسلامية في عصر خلافة قرطبة الزاهر بل في عمور الفومني السياسة التي أعقبت ذلك العصور<sup>٢</sup> . " ولما يقول منديم مرعشلى " إن أبرز ما اتسمت به الحقبة التاريخية الأولى من أيام العرب في الأندلس ، هو تأثير الأندلسيين بالمشاركة ، والتأخذ عن دمشق وبغداد ، فشمل ذلك أغلب المناحي الفكرية والجماعية والنهج السياسي ، كما شمل العلم الأدب والفن . وكان كل ما يرد من المشرق مقبولا مفضلا في الربوع الأندلسية . وكان الأندلسي ينظر إلى المشرق بكل احترام وإجلال حتى بلغت حمى التقليد أسماء المدن وألقاب الحكام والملوك والشعراء ، فكان الناصر والمستكن والرمافنة وحمص ، كما كان متنبى المغرب ومهري المغرب وخنداء المغرب<sup>٣</sup> ، ويقول الساكطور احسان عباس في كتابه " وإشتغل الأندلسيون بكتب المشاركة دراسة وشرحاً ومحاضرة وردا واختصارا إلى جانب ما ألفوه في شتى العلوم من فقه ولغة ونحو ومجتمعات وتاريخ وحديث وكتب في التراجم والدراسات الأدبية<sup>٤</sup> " كما ذكرنا أن المقرئ نقل في كتابه أسماء كثيرة زائدة على المائة للمدين رحلوا إلى المشرق لتدصيل العلوم والفنون . فنجدهم قد استقروا في الشرق مستقلا ولكن أكثرهم رجعوا إلى الأندلس وأعادوا الناس عامة لكن تساوى الأندلس في مبارات السابق في ميادين العلوم والآداب . سواء كان هذه

<sup>١</sup> تاريخ العرب . ٦٨٧/٣      <sup>٢</sup> تراث الإسلام ج ١ ص ٥٦

<sup>٣</sup> مدخ من ديوان ابن زيدون مع دراسته لقصيله ص ٧/٦

<sup>٤</sup> تاريخ الأدب الإسلامى ص ٥٩

إلى منادة في شكل الدرس والتدريس أو في شكل التخصيف والتأليف. ذكر ابن الفريسي أيضًا في كتابه أسماء الذين رحلوا إلى المشرق للاستفادة. فمننا من تلحق أن نذكر في حقه مراجع أصلية لبعض أسماء الذين رحلوا إلى المشرق لكسب العلوم والفنون.

(١) من العلماء الأندلسيين الأجلاء يحيى بن يحيى الميثقي المتوفى سنة ٢٦٤ هـ بقرطبة قد سافر إلى المشرق وسنه وقيل ثمان وعشرون سنة. وتلقى العلم على أستاذه مالك بن أنس الذي أملى عليه كتابه المعروف بالمؤلف. وبه اشتهر مذهب مالك في الأندلس، وحديث أن كان يحيى بن يحيى الميثقي ذات يوم في أحد دروس مالك ومعه عدد من الطلاب رفقاءه، فقال قائل: "خضر الفيل" فبروا جميعًا لرؤيته ولم يتحرك يدي من مكانه، فسأله مالك: "لم لم تذهب لتراه وليس في بلادك مثل هذا الحيوان؟" فأجابه يحيى: "لقد تركت بلاد الديار وأتلقى عندك الدروس ولم آت هنا لرؤية الفيل". فسر مالك هذا الجواب وقال عنه إنه عاقل الأندلس. ولما عاد يحيى إلى إسبانيا بدل كل ما في وسعه لنشر تعاليم مذهب مالك، ولئن كان يحيى هذا اعتدأ صليب تورعه ونسكه على رخص أحمى منصب من المناصب العامة فقد عظم تأثيره بذلك وذاع صيته إلى حد أن وصل - كما يقول ابن خزم - إلى أنه كان لا يولى قاض في الأندلس إلا بعد أن يؤخذ رأي يحيى فيه وإلا بعد أن يبين من يفضل له على سواه من الناس.

(٢) القاضي أبو عبد الله محمد بن أبو عيسى المتوفى سنة ٣٣٩ هـ. هو كان ابن ابن يحيى بن يحيى الميثقي هو أيضًا رحل إلى المشرق لكسب العلوم الدينية. وبعد رجوعه إلى الأندلس ولي على منصب القضاء يكون قضاة مبنياً على العدل سواء كان النزاع بين عامة الناس أو ثوأمهم.

ابن المنذر الحقيلى وابن ابي عرابى كانوا من أساتذته ويقال أنه كان  
دووعا بالشعر أيضاً .

(٣) ومنذر بن سعيد البلوطى المتوفى سنة ٣٥٥ هـ . هو قد سافر  
إلى المشرق لزيارة بيت الله العزيز وقد سمع هناك من محمد بن  
المنذر النيسابورى . وقد تتلمذ فى ادائل عمره على عبيد الله بن  
يحيى بن يحيى وأقتسب منه . ولما رجع من المشرق سنة ٣٣٩ هـ .  
وتلى قضاء قرطبة . وقد توفى فى عهد خلافة الحكم الثانى سنة ٣٥٥ هـ .  
(٤) ابوبكر ابن العربى . رحل إلى المشرق سنة ٤٨٥ هـ وسافر إلى الشام  
والعراق والبخدا واستفاد من كبار أهل العلم . وقد رجع زائراً بمصر  
والاسكندرية إلى الأندلس سنة ٤٩٣ هـ ما كان تخليه من الفضل  
والكمال . وهو أيضاً قد تمكن على منصب القضاء وصار قاضياً شبيبة .  
أنه ولد سنة ٤٦٨ هـ وكانت وفاته سنة ٥٤٣ هـ . إنه قد صنف  
تصانيف كثيرة كما ذكرها المؤرخون والمحققون مثلاً (١) " القبس فى شرح  
موطأ مالك ابن أنس " (٢) " ترتيب المسالك فى شرح موطأ مالك " .  
" أنوار الفجر " (٤) " أحكام القرآن " (٥) " عارضة الأودى فى شرح  
الترمذى " (٦) " سراج المريد " (٧) " المشكلين : مشكل القرآن والسنة " .  
(٨) " الناسخ والمنسوخ فى القرآن " وغير هذه التصانيف التى ذكر بعضها المحقق  
هى لاتعد ولا تحصى . ولذا حاجة لنا إلى استقصاء كتبه فحسبنا ما ذكرنا  
من مصنفاته . مثال صاحب قامة الأدب فى الأندلس له فتلأ  
عن ابن خاقان " علم الأعلام الطاهر فى إجاب الباهر فى باب الدنيا أنس  
ذكاء إياس وترك التقليد للمقياس وأنتج الفرع من الأمل وغدا فى  
يد الإسلام أمضى من الضمير سقى الله به الأندلس بعد ما أجدبت  
من المحاريف وما عليه من الفضل الوارف فكساها رونق نيله وسقاها  
ريق وبله وكان أبوه بأشبيلية بداراً فى فلكها " . إن هذا الاقتباس



المذكور ليد بن خاقان الذي كان مهاجراً ابن العربي ومن الأدباء والعلماء البارزين في ميادين العلم والأدب البتة كان ابن العربي كبيراً في العمر. ولكن وهناة ابن خاقان كان قبل وفاة ابن العربي .

(٥) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جدر رحلته إلى مصر اكتسب من أبي الفرج المصوفي وأبي محمد بن النحاس وأبي القاسم الطحان وغيرهم علوم الحديث والقرآن والفقه . هو كان أديباً شاعراً ولغوياً أكثر تصنيفاته في علوم القرآن والحديث . ولكن المؤرخين لم يذكروا أسماء تصنيفاتهم . وقد توفي رحمه الله سنة ٤٥٥ هـ .

(٦) وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن سيار المولود سنة ٢٦٣ هـ والمتوفى سنة ٢٢٨ هـ من الراحلين إلى إخوانه المشاركة والمكتبيين عنهم شتى العلوم والمعارف . لا نجد سوى ما ذكرنا في ترجمته في كتب المؤرخين .

(٧) وأبو عبد الله محمد بن محمد خير دن لم نجد تاريخ ولادته وقد ذكر تاريخ وهناة المقرئ حيث كانت وفاته سنة ٢٠٦ هـ هو أيضاً من المتلمذين أمام المشرقيين ، وحي أي ميادين العلم والمعارف نبغ كتب التاريخ مما تمت في هذا الباب له

(٨) أبو الوليد الباجي هـ ولد سنة ٤٠٣ هـ وقد توفي سنة ٤٧٤ هـ قد سافر الباجي إلى العراق وبغداد ودمشق وغيرها من البلاد لطلب العلم واستفاد من أهلها النابغين ، ما أثره كثيرة منها : « مختصر الفقه » إلى شارة في أصول الفقه « الحدود » « اختلاف المعطيات » و« سنن الصالحين » فلا ندرك هل هذه الآثار المذكورة موجودة أم اصطبلت بأيدي مدور الأيام الطاحنة .

(٩) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح المعروف بابن حزم . هو كان أولاً شافعي المذهب ثم تحول إلى

ظاهري المسلك . لأنه نهل من منابع المشاركة غير مصرد ونسج  
في صيادين العلوم والمعارف . مآثره كثيرة في الأدب والفلسفة  
والمنطق والعلوم الإسلامية منها " الفهم بين أهل الأهواء والذلل "  
" المصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على  
فرق التقليد " " حقوق الإمامة " وغيرها من المصنفات الكثيرة التي  
قد ذكرنا بالتفصيل في ترجمته في هذا البحث . وإنما ذكرنا إسمه  
لأنه هو أئمة في الراحلين إلى المشرق والمكتسبين من منابع المشاركة  
الخاصة . بعد رجوعه من المشرق إلى الأندلس قوبله المعتمد  
والمعتز صاحباً شبيلاً . وقد توفي سنة ٤٥٦ هـ .

(١٠) وأبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف المعروف بالطرموشي  
قد نسج في شتى العلوم بعد اكتسابه عن المشرقيين . قد ذكرناه  
مصنفات المقرئ في كتابه فليرجع الطالب إليه .

(١١) خلف ابن القاسم بن سهل بن دباغ الأندلسي نسج في الحديث  
الشريف بعد جهد شاق في مصر . وحينما رجع إلى مولده الأندلس  
أفاد الناس عامة من علمه المصافي . وقد توفي سنة ٣٩٣ هـ .

(١٢) أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله الأزدي الحميري  
المولود سنة ٤٢٠ هـ . والمتوفى سنة ٤٨٨ هـ هو كان أئمة من الراحلين  
إلى المشرق والمكتسبين من المشاركة . وبعد تدهيل العلم والمعارف  
رجع إلى الأندلس وأفاد الناس عامة . ومن مآثره " جذوة المقتبس "

في أخبار علماء الأندلس " " من ادعى الأمان من أهل الإيفان " المذهب  
المسبوك في وعظ الملوك " " تسهيل السبيل إلى علم التوسيل " " تاريخ  
الإسلام " " الأمان المصادقة " " النخبة " " أشهر كتبه " الجمع  
بين المحدثين . و يقال إن كتابه " جذوة المقتبس " ألف في قيامه  
بيضا .

له فنج الطيب	ج ٢	ص ١٨
له أيضاً	ج ٢	ص ١٠٥
له أيضاً	ج ٢	ص ١١٣ - ١١٤

(١٣) ابن عبد ربه : - هو أئمة من الراحلين إلى الأندلس. أشهر كتبه الذي لا نظير له في الموضوع والمواد هو "العقد الفريد" وقد ذكرنا ترجمته حينما كنا نحققنا عن رغبة الأندلسيين في كسب العلوم والفنون بالتفصيل. فإلا حاجة لنا إلى إعادته مرة ثانية .

(١٤) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن زهير الأندلسي القرطبي المعروف بإبن الأزدعي. وكان كنيته أبو محمد أئمة. قد تمكن على المراتب العليا من العلم والفضل بعد تحصيله العلوم والفنون من المشاركة بالمشاهدة. إنه قد تعلم أمام كبار أهل العلم في المشرق ونجح في العلوم الدينية. ولذلك بعد رجوعه إلى الأندلس عين على منصب القضاء في مدينة "بلنسية" في عهد محمد المهدي المرواني. هو كان متمكنا على علوم القرآن والحديث والفقه وأسماء الرجال والأدب. ذكرت مصنفاته في أكثر كتب التاريخ منها "تاريخ علماء الأندلس" "المؤلف والمؤلف" له "أخبار شعراء الأندلس" وغيرها مشهورة جدا. ذكر المؤرخون سنة ولادته ٢٥١ هـ وسنة وفاته ٤٠٢ هـ. يقال إنه قتل في قرطبة بيد بربر ولد اندلسي سبب قتل ٩ لأناله نجد سبب قتله في كتب التاريخ.

(١٥) أبو محمد عبد العزيز أحمد بن السيد بن المفلس القيسي الأندلسي البلنسي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وبأختلاف رواية سنة ٤٢٩ هـ. هو كان عالم جيد للغة العربية وآدابها. هاجر إلى مصر وأقام هناك مستقلا. استفاد من صاعد اللخوي صاحب "كتاب الفصوص" علم اللغة وآدابها. وأنه سافر إلى بغداد في طلب العلم واكتسب من علماءها وأدباءها. هو كان صاحب ذوق الشعر والأدب بل إنه كان شاعرا جيدا وأديبا ممتازا. ولكن لم نطلع على تصانيفه ولم يذكر

أحد من المؤرخين .

(١٦) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو ولد سنة ٣٧١ هـ . وقد توفي سنة ٤٤٤ هـ . سافر إلى مصر سنة ٣٩٧ هـ . كان عمره وقتئذ ٢٧ سنة . واستفاد من علمائها الدينية خاصة . قال المقرئ في مصنفاته أنها تبلغ إلى عشرين ومائة التي لم يبق منها شيء في عهدنا هذا . قد ألفتها مرور الأيام . ويقول ابن بشكوال : " كان أبو عمرو وأحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه ولطوقه وأعرابه وجمع في ذلك كله توالييف حسناً " .<sup>١</sup>

(١٧) اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله الخافقي . كان أصله من جنسية وأقام في مالمية والعربية وكانت كنيته أبو يحيى . سافر إلى مصر سنة ٥٦٠ هـ وأقام هناك مستقلاً . ذكر المقرئ ما أثره منها " المعرب في مدائن أهل المغرب " . هذا التأليف في عهد قيامه في مصر مستقلاً .  
إليه توفي سنة ٥٧٥ هـ<sup>٢</sup>

(١٨) محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد التليبي . كنيته أبو عبد الله . أصله من أشبيلية إنه قد تشرف بزيارة بيت الله وحج ووجد ذلك قرض آخر حياته في تلمسان . وقد توفي هناك سنة ٦١٠ هـ . يذكر المقرئ أن له مصنفات كثيرة لا تعد ولا تحصى<sup>٣</sup> . ولكنه لم يذكر أيها منها .

(١٩) عبد الله بن رشيق القرطبي . هاجر إلى القيروان مستقلاً والمتسب ونهل من علمائها . هو كان أديباً شاعراً . يقال إنه كان يرجع بعد الحج توفي في الطريق . وبعض يقول إنه كان يذهب للحج فجاغت الفنية في الطريق سنة ٤١٩ هـ .

---

١	نقل عن نفح الطيب	ج ٢	ص ١٣٦
٢	نفح الطيب	ج ٦	ص ٣٧٩
٣	أيضاً	"	"

و قد ذكر المقرئ في كتابه " نفح الحبيب " أسماء الراحلين إلى -  
المشرق لطلب العلوم والمعارف حوالى ثلاث مائة رجال . من أكثر  
الراحلين قد رجوا إلى موطنهم ومولدهم وأنادوا أهل وطنهم في طرق  
شتى وتركوا آثار لا تعد ولا تحصى ولدياتي أحد مثلها ، لا نظير لها  
ولا مثيل في العالم كله ولا يغنى عنها أحد شئ في الأرض .

---

## الباب الثالث

- (١) الحضارة الأندلسية
- (٢) الحضارة السياسية بالأندلس
- (٣) الحضارة الاقتصادية
- (٤) الحضارة العمرانية
- (٥) الحضارة الاجتماعية

## الباب الثالث

### الحضارة الأندلسية

يقول صاحب "الأدب العربي وتاريخه" <sup>(١)</sup> : كانت عناصر الشعب الأندلسي مكونة

من ثلاثة عناصر :

(١) العرب الذين دخلوها فاتحين ونزحوا إليها من الشام وغيره من القبائل المضرية

واليمانية -

(٢) البربر الذين ظل العرب يعانلون أمرهم ويختلطون بهم منذ اختلط عقبة بن نافع

مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ ، وقد أسلموا ثم ارتدوا ، وكان ذلك منهم اثنتي عشرة مرة ،

كما يذكروهم ، ثم ثبتوا على الاسلام ، وتلاقوا قرآنه متعبدين ومتفقهين في دين الله

(٣) سكان البلاد الذين قبلوا الإقامة بين ظهراني العرب ، راضين بحكمهم ، مغتربين

بعد التهم ، من نصارى ويهود - وقد أقبل عليهم العرب الضالمون ، ينتفعون بمواهبهم ، في إدارة

البلاد ، فحسبوا اليهود منهم الذين أظهروا للفاطميين إخلاصاً أدى إلى الثقة بهم والاستئمان إليهم ،

فكان من نتائج ذلك أن تولى الوزارة في غرناطة اليهودي المعروف بابن تغذالة ، استوزره

ابن باديس (٢) ، صاحب غرناطة ، وقد قتل هذا الوزير اليهودي سنة ٤٥٩ هـ -

وأظهر هذه العناصر العرب ، وهم حكام البلاد وساستها وقوادها وقد عثر

عدد هم في الأندلس حتى كانت بعض الأنساب بالشرق مفقودة وفي الأندلس متصلة كما في

نسب الأنصار الذين كان منهم في الأندلس عدد كبير ، وكان الأثر لذلك ذيوع اللغة العربية

على الألسنة وخفتها في الأفواه واتخاذ الجميع لها لغة تخاطب ينطقون بها لغة سليمة

فصيحة أو يصرفونها تصريراً قليلاً -

فهذه هي العناصر التي كانت في الأندلس متقلة - فقد رأينا من المناسب أن

نشير إشارة موجزة إلى ينابيع الحضارة الأندلسية ومن شاء الاسهاب فليرجع إلى أصول

هذه الحضارات <sup>(٣)</sup> -

أولاً : ينبوع الروحي المتدفق من تعالىم الدين الاسلامي الخفيف - فقد استطاع هذا

الينبوع الفيض أن يغمر بمصراء الجزيرة العربية بنميره العذب فيجعلها إلى جنة وارقة

(١) الأدب العربي وتاريخه ج ٣ ص ٤٦ -

(٢) من ملوك الطوائف -

(٣) المباحث تحت الحضارة الأندلسية هي ملخصة من كتاب على عبد العظيم ابن زيدون

عصره وجيادته وأدبه" ص ٤٨ - ٦٨ -

الظلال ويبتعث فيها قوة معنوية أيقظت مواهبها الخاملة وتبهرت عقولها الخافية وفتحت أمامها كتاب العون فاقبست منه أطيب الجنى وأعذب الثمار . وما زال بها يحتشها على النظر في ملوك السموات والأرض وعلى دراسة آثار الأمم الفائرة للعظمة والاعتبار فاندفعت لتحث تأخير هذا الحافز الدني القوي للبحث والدراسة والتأمل فأنكشفت لها طرائق شتى من المعرفة وسبل عديدة من المدينة والعمران ، وقد حمل العرب معهم إلى الأندلس تعاليم هذا الدين الحنيف وطلو ما أثر في بوحية متجهين إلى قدسه مستهدين بهدية القوليم ثانياً : الحضارة العربية بالشرق فقد ازدهرت حضارة بغداد وتألفت في الخافقين متأثرة بالحضارات القديمة من يونانية وفارسية وهندية إلى جانب ما تلقفتها من تعاليم دينها الحنيف . ولقد ظل علماء الأندلس يستفهيون بهنوء إخوانهم بالشرق فيستقدمون علماءهم وأدباءهم ويرسلون إليهم طلابهم ويتأثرون بهما هجهم فيقلدوهم حيناً وينافسونه حيناً إلى أن أخذوا يستقلون عنهم بعض الاستقلال بعد القرن العاشر للميلاد " القرن الرابع للهجرة "

ثالثاً : الحضارة الرومانية بالقسطنطينية وهي ورثة الحضارة الاغريقية والرومانية وكانت تتجلى في فنون النحت والنقش والبناء وتعمري ان السفارة كانت متبادلة بين حكام الأندلس وحكام الامبراطورية الرومانية الشرقية . وكانت الهدايا بينهم متبادلة . وقد تلقى عبد الرحمان الناصر من امبراطورها هدايا عديدة في تشييد مدينة الخالدة الزهراء ما بين أعمدة رمامية وتماثيل مذهبية وأحواض مرمرية وغيرها من التخف والألطاف . وكانت هذه الهبات رداً على هبات بغداد بالفرنجة أعداء الأندلسيين الألداء . (١)

قد أطلق على عبد العظيم علي بن ابيح ثلاثة للحضارة الأندلسية أسماء فقد أطلق على الأولى الحضارة الروحية وعلى الثانية الحضارة العلمية وعلى الثالثة الحضارة الفنية . ولا شك في أن الأندلسيين استطاعوا أن يتمثلوا هذه الحضارات جميعها وأن يلبسوا على أساسها حضارة قوية مزدهرة تحمل طابعه الخاص وينسجم بها امتازوا به من مواهب وعقريات . واستطاعت هذه الحضارات القوية أن تتدفق على العالم العربي وأن تكون مهدراً من أهم المصادر في إيقاظ أوربا من سباتها العميق . والآن نكتفي بهذه الأمثلة فلو أردنا الاستقصاء لطلنا بنا الأمد والتسع الجال . ويجدر بنا أن نتكلم عن مظاهر هذه الحضارة من حيث جوانبها السياسية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية . وسنراعى الإيجاز بقدر ما تقتضيه الضرورة ونهتف به الجبان



## الحضارة الأندلسية بالأندلس - قسمها على العظم حسب الضرورة إلى

النظم الحكومية السائدة في هذه الفترة وعلاقة القائمين على هذه النظم بطبقات الشعب ومهنة المحكومين إلى الحاحم والحاجب والوزير والكاتب والقاضي ومبادئ الشرطة وعيره - ففي منوع ما عتب على عبد العظم تلظهر تعريفات وتفصيلات هذه الاصطلاحات الشائعة في الأندلس -

كانت الأندلس محكومة بوال من قبل خليفة دمشق أو واليه على المغرب. ثم استقلت الأندلس عن المشرق منذ عهد عبد الرحمان الداخل ولكنه لم يتسم بأسمه الخليفة لاهو ولا أبناؤه حتى عهد الناصر. ثم أعلن عبد الرحمان الناصر لنفسه خليفته للمسلمين ويسمى باسم أمير المؤمنين حينئذ لا حظ من ضعف الخلافة العباسية بالشرق<sup>(١)</sup> فلما انقسمت البلاد إلى طوائف واستقل كل أمير بأقليمه يسمى بالوزير أو الحاجب ثم بأمر المؤمنين في أخريات هذا العهد - عما قال الشاعر :

وتفرقوا شيعاً ، فكل مطلة فيها أمير المؤمنين ومنبر<sup>(٢)</sup>

ونرى أن ابن زيدون الذي هو موضوع بحثنا الأصيل خاطب أبا الحزم ابن جهور بلقب الوزارة أكثر من مرة - مثلاً :

أي هذا الوزيرها أنا أشكو والعصا بدء قرعها للحليم<sup>(٣)</sup>

وقوله :

وزير سلم كفارة بين طائره شئوة الصروب ورأى محمد المرر<sup>(٤)</sup>

وعما أشار إليه عدة مرات بلقب الملك - مثلاً قوله :

ملك أطاع الله منذ موفق مازال أو أبا إليه منيباً<sup>(٥)</sup>

وعذالك نلاحظ أنه خاطب ابنه أبا الوليد بن جهور بلقب الوزير حينئذ والملك حينئذ<sup>(٦)</sup> وخاطب المحتشد بلقب الملك<sup>(٧)</sup> في القصائد ٥ و بلقب الحاجب في رسائله - والنشار إلى المعتمد

(١) لفتح الطبيب ١/١٣١ -

(٢) بغية الملقش من ٣٠ -

(٣) ديوان ابن زيدون ص ٥١ -

(٤) الديوان من ٩٥ -

(٥) = ص ٧١ -

(٦) = ص ٨١ ، ١٣٣ -

(٧) أيضا من ٣٧ ، (١) ، ٢٠٨ والخليفة ١٢٠ ص ٣٣٩ - ٣٤٢ -

بلقب الحاجب في حياة أبيه<sup>(١)</sup> و بلقب الملك قبل ولايته الحكم<sup>(٢)</sup> وبعد ولايته<sup>(٣)</sup> و  
خاطب الخضر ابن الأفطس صاحب بطليوس بلقب الحاجب في رسالته إليه بفتح مرات<sup>(٤)</sup>  
و بلقب الحاجب حيناً والملك حيناً في قصيدته إليه<sup>(٥)</sup> ومن هذا نرى أن الألقاب  
لم تكن محددة تحديداً دقيقاً، ونلاحظ أن نظام الحكم بقرطبة واشبيلية كان  
جمهورياً في مبدأه ثم القلب إلى ملكي وراثي. وكان الرأي العام يتدخل أحياناً في  
عزل الحاكم وتولية حاكم آخر كما رأينا في الفترة السالفة لقيام بني جهور  
بقرطبة. وكان الحاكم مطلق التعريف وعنه كان كثيراً ما يستشير الوزراء و  
يرجع إلى رجال الدين حيث كانت الشريعة الإسلامية هي دستور الحكم. وإذا  
عن الحاكم أن يضر عليها فإنه كان يباشر هذا سراً أو يلتمس الفتوى من بعض الفقهاء  
وإذا استهترده الشعب إلى القاتلون السماوي أو أنزل له عن عرشه وفتاح به أو لفاه  
كما حدث مع المستكفي بالله الذي كان صاحب قرطبة قبل إقامة الحكم الجمهوري.

**الحاكم** : كان الحاجب في أول الأمر خاضعاً لسلطان الخليفة. فلما منع الخلفاء  
استبدد الحاجب بالأمر وفرضوا شبه وصاية على الخلفاء. وكان ملوك الطوائف يعدون  
هذا اللقب تشريفاً لهم قبل أن يتسموا بالخلفاء. أمراء المؤمنين كان منسوب الحاجب في  
عهد بني أمية بالأندلس يعاد لشرفه يحون مقهوراً على بيوت مولومة مثل بن جدير  
وبني شهيد وبني جهور. هذا المنصب كان يشبه رئيس الديوان أو وزير القصر في عصرنا الحديث.  
**الوزير** : كان اسم الوزارة عامّاً على كل من يحالسر الملوك وليختص بهم. فكان  
الحاكم يستشير من يشاء عنهم فيها يعرض له من أمور المملكة ثم اختار الحاكم من  
بين وزرائه أربعة ناطقاً منهم بعمل وهم : وزير المالية ووزير الخارجية ووزير  
إدارة القضاء والنظر في شئون المظالمين ووزير الشئون الحربية. ثم ميّز  
هؤلاء الأربعة بلقب ذي الوزارتين "المشورة والحكم"<sup>(٦)</sup> وكان هذا اللقب  
من أو مناع بني العباس ومفاه وزارة القلم والسيف. وأول من تلقب به  
عبد الملك ابن شهيد سنة ٣٢٧ هـ في عهد عبد الرحمان الناصر<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه ص ١، ٣، ٩، ٣٠.

(٢) أيها ص ٢٤٧.

(٣) أيها ص ١٨٩.

(٤) الأخيرة ج ١ ص ٣٣٣.

(٥) ديوانه ص ١٢٤، ٢٢٥.

(٦) "A Short History of Saracens". P. 572-573

(٧) الملل السند سيئة ج ١ هاش ٢٥١.

ويقول ابن خلدون ز<sup>(١)</sup> "إن الوزير الذي ينوب عن الملك يسمى ذا الوزارتين كنية على أنه يملك زمام السيف والقلم" على أنه ليس من الضروري أن يكون نائب الملك حاملاً للسيف والقلم. نحن نعلم أن ابن زيدون يعمل هذه اللقب ولم نعلم أنه باشر حرباً في حياته. ولهذا نرجح رأى أمير على ونراه ينطبق عليه لأنه كان مشيراً و كان سفيراً يباشر شؤون العلامات الخارجية. ويؤكد هذا الرأى ما ذكره المقرئ من أن اسم الوزارة صار عامّاً. "لحل من يحبس المملوك ويختص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلاً فمن علم الأدب. وقد لا يكون كذلك بل عالمًا بأمور الملك خاصة"<sup>(٢)</sup> وكان صاحب يشرف على الوزراء ويتصل رؤسًا بالسلطان. فيتلقى أوامره ليبلغها إليهم أو يتولى تنفيذها. وكانوا يجلسون في اليوان واحد بيد أن عرسى الرئيس كان أعلى من عراسى بقية الأعضاء<sup>(٣)</sup> ولما نهضت الإمارات الأندلسية وهناك أمرها يسمى باسم الوزارة كل دعوى. وفي هذا يقول العمري: "سألت الشيخ العلامة لحن الدين أبي عبد الله محمد بن التولج عن رتبة الوزير بالمغرب فقال ليست لطائل ولا لصاحبها شيء من الأمر بل هو كالباوليش يخرج قدام السلطان ليوم الجمعة حقيقة دون السمعة"<sup>(٤)</sup> ومهما يكن في هذا الرأى من مغالاة أملت لها المنافسة بين المشرقة والغاربة فإن لها نصيباً من الحقيقة وبخاصة في عهد التدهور والانحطاط.

**الكاتب** : هو كان مشرفاً على كل مصلحة من مصالح الدولة. وكان لحاتب الرسائل مكانة مرموقة واللقب سمة تشريف له. وإن كانت السنة الفداد متجهة إليه تسمى عليه عشراته. و

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٩

(٢) لفتح الطيب ١/ ١٣٣ : ١٣٤ (والألقاب الإسلامية)

(٣) تاريخ العرب ٣/ ٦٢٧-

(٤) "A Short History of Saracens". P. 572-573

وهناك كاتب الزمام أو الجيهبذ ويقال له صاحب الحزاجية ، و  
يشترط فيه الاسلام وهو أكثر من الوزير أتباعاً وأجدي متفعيةً  
فإذا تأملت حالته وطهر عليه ما يريب هو درت أمواله<sup>(١)</sup>  
ولقد طغى نفوذ بعض الكتاب حتى فاق نفوذ الوزراء - ونرى مصداقاً  
لهذا في حياة ابن زيدون فإنه بعد أن حل مكاناً أثيراً في  
بلاط المعتنق منار شاعر المفضل وسمي به الأثير ووزيره الفخير  
تطلع إلى منزلة الكتابة لديه - ولما غلب المعتنق على كاتبه  
ابن عبد البر وأراد أن يعهد بمكانه إلى أبي محمد بن أبي سعي  
ابن زيدون لبوسا ثله وبواسطة أصدقائه لدى المعتنق حتى ظفر  
بهذا المنصب العظيم<sup>(٢)</sup> وكان لا يتولى هذا المنصب إلا وزير خبير - بل  
كان الكاتب المتولى شؤون الضراح أعظم من الوزير وأكثراً أتباعاً  
وأصحاً<sup>(٣)</sup>.

### القاضي

٤: منصب القضاة فخير لا يتولاها إلا عالم دين ينفذ قضاؤه  
في الخير والهيغار حتى في الماعم نفسه وإلى هذا يشير ابن الخطيب  
بقوله: "كانت للقضاة بها المنزلة العالية والرتبة السامية  
مع كون الخلفاء منقادين لأحكامهم وافقوا عند لقضاهم وإبرامهم"<sup>(٤)</sup>  
ولا بد أن تتوفر فيه شروط عشرة لا يتم للقاضي قضاؤه إلا بها :  
الاسلام والعقل والذكورة والحريية والبلوغ والعدالة والعلم وسلامة  
حاسة السمع والبهر والبعد من العمى والهمم وسلامة حاسة  
اللسان من البكم وكونه واحداً أكثر - فلا يمح أن يقضى إثنان  
معاً في قضية واحدة . وشروط العمال عشرة ، منها أن يكون غير  
مهدود وغير مطعون عليه في نفسه بولادة اللعان أو الزنا وغير فقير  
وغير أحمى وغير مستضعف وأن يكون قبطاً نزيهاً مهيباً حليماً مستشيراً  
لأهل العلم والرأي<sup>(٥)</sup> وكان للقضاة في الأندلس مشاورون على

(١) مسالك الأبحار ٢٢٤/١ لقلاً عن ابن زيدون لعلى عبد العظيم ص ٥٧ .

(٢) الخليفة ١٢ ص ٣٩٠ .

(٣) الحل السدسية ٢٥١/١ .

(٤) أعمال الأعلام ١٢٩/٣ .

(٥) تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٤ ، وتبصرة الحكام ١٨/١ - ٢٠ .

لا يصدروا إلا عن أراءنا منجبة<sup>(١)</sup> - وهذا يشبه إلى حد ما نظام المحلفين في العصر الحديث - وكانوا لا يقدمون للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول إختباره ولتقديله مجالس المذاكرة ويحورون ذمال في غالب الأحوال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيمافى أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين - فإذا كان له من الغنى ما يكفيه عن أموال الناس ومن الدين ما يهدده عن محارم الله تعالى ومن العلم ما لا يجهل به التهور فافى الشرعية أبحواله<sup>(٢)</sup> الفتوى والشهادة وجعلوا له علامة لذلك بين الناس القلائس والرداء<sup>(٣)</sup>.

**صاحب الشرطة** : هو رئيس الجند العاكفين بحفظ النظام والأمن ويتمتع بنفوذ كبير ويسمى بصاحب المدينة أو صاحب الليل. وللقاضى حق الاشراف على الشرطة ورؤسهم - ومهمته القهضاء فى الجنايات والمخالفات التى لا تدخل فى اختصاص القاضى من شؤون الحياة اليومية<sup>(٤)</sup> - لأنرى حاجة للحديث الطويل عن الجيش والأسطول لأن هذا لا يتصل بموضوعنا من قريب أو بعيد -

**الرأى العام** - : الرأى العام له أهمية خاصة فى الأندلس لأنه على الرغم من الحكم المطلق الذى كان الماعم يتمتع به فقد كان هناك رأى عام يراقب الماعم ويملى عليه رغباته فى الشؤون الهامة بل كان يعزل الماعم أحياناً يضطربه<sup>(٥)</sup> - ويغير الأسر الماعمة بأعمالها - مثلاً أسقط أهل قرطبة أسرة الحاحب المنهور وأعادوا الأمر إلى بنى أمية ثم عزلوا بعض دعاةهم وولوا آخرين ثم أسقطوا أسرتهم و باليعوا أسرة بنى حمود ثم أسقطواهم وعادوا إلى بنى أمية ثم عزلوا هذه الأسرة نهائياً باليعوا ابن جهور فى حكومة شوربية جمهورية ثم حملوا ابن جهور على الاعتراف بهشام الدعى على الرغم منه - وكانت قوى الرأى العام تتمثل فى

(١) غابر الأندلس وهاجرها ما مشى ٨٩ -

(٢) لفتح الطيب ٣/ ١٤٤، ١٤٥ -

(٣) "A Short History of saracens." P. 574 (٣) -

(٤) لفتح الطيب ١/ ١٣٥ -

الفقهاء ورجال الدين -

**الفقهاء** : لا بد أن تلتقى نظيرة موبزة على مكانة الفقهاء، في الأندلس - والدارس لتاريخ الأندلس يرى للفقهاء أثرًا قويًا في توجيه الرأي العام وتأثيرًا عظيمًا في الحكام - ولقد عار الفقهاء يثرون عرش الحكم بن هشام الربيعي وليؤوبون هذه الرأي العام لولا أنهم أسسوا الامتياز ولم يهدأ بالهدى نفى زعماء الفتنة إلى إقريلطش "كريت" <sup>(١)</sup> وكان منذرين سعيد كثيرًا ما يجيب الناصر باللوم متى يبغيه - يروي أن الناصر شغل في بناء الزهراء فلم يتمكن من حضور الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات - فطلب منذرين سعيد الجمعة والناصر حاكم الهلوة وابتدأ خطبته بقوله تعالى "أتبنون بكم رعية أية تعبدون وتتخذون مهالك لعلكم تفلحون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون وألقوا الذي أمدكم بما تعملون أمدكم بآل نعام وبنين وجنات وعيون إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" ولا تقولوا أسود علينا أو غلبت أم لم تكن من الواعظين "فمتاع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار، مكان الجزاء واصل ذلك بجلال بزل وقول فاصل ثم تلا قوله تعالى "أفمن أسس بنيانًا على تقوى من الله ورضوان خير أم أسس بنيانًا على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم" - وظل في إقريلطش والقصد يرمي فشح الناس ورقوا وبعوا ومنحوا وعلم الخليفة أنه المقصود به فبكى وندم على ما سلف له واستعاذ بالله من سخطه ولما رأى ابنه الحكم فأشار عليه بجزله فجزره وانتهره <sup>(٢)</sup> وقد بلغ من تأثير الفقهاء ولقد فهم أن الحبيب المنصور

(١) المعجب ص ٢٠، ٢١ء

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٢٩، ٧٠ -

رغبة في إرضاءهم - أمر بإخراج كتب المنطق والفلسفة والنجوم من خزائن الحكم ثم أمر بإحراقها مع أنه كان محباً للفلسفة مقبلاً عليها. <sup>(١)</sup> فلا عجب إذاً ولّى بعض الفقهاء مثل المصنف والحاجب المنصور وابن جهود وأبى القاسم بن عباد، ولم يشورة من الفقهاء ألغى أصل قرطبة الخلافة الأموية وأقاموا الحكومة الجهورية ولم يشورقهم إضطر ملوك الطوائف إلى أن يستغيثوا بيوسف بن تاشفين لدفع المسيحيين مع أنهم كانوا يستريحون ببري ويشفقون على إمارتهم من طهرهم.

### الحضارة الاقتصادية

كان في شبه جزيرة أيبيريا أغنياء بالثروات المعدنية. وقد حفز هذا المسيحيين بالشمال إلى أن يتكالبوا على امتلاك ما يستطيعون من هذه البقعة وزاد عابدهم ما كان يدفعهم أمراء الطوائف من هبات وهدايا وأتاوات يسيل لها عابدهم. وكتب التاريخ غاصبة بأمثلة تكرار لغزابتها تدفيل في باب المبالغات. وهذه الثروات الطائلة هي التي اطمعت المرابطين والمؤحدين في إغتها ب الأندلس والغد لحلفائهم من أمراء الطوائف. قد أشار ابن حوقل بقوله: "وأما جزيرة الأندلس فتغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمار والرفاه والسعة في الأموال من الرقيق الفافر والحطب الظاهر إلى أسباب التملك الفاشية. ولما هي فيه من أسباب رغد العيش وسعته وعثرته يملك ذلك مهم مهانهم وأرباب هناعهم لقلّة مؤنثهم وملاحة معاشهم وبلادهم" <sup>(٢)</sup> ويعززه ما رواه المقرئ عن بذا الأندلسيين في أبنيتهم وأنهم أومن عنى بتبليط شوارع المدن وإنارتها وأن بعضهما امتد إلى عشرة أميال منهااءة بقناديل

(١) نفح الطيب ج ١ ص ١٣٦.

(٢) نفح الطيب ١/ ١٢٩، ١٣٠.

تطل عليها من المنازل المصايدية<sup>(١)</sup> على حين أن لندن - كما  
 يقرر الدكتور فيليب شمس - لم يتحقق لها قنديل واحد  
 عمومي حتى ما بعد ذلك بسبع مائة سنة. وأما في باريس  
 فبعد بضعة قرون كان الندي يتخفى عتبة داره في ليوم ماطر  
 لا يأمن الخوف في لجة من الوصل<sup>(٢)</sup>. وحسبنا ما ذكره الادريسي  
 من أن أهلها اشتهروا بالسناء والبهاء وصحة المذهب وطيب  
 الحسب وحسن الزي في اللابس والمراكب وعلو الهمة في  
 المحاليس والمرتب وتجاربها ميا سيرا لهم أموال كثيرة وأحوال  
 واسعة وهم عليه. ولو فرة الثروة عندهم كانوا يجرهون  
 السائلين فاذا رأوا شفهيا مديما قادرا على الخدمة يستعملون  
 سبوه وأهاليه فنهلا عن أن يتهدقوا عليه. ولا مبالغة في هذا  
 فقد كانت وسائل العيش ميسرة لديهم مبدولة لكل طالب.  
 فمن حيث الزراعة كانت التربة خصبة وقد أقام  
 مهندسوهم القنطرة العظيمة وحفروا الترغ والمصارف. يقول  
 الدكتور روزيه رئيس جامعة لوزان لبسويسرا: "إنني طوفت  
 في بلاد الأندلس ورأيت آثارها الباقية. فأعجبت بها كل  
 الأعجاب ومما شاهده السدود القائمة إلى اليوم في ولاية  
 بلنسية فإن أهلها يعيشون اليوم بفضل إقامة مهندسي العرب  
 لهذه السدود ولن يتيسر لـدينة القرن العشرين أن تقسم أرقى  
 أنشائه المسلمون في القرون الوسطى<sup>(٣)</sup> وليقرر الاستاذ مستيم  
 "Mestime" في مؤتمر المستشرقين ببرشلونة سنة ١٨٧٦م أن  
 فرنسا أخذت من الأسبان العلوم المختلطة وأساليب الزراعة  
 وتعلمت منهم حفر الترغ والصبان ونظام الرمي وحاصلات  
 الشرق من الحبوب والأشجار والنباتات التي زاولوا زراعتها

(١) فتح الطيب ١٤٦/٣ وغابر الأندلس وحاهرها ص ٨٤ لقلا عن ابن زيدون ص ٦٢.

(٢) تاريخ العرب ٦٢٦/٣ -

(٣) غابر الأندلس وحاهرها ص ٥١ لقلا عن عبد العظيم ص ٦٢ -



(١) بالأندلس وعالجوها حتى صارت مهالصة للزراعة بأوروبا.<sup>(١)</sup>  
 وكانت فلاحتهم قائمة على أسس علمية وإلى هذا يشير امير  
 على بقوله: "إن العرب جعلوا فلاحه الأرض علمًا قائمًا بذاته  
 فاستطاعوا بأمثل الطريق من المهارة والعلم أن ينمووا محاصيلها  
 ويستخرجوا كنوزها كما عرفوا ملائمة التربة والطقس لزراعة  
 النباتات المختلفة. وقد أقيمت في كل البلاد القناطر الكبيرة  
 وحفرت الآبار والمصارف الجديدة لاستغلال الماء وتوزيعه  
 بالطرق الفنية<sup>(٢)</sup>" وقد ألف ابن العوام من علماء القرن الحادي عشر  
 الميلادي كتاب الفلاحة ويحتوي أهم مؤلفات العصور الوسطى في  
 هذا الموضوع تناول فيه ٥٨٥ نوعًا من النباتات وفيه ملاحظات جديدة  
 في موضوع التسميد وفصل عن التربة والسماد وأبحاث في أعراض  
 أمراض الأشجار والنباتات المتعرشة مع وصف طرق معالجتها.  
 وهو محفوظ بمكتبة الاسكوريال.<sup>(٣)</sup>

وأما من حيث الصناعة فقد ضربوا فيها بسهم وافر.  
 وحسبنا أن نذكر أنهم أول من أسس مصانع للورق في اسبانيا  
 ومقلية ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى إيطاليا.<sup>(٤)</sup> ومن الطبيعي  
 أنها انتشرت في أوروبا عن هذا الطريق. نكتب التاريخ مملوءة  
 بأمثال أنواع الصناعة التي كانت قائمة لديهم. ومن شاء  
 التفصيل فليرجع إلى مصادره المختلفة. نسيج فيها ما يبهز الأنظار.<sup>(٥)</sup>  
 وأما التجارة فتتبع في إزدهارها رقي الزراعة والصناعة  
 وتيسر المواد الفضل. وقد رأينا وفرتها في هذه البلاد بحيث  
 ضاقت عن حاجتها فنقلتها أساطيلها التجارية التي كانت  
 تخرج من باب البحر الأيب من المحيط الأطلسي ففرت أسواق

(١) رحلة الأنندلس هامش ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) "A Short History," P. 575

(٣) تاريخ العرب ٦٨٣/٣ لقلا عن علي عبد العظيم ص ٦٣.

(٤) تراث الاسلام ٨٢/٢.

(٥) غابر الأنندلس وحاضرها ص ٨١ وما يوردها. ورحلة الأنندلس ص ١١٢، ١١٣ وتاريخ العرب مطول

"A Short History" P. 576 و ٧٠٩-٧٠٢/٣

الاسكندنافية والقسطنطينية ودمشق وبغداد.<sup>(١)</sup>

**الحنارة الحمراء** : إذا أردنا أن نستقصي قول هذا المؤلف لا نستطيع الاستقصاء في صفحات قليلة وليس استقصاءها كلها موهوؤنا. بل سنقصر الحديث هنا على قرطبة التي كانت تحت خلافة بني مهورو واشبيلية التي كانت يحكمها بنو عباد حيث طوى ابن زيدون فيها حياته وتصدت عنهما في شعره بأسهاب وشغف يلفت الأنظار .

**قرطبة** : كتب المؤرخون أن كل ملوك العجم الذين دخلوا الأندلس وتمكنوا على ملكها وإما رتوها جعلوا مستقرهم من هذه المدينة الأربعة (١) اشبيلية (٢) قرطبة (٣) قرمونة (٤) غرناطة وتقع قرطبة على الشاطئ الغربي الأيمن من نهر الوادي الكبير مجاورة لسفح جبال سيرا مورينا وتؤلف مدرجا لشكل نصف مستدير<sup>(٢)</sup> وقد حدث لين بول عنها حديثا رائعا مسهباً في الفصل الثامن من تاريخه الأندلسي<sup>(٣)</sup> لأحاجة لنا إلى نقله مجتبياً عن الطوائف. ويروي القلقشندي أن دورها محيطها ثلاثون ألف ذراع وهي أعظم مدن الأندلس، وعليها سور من من الحجير ولها سبعة أبواب وبلغت عدة مساجدها ١٦٠٠ مسجد وحماماتها ٩٠٠<sup>(٤)</sup> هـم ويروي المقرئ أنه كانت في قرطبة ٣٠٠٨٢٧ مساجد<sup>(٥)</sup> ويروي أمير على أن قصورها أنما هزت الستين ألفاً ومنازلها مائتا ألفاً وخوانيتها ثمانون ألفاً وحماماتها سبع مائة وسكانها مليون نسمة على حين لا يزيد عدد سكانها الآن عن خمسة وثلاثين ألفاً<sup>(٦)</sup>. ولم تكن مدينة في أوربا تأوي إليها في زمن

(١) تاريخ العرب ٦٢٩/٣، ٦٣٠.

(٢) "A Short History" P. 515

(٣) "The Moors in Spain" P. 129

(٤) ص ٢٢٦/٥، ٢٢٧.

(٥) لفتح الطيب ٢٠ ص ٥٤٠.

(٦) "A Short History" P. 518

إزدهنار قرطبة أكثر من ثلاثين ألفاً أو خميس ألفاً على أعبر  
تقدير<sup>(١)</sup> وليقرر جورج زيدان "أن العرب أنشأوا حولها ٢١ ريفاً  
في كل ريف من الحمامات ما يقو به أهلها فهارطوها ٢٤٤  
ميلاً وعرضها ستة أميال أي أن مساحتها ١٤٤ ميلاً مربعاً<sup>(٢)</sup>  
وليقرر لين لبول أنها كانت تشتمل على خميس ألف قصر للعظماء  
ورجال الدولة وأكثر من مائة ألف بيت للعامة<sup>(٣)</sup> أما المقرى  
اللاحقة بها فيقدرها المقرى بثلاثمائة ألف قرية في كل واحدة  
منبر وفقيه مقلسر تكون الفتيا في الأحكام والشرايح له  
ياتون في كل جمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويطالعونه  
بأشغال بلادهم<sup>(٤)</sup> ومن أشهر من وادىها مدينة الزهراء  
فكتب التاريخ غايته بأخبارها وقد اشتهرت قرطبة  
بمسجدها الجامع حيث كان موطن عبادة ومجمع سياسة و  
ندوة ثقافية - وكان يتمسح لثمانين ألفاً مهمل<sup>(٥)</sup> وعلى الرغم  
مما أصاب هذا المسجد الآن فإنه ما زال قبلة الأنظار ومهوى  
السائمين وكان ينهض على ١٤١٨ سارية إلى منها إلى الآن ٨٦٠  
سارية وممرابها ما زال قائماً وعلو قبته تسعة أمتار وقد  
حفر في قطعة واحدة من المرمر ودهن بالفسيفساء، والمسجد  
إثنان وعشرون باباً مصفحة بالنحاس بقى منها الآن اثنا عشر  
باباً<sup>(٦)</sup> أما المنبر فقد منح من العاج والفضة الثمين ويتكون  
من ستة وثلاثين ألفاً قطعة منفصلة<sup>(٧)</sup> وأما القبة المحيطة  
بالمحراب فتبلغ سبعة أمتار طولاً واثنى عشر متراً وقد هيئت

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية ص ١١١ -

(٢) تاريخ الأندلس

(٣) "The Moors in Spain". P. 135 -

(٤) لفتح الطيب ١/ ٢٩٩ -

(٥) الحل السندسية ١/ ٣٠٧ -

(٦) غابر الأندلس ص ١٠٣ -

(٧) "The Moors in Spain". P. 136 -

من قطع الفسيفساء الصغيرة الدقيقة الرخامية المتعددة الألوان  
المطعمة بالقطع الصدفية والذهبية - إذا نظرت إليها من  
اليمن رأيت مناظر غير التي تراها من جهة الشمال لأنحاس  
الضوء عليها بحال تستهوى العقول -<sup>(١)</sup> وقد أفاض المؤرخون في  
وصف هذا المسجد وروعتهم لأنه يمثل أرقى ما وصل إليه الأندلسيون  
في الفنون - حسبنا ما قاله غوتة لاسبيل إلى وصف الآثار الذي  
ليشعر به المرء عند دخوله هذا المسجد الاسلامي القديس  
فيترأى لك أنك تسير في غاية مسقوفة لا في بناء مصنوع  
وهيئة التجهت ليضيق بهرك في صفوف من السوارى تلتقى وتمتد  
على مرمى البصر مثل غراس من المرمر ظهرت من تلقاء نفسها  
على أدليم الأرض -<sup>(٢)</sup>

ومن أشهر آثارها القنطرة المقامة على النهر وقد أطنب  
المؤرخون والزجاجون في وصف روعتها ودقتها بما يثير الإعجاب -  
فأما جمال معابدها وفتنة ربوعها فقد خلدها ابن زيدون  
في كثير من قصائده الرائعة بعد أن أرغمتها الأحداث على  
فراقها - مثلاً هو يقول -

أقرطبة الغراء هل فيك مطمح وهل عبدٌ حَرَى لبينك تنقحُ .  
وهل للياليلِ الحميدة مرجع إذ الحسن مرأى فيك واللهم سمحُ .  
واذ عنفُ الدنيا ليدك مؤطأُ .  
نهارك وضاحٌ وليلك ضميمَانُ وترُّبكُ مهبوحٌ وغُصْبُكُ لشوانُ .  
وأرمُكُ تحسَى حين جُولك عُريانُ وزَيَّالكُ روحٌ للنفوس وريحانُ .  
وحسب الأمانى ظلالُ المتفانيَا

بأربع فافتت الأمصار قرطبةً ومنهن تنظرة الوادى وجامعها .  
هاتان ثنَّان والزهرء ثالثه والعلم أعظم شئ وهو رايحها .

(١) رحلة الأندلس من ٤٠ -

(٢) فابري الأندلس من ١٠٤ -

**اشبيلية** : هذه المدينة تقع على شاطئ الوادي الكبير في أجمل بقاع الأندلس وأعد لها هواء - يقول فيها الحميري " مدينة عبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة وخلفها عثاير وأهلها مياسير ويطل عليها جبل الشرف وهو شراب البقعة كريم التربية دالم الخضرة. وهو مسافة أربعين ميلاً تطل عليها أشجار الزيتون والتين وسعته ١٣ ميلاً وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة بالممامات والديار الفسنة لا تحاد تشمس منه بقعة لا لتفات ذيتونه واشتبال غصونه،<sup>(١)</sup> والمسافة بينها وبين قرطبة ١٣١ كم. وهي كانت عروس الأندلس مدة ملوك الطوائف. وهي الآن أحسن مدينة في الأندلس بعد مدريد سكانها ١٥٠ ألف نفس وهم أقل من نصف عدد همدة العرب -<sup>(٢)</sup> وترتفع عن سطح البحر ٤٥ قدماً وتبعد عن البحر ستين ميلاً. ولحق لها جميع فوائدها الشغور لأن النهر عند هالطى التيار وليصل المد إلى ما بعدها. يهبطها ابن مقلح بقوله: " إن اشبيلية عروس بلاد الأندلس لأن تاجها الشرف، وفي عنقها سبط النهر الأعظم. وليس في الأرض أتم حسناً من هذا النهر أيضاً هي دجلة والفرات والنيل تسير فيه القوارب للنزهة والسراير والهنيد تفتل لال الثمار وتغريد الطيور.<sup>(٣)</sup>

ومج هذا اشتهرت بحبالس اللهو والطرب والشراب حتى قال فيها ابن رشد "إذ مات عالم باشبيلية فاريد بيع عتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها. وإذا مات مطرب لقرطبة فاريد بيع تركته حملت إلى اشبيلية"<sup>(٤)</sup> فمن أثارها البديعة الباقية من عهد بنى عباد القصر المسمى بـ "الكارار"

(١) هفتة جزيرة الأندلس ص ١٩ - ٢١.

(٢) رحلة الأندلس ص ٥٩.

(٣) الحلال السندسية ج ١٠ (ص ١٤١).

(٤) غابر الأندلس وصافرها ص ٩٠.

ومن أروع ما فيه قاعة السفراء وارتفاعها ٢٠ مترًا وطول كل منسلح منها ١٢ مترًا وهي من أروع التصرف في بلاطها وفخامتها و لقوشها الذهبية الموشاة بالألوان الحمراء والزرقاء والخضراء<sup>(١)</sup>.

**الحضارة الاجتماعية :** كما ذكرنا أن سكان الأندلس كانوا أخلاطًا من قبائل عربية يمنية ومصرية وقبائل بربرية وطوائف شتى من الهقلا بلية والروم والبربر والسودان ومهاجرين مختلفين من الفرس والروم والمصريين. ولكن الحضارة العربية فاقت الجميع واللسان العربي هيمن عليهم وإن كانت العصبية الجنسية مستعرة الأوار. ذكر المؤرخون على أن العصبية الدينية قد ضعفت. فعديدًا ما كان المسلمون يمارسون تمت لوار المسيحيين وليستعينون بهم في منازعاتهم الخاصة مع إخوانهم المسلمين. ولكن رجال الدين مازالوا يلهبون الحوافف حتى استطاعوا أن يؤلبوا أمراء المسلمين ضد المسيحيين ويحملوهم على الاستعانة بأخوانهم في المغرب من المرابطين.

وإننا نلاحظ أن المرأة الأندلسية كانت ذات أثر بلي في الحياة الاجتماعية. وحسبنا أن الناهربيين مدينة الزهراء وألفق عليها الأموال الطائلة لارضاء إحدى زوجاته. وكانت لاعتماد الرميكية منزلة عظمى في نفس المعتد بن عباد. أنها رأيتا قطع الشج يتساقط في قرطبة فتمنت على زوجها مثل ذلك ما مرب أن تزرع اشجار اللوز في هضبات قرطبة فلتزهرف في آخر الشتاء

(١) رسالة الأندلس ص ٦٤ -

فتظهر بيضاء كالثلج ووأث الناس يعيشون ليومًا في الطين  
فاشتهت المشى فيه فأمر المعتمد فسحقت الطيوب  
وذرت في ساحة القصر ثم نصبت الغرابيل وصب فيها ماء  
الورد على الطيوب وعجنت بالأيدى حتى عادت كالطين  
وخافته مع جواربها<sup>(١)</sup> وقد ألف الأندلسيون في هذا كتابا  
من أشهرها "طوق الحمامة لابن حزم المعاصر لابن زيدون -  
إن هذا الكتاب يهزور فلسفة الحب أبداً تهو ويريسمو  
بهذه العاطفة سموًا عظيمًا ونحن نرى أن المرأة كانت  
حظًا وافرًا من التعليم وأكثر من قد تبغن في العلوم والفنون  
والآداب - إذ المرأة الأوربية في هذا الوقت تعد مخلوقًا في  
الدرجة الثانية. ولهذا قلنا كانت تنال حظًا من الثقافة  
إلا في طبقة النبيلات فقد كن نيلن قشورًا من الثقافة لا تكاد  
تعدوا القراءة والكتابة<sup>(٢)</sup> ولقد ظفرت بعض الأندلسيات  
بمنصب الأستاذية ونالت بعضهن من مناصب عربية عالية  
في هذا العصر حتى إن لبانة كانت تشغل وظيفة قلمها  
شغلتها امرأة تلاك إلهها كانت سكرتيرة خاصة للمهم<sup>(٣)</sup>  
واشتهر من النساء عدد كبير كن يساجلن الرجال في ميادين  
الشعر والعلم والفن - وكان تعليم البنات شائعًا بالأندلس  
وكتيرات منهن يحفظن دواوين لشعراء العرب ويثمنن الشعر  
ويترسلن كالأوربيات اليوم<sup>(٤)</sup> حكى ابن نياهن في تاريخه قال  
"كان بالروبلن الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن  
يكتبن المصاحف بالخط الكوفي - هذا في ناحية من نواحيها فحيف  
بجميع أحيائها"<sup>(٥)</sup> بل إن كان نسخ واحد بها كان يستخدم

(١) نفع الطيب ٢ / ٦١٨ -

(٢) تاريخ التربية الإسلامية ص ٣١٨ - ٣٢٨ -

(٣) أيتها ص ٣٤٤ -

(٤) غابر الأندلس وحاضرها ص ٨٧ -

(٥) المعجب ص ٢٧٢ -

مائة وسبعين جارية في نعل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة<sup>(١)</sup>. ولقد كثرت الجوارى في عصر ملوك الطوائف وزادت العناية بتثقيفهن وتهذيبهن عناية عظيمة حتى كن يدرسن الغناء والموسيقى ولا يكتفين بهذا بل يدرسن علوم اللغة وفنون الأدب ثم يزدن على هذا أحياناً دراسة الطب وعلوم التشريح وعلوم الطبيعية. وقد يمارسن صناعة الشقاف والمجادلة والجدقة واللعب بالسيوف والأسنة والخناجر المرفهة وغير ذلك من فنون المبارزة والنزال<sup>(٢)</sup>. ولهذا حرصت الحرائر أن لا ينقصن عنهن لشقافة زطرفنا ومع ذلك كن زينة جالس السمر والطرب والغناء وحيان لبعضهن (مالونات) أدبية تفهم عظماء الرجال في الفنون والأدب وقد سبق فرنساي بهذا التقليد عدة قرون. وقد تمتعت المرأة في ظل الأمويين بنصيب من الحرية<sup>(٣)</sup>. إن أهم ضرورب الرضايانة عندهم هي الفروسية والصيد أمّا الفروسية فكان لها شأن بالأندلسى وكان الفرسان الأخابان يقدون إلى الأندلسى مطمئنين لمبارزة فرسان الأندلسيين ولقيل أن السيدات يهمنرن هذه الحفلات فيزدنهنابهاجة إلى بهجة<sup>(٤)</sup> ويميل معظم المتحققين إلى أن أوروبات لقت لقاليد الفروسية من الأندلسى<sup>(٥)</sup> وكانت الصفا الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الفارس العربى كما استقر عليه الوضع بالاندلسى هي التقوى والشجاعة ورقة الشمائل والاقدام والموهبة الشعرية والبلاغة والمهارة فى ركوب الخيل واستعمال السيف والرمح والقوس<sup>(٦)</sup>.

(١) أنثر العرب فى الحضارة الأوربية ص ١١١ -

(٢) الحلة السيرة خامش ص ١٨١، ١٨٢ والاحاطة ٢٦٥ -

(٣) تراث الاسلام ١٣ -

(٤) "A Short History" P. 519 -

(٥) الفتوة عند العرب ص ٢٦٤ -

(٦) "A Short History" P. 520 -



وعند ذلك كانوا يهرعون إلى الحدائق فيطوفون فيها  
أوقاتهم في شرب ولهو وغناء ومطارحة للأشعار وقد ردوا  
هنا في شعرهم وفاضت به رسائلهم وعلى الرغم من  
تزمّتهم الفكري وتعصبهم الذهبي متحررون أحياناً في مقارنة  
الذات ومعاقرة الراج. فكانت أكرم الهدايا والألطف عندهم  
دنان الزمرو وكؤوس الشراب ويرى أكثر الباحثين أن العرب  
كما أثروا في السكان الأصليين تأثروا بهم وذلك أمر طبيعي ولكن  
مدى هذا التأثير ومظاهره لا يمتد إلى بعيد. فقد ذهب الأستاذ مصطفى السقا  
إلى أن العرب "تشبهوا بالوطنين في زيهم وسلاحهم وقصورهم وأبنيتهم و  
فنونهم. وأظهر الأمثلة على ذلك أنهم ورثوا عنهم المؤنشات والأزجال و  
الموسيقى وحفلات الأعراس" (١) ونحن نوافق على أن العرب تأثروا ببعض هذه  
المظاهر ولكن في آخر عصر ملوك الطوائف. ولكن على عبد الغني قد أنكر على أن  
المؤنشات والأزجال فله ينهض لدينا دليل قاطع على أنها من أثر الوطنيين (٢)  
فخلاصة الحضارة الاجتماعية الأندلسية أن جميع الأندلسيين انغمسوا  
في تشييد الحياة الاجتماعية بتعاونهم وتمازجهم على اختلاف طبقاتهم وقد جدوا  
وأبدعوا في كل ميدان من الحياة الاجتماعية. ولذا لا نرى الأندلس الإسلامية  
تملئة على المنازل العليا كان يفد إليها طلاب العلم والمعرفة وينهلون من منابعها  
الصافية لأن حكماها وأمرائها يبذلون جهودهم المشورة في إنشاء العلوم ونشرها بين  
الشعب على اختلاف طبقاتها وأجناسها. ولذا لا أكثرهم كانوا يهتمون لزيارة المدارس  
والجامعات ويحضرون الدروس ويختلطون بالطلاب ويمدحون المدرسين ويكافئون  
التلاميذ على جهودهم ويجلسون في مجالس العلم للمناقشة والبحث ويختارون من  
نوابغ العلماء والقضاة والقراء والمحطاء والأدباء والشعراء.

(١) آراء ذكرها الأستاذ أثناء مناقشته للرسالة. نقلناها عن ابن زيدون لعلي عبد الغني ٥٨

(٢) ابن زيدون ٥٨

## الباب الرابع

(١) تاريخ موجز لفتح الاندلس وأمرائها

(٢) عصر ابن زيرون

(٣) ترجمة ابني الحزم بن جهور

(٤) ترجمة ابني الوليد بن جهور

(٥) ترجمة المعتض بن عباد

(٦) ترجمة المعتمد بن عباد

## الباب الرابع تاريخ موجز لفتح الأندلس وأمرائها

نحن نعلم أن العرب دخلوا الأندلس فاتحين سنة ٩١ هـ (المطابق سنة ٧١١ الميلادي) في عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي بدمشق وعهد أخيه سليمان بن عبد الملك ولعرف أيضاً أن الخليفة الأموي كان يرسل إليها الولاة حيناً ويدع توليتهم إلى واليه على المغرب (أي إفريقية) حيناً. وأن الأندلس في تلك الفترة كانت في محن متتالية لاختلاف القواد العرب فيما بينهم وظهور العصبية بين المضريين واليمنين وظهورهما أيضاً بين العرب والبربر وساعد على هذا بعد الأندلس عن مركز الخلافة في المشرق وضعف هذه الخلافة واتخاذها.

وكما نعلم أيضاً أن العباسيين قد غلبوا على المشرق وانتهبوا الخلافة والأمانة من أيدي الأمويين وجعلوا يقتلون كل من يوجد من الأمويين في المشرق. فبعد سقوط الخلافة الأموية بدمشق في المشرق فر عبد الرحمن بن معاوية الأموي إلى المغرب. ثم إلى الأندلس واستطاع بعد أهوال مدحشة أن يستقل بالأندلس عن العباسيين وأن يؤسس فيها أسرة حاكمة مبنية الدعائم وطيدة الأركان. وبلغت أوج قوتها في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم. ولما توفي الحكم سنة ٣٦٦ هـ وكان ولي عهده هشام لم يتم الثانية عشر من عمره. فتولى جبايته الصحافي ثم الحاجب النصور هو كان ذا شخصية قوية فذة. استطاع بعقريته أن يهيمن على هشام ويبسط حمايته عليه ومنح ذلك أنه وطد دعائم السلطان وبسط نفوذ الإسلام على شبه الجزيرة و

---

(١) ولكن بعض المؤرخين المحققين قد اثبتوا على أن الأندلس فتحت على أيدي العرب في عهد خلافة سيدنا عثمان وقد أتوا ببراهين تاريخية معيدة كما قررنا ... فليرجع طالبها إلى

٢، حيث في أخبار الوليد فتح أكثر الأندلس وقد تم الاستيلاء في عهد أخيه سليمان  
٣، البيان المغرب ٣٧٧/٢ وتاريخ ابن خلدون والذخيرة

بلغ ما يبلغه ملك أو حاكم سواه . وبعد وفاته سنة ٣٩٣ هـ (سنة ١٠٠٣ م) بدأت تضعف الأندلس وبدأت .

لم يكد القرآن الرابع الهجري يؤذن بالانقضاء حتى كانت دولة بني أمية في الأندلس التي أرسى قواعدها صقر قرطيش عبدالرحمن الداخل ونهض بسامق بناؤها عبد الرحمن الثالث المقب بالناصر مسرعا للخطر اب والفوضى . فاستلأ ملكة تناهبتها أيد لم تحسن الحفاظ عليها . وانفرط عقد ذلك التاج الذي طالما نهض في مفرق الدهر مجدا وعزة وسعة الى ممالك وامارات دعيت

بدول ملوك الطوائف . يذكر المؤرخون والباحثون أن عوامل انحلال الدولة الأموية في الأندلس نفس العوامل التي قوضت الحكم العباسي في بغداد . فكلاهما اعتمد العنصر الأعجمي في ترسيخ قواعده الملك الذي لم يلبث أن عمل على دكها . ولعب القتالة في الأندلس دور العنصرين الفارسي فالتركي في بغداد وذاك في تلك . والعوامل المتطامن المستمر ما بين عنصري البربر والعرب و كلاهما فاتح يدين بالاسلام . يضاف الى ذلك أنه نجح في كلا البلدين ملوك وحكام كانوا يرون بالتيجان والصولجات الدعاياء المنية والاثقال المرهقة فيدعون الأمور على مؤلفيها مسلمين إياها الى الحجاب والوزراء لينغمسوا في غمرات الملاهي والملاذات . ولذلك أصبحت الأندلس اندلسات كثيرة و دويلات صغيرة . وهي دويلات كان يناهض بعضها بعضا كما كانوا يناهضون أعداءهم من المسيحيين في الشمال . وغلب كثير من هذه الدويلات الإسلامية الصغيرة على أمره فنزل عنه أصحابه لفرناند ملك قشتالة وليون اد دفعوا الجزية . وتبع فرناند الفولش

السادس فسمي الأندلس بحروبه وأشملها بجيوشه  
فاستغاث المعتمد بن عباد صاحب اثبيلية زعيم  
ملوك الطوائف وكبيرهم بيوسف بن تاشفين ملك  
المرابطين بالمغرب فأغاثه بجيش جرار هزم السجيين  
هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة المشهورة. ولم يلبث  
أن ضم الأندلس كلها تحت جناح دولته أذراها لقمة  
هينة سائلة.

والآن نستطيع أن نذكر تطورات ضعف قوة الأندلس  
وملوكها بعد وفاة الحاجب المنصور بالإيجاز بعد وفاة  
المنصور استخلف عبد الملك بن أبي عامر الملقب بالمنظفر  
ولكن حكمه لم يدم طويلاً فقامت سنة ٣٩٥ هـ من علة الذبحة ويقال  
إنه مات مسموماً بتدبير أخيه لهذا الملك الذي  
قام مقام أبيه المنصور استمر فاضاً ولايته  
على الخليفة هشام الثاني الملقب بالمؤيد  
الذي كان دمية ينفذ الحكم باسمه وهو  
لا ودر له فيه ولا صدر. ثم ولي الحجابية بعد  
المنظفر أخوه عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب  
بالمأمون. هو كان دلي السيرة ومولعاً بالشرب  
الخمر واللهو واللعب يقال إنه سمع مؤذناً  
ينادي بحى على الصلوة فقال لوقلت حى على  
الكأس لكان فيرا لك. فهذا دليل بين  
على دنائته خلقه. وكذلك كان اخلاقه في شأن الرعية  
وشؤون الدولة. فثارت ثورة الشعب بزعماء محمد بن هشام الأثري  
الملقب بالمهدي فأحاط الثائرون بقصر هشام الخليفة المحجور عليه

وأرغموه على أن يتنازل عن الخلافة لمحمد بن هشام الأموي وكان الحاجب  
 العامر غائباً في غزاة بليون فلما قفل راجعاً الفرض عنه جنوده  
 فقتلوه به الشائرون . وولى الخلافة محمد بن هشام المهدي .  
 كانت فطرته تدل على أنه لا يناسب للخلافة . فكانت  
 فطرته مملوءة بالتعصب الطائفي . مازال في سياسته الخرقاء  
 حتى اغضب منه شيعته من بني اسية ولغرمه الصقالبة  
 وأساء الظن من ابن عمه هشام بن سليمان فقتله وقتل  
 أخاه أبا بكر وعادلت حريص العباسية على البربر فنشروا  
 بهم وأزعجوه عن المدينة فاجتمعوا بظاهرها  
 وباليحوا سليمان بن الحكم الأموي الملقب بالمستعين  
 بالله ١ والنصرف جماعة الصقالبة عن قرطبة  
 فاستقلوا بشرق الأندلس وهنا أبا ح المهدى دماء  
 البربر واسألهم ولجدهم عن عنيقة استطاع سليمان بن الحكم أن  
 يقتحم قرطبة بمحنة المسيحيين والبربر وأعلن نفسه خليفة  
 وتلقب بالمستعين بالله وفر المهدى إلى طليطلة وقتل  
 البربر والمسيحيون بالعرب . كانت أيام المستعين شداًداً تكرات  
 ضعباً مشؤسات ٢ واقتصر حكمه على قرطبة وثلاث مدن  
 أخرى وأخيراً تغلب عليه على حمود فقتله سنة ٤٠٧هـ .

بعد تمكن على بن حمود على منصب الخلافة بدأت خلافة اسرة هدية  
 يرجع نسبهم إلى الحسن بن علي وقد آذاهم البربر وقد باشر على بن حمود  
 حكماً عادلاً وحمى الشعب من الظلم ولكن تنافر الشعب لم يمهله إلح  
 مدة طويلة فلم يطل به الأسر حتى اغتاله ثلاثة من موالى الأمويين من الصقالبة  
 كانوا في خدمته ٣ . ثم ولي من بعده أخوه القاسم بن حمود فنشأ ضده  
 أبناء أخيه ودارت بينهم حرب طافئة فضلاً عن الحرب التي دارت بينه

١، ابن خلدون ١٥٠/١ ونصح الطيب ٣٧٩/١

٢، الذخيرة ١٤٠ ص ٣٥

٣، أيضاً ص ٨٣، ٨٣

وبين اشياء النُصَيبين والمصالبية فانهزم امام ابني اخيه وفر  
من قرطبة ثم عاد ليخزوها فدارت بين اشياءه من البربر وسكان  
قرطبة قرب طاحنة استمرت نيفاً وخمسين يوماً واشفق  
اهل قرطبة من العاقبة فسألوا البربر أن يفتحوا لهم الطريق  
ويؤمنوهم على انفسهم واهليهم فأبوا إلا أن يقتلوهم فصر  
اهل قرطبة على القتال وصد قوافيه فهزموا البربر هزيمة  
شنيعة ففروا معهم القاسم إلى اشبيلية . وعاد اهل قرطبة  
إلى الخلافة الأسوية وبعد ذلك بالبح اهل قرطبة عبد  
الرحمن بن هشام "المستظهر" بالخلافة ولكنه ايضا  
أساء السيرة وقدم مال إلى البربر فقتل به السكان وفضحوا  
حره وسبوا أكثرهن . بسبب افعاله المذمومة  
وبمليته إلى التعصب الطائفي ما اتيج له الخلافة إلى مدة  
طويلة . وتلك سنة ثلاثاء وعشرون عاماً<sup>٤</sup> . أنه حكم على  
الأنديسين سبعة وأربعين يوماً . يقال أنه كان على حدائه سنة  
أديباً شاعراً وقد حفظت الذخيرة طائفة من شعره<sup>٥</sup> .  
ولبعد المستظهر إلى الخلافة المستكفي بالله . يذكر المؤرخون  
أنه كان ضعيف الرأي ساقط المروءة يقول ابن القطان "إنه لم يجلس  
للاشارة مدة الفتنة انقض منه إذ لم يزل معروفاً بالتخلف والبطالة  
اسيرة الشهوة عاها الخلو<sup>٦</sup> . وبسبب صفاته المذمومة ثار اهل  
قرطبة عليه وهموا بالفتك به ففر منهم مرتد يثياب النساء مستخفاً  
بين امرأتين حيث مات سمواً<sup>٧</sup> . ويقول المؤرخون أن قرطبة ظلت  
سنة أشهر بدون خلافة وكان يحكمها مجلس من الكبراء ثم استقروا عليهم على بابية  
يحيى بن علي بن حمود ولكنه لم يحضر إلى قرطبة بل أكتفى بإرسال وال من قبله  
اليها وأخيراً خلعوه ونادوا بهشام الثالث الأسوي<sup>٨</sup> خليفة في سنة ٤١٨ هـ

١، البيان المغرب ١٣٤/٣ ١٣٥٤

٢، البيان المغرب ١٣٥/٣ - ١٤٠

٣، الذخيرة ٤٠ - ٤٣

٤، البيان المغرب ١٤١/٣

٥، الذخيرة ٢٠٨٢ ص ٣ ولغية اللقيس ص ٢٣

٦، الملحق بالعتد بالله - نفح الطيب ٣٨٦/١ والبيان المغرب ١٤٢/٣ ١٤٣٥

ولكنه كان متردداً في القدوم إلى قرطبة زهاء ثلاث سنوات وهو كان مقيماً بـ حصن البنت. ناشدت الفتن بين رؤساء الطوائف مخالفتهم على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستدعاه ابن جهور فوفد عليها في ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ وأمام بها يسير حتى خلعه الجند في ١٣ من ذي الحجة سنة ٤٢٣ هـ وناووا بجمهورية يرأسها ابن جهور. وتوفي المعتد بعد هذا منفيًا سنة ٤٢٨ هـ<sup>١</sup> وقد لاحظنا في الصفحات السابقة تطور إضمحلال قوة الملوك والأشراف في الأندلس ففي ضوء تلك السطور نستطيع أن نلاحظ في هذا المقام فيما يلي بالمعظم موجزة:

١- إن عامة الأندلسيين وخاصة كانت لهم أهمية خاصة في تشييد قوة الأندلس بتقرير الملوك وعزلهم لهم أراذلهم من المناصب العليا. كأننا نستطيع أن نقول إن شخصية الشعب بدأت تظهر وتعالى أراذلها فتعزل الخلفاء وتخبر الأسرات الحاكمة وتنشور دافعة عن كيانها وإفاد شيعتها.

٢- ونعلم أيضا أن شدة تنافر الأندلسيين إضطرتهم في استحكام حدود مملكتهم وفي توسيع حدودهم إلى طلب العون من حكومات السجيين المجاورة لاشك في أن المسلمين ترفع انتواع على السجيين يطلبون عونهم في كفاح بعضهم لبعض الآخر وأخذوا يبذلون في هذا السبيل الأموال الطائلة وينازلون عن المحزون النجاسة

٣- وقد لاحظنا أن ظهور الطاليع الاقليمي حيث تغلب البربر على بعض الأقاليم والصقالية على بعضها وكذلك العرب من مضربين وقحطانيين.

٤- وقد لاحظنا أيضا أن قد بلغ التنافر العنصري شأوا من العنف جاوز كل حد من دين أو خلق أو تقاليد فبأهل هذه النقالص

---

(١) البيان المغرب ١٤٥/٣ - ١٥٢ ذكر على عبد العظيم أنه تضاربت الروايات العربية والأفريقية في لقبه فسماه بعضهم المقتدر وبعضها المعتمد وبعضها المعتز وقد صرحنا باللقب من أرجوزة تاريخية لابن عبد الجبار (الذميرة ق ١ ج ٢ ص ٤٢٩) وأرجوزة لابن الخطيب<sup>٢٨</sup>



الذخيرة وأغراهاهم الرذيلة الحافلة بالشهوات والملاهي انقسمت  
الندلس الإسلامية إلى أقاليم مستقلة متنافرة. هناك نستطيع أن نقرر  
من أهم الدويلات بمدد حكمها بالتاريخ الميلادي كما ذكرتها  
دائرة المعارف الإسلامية<sup>١</sup> وقد قرناها بالتواريخ الهجرية المقابلة  
لها كما وردت في التوقيعات الدالة على أهمية ستمسانيين ببعض المراجع  
التاريخية. وقد رأينا إكمالاً للفائدة أن نذكر إلى جوارها التاريخ  
الهجرية كما حددتها المستشرق العلامة زامبور Zambour وهو  
محقق موثوق به<sup>٢</sup>. هكذا وجدنا التفاصيل في كتاب علي عبد العظيم  
والآن ننقل عن كتابه الأسرات الحاكمة والعواصم ومدد الحكم.

الأسرة الحاكمة		العواصم		مدد الحكم عن دائرة المعارف		مدد الحكم كما رآها	
				مقابلها بالتاريخ الهجري		زامبور بالتاريخ الهجري	
				من إلى		من إلى	
بنو عباد	اشبيلية	١٠٣٣ (٤١٤)	١٠٩١ (٤٨٤)	٤١٤	٤٨٤		
بنو جهور	قرطبة	١٠٣١ (٤٢٢)	١٠٧٠ (٤٦٣)	٤٢٢	٤٦١		
بنو حمود،	ساقية	١٠٣٥ (٤٢٧)	١٠٥٧ (٤٤٩)	٤٠٧	٤٤٩		
بنو زيري	غرناطة	١٠١٥ (٤٠٥)	١٠٩٠ (٤٨٣)	٤٠٣	٤٨٣		
بنو برزال	قرمونة	١٠٣٩ (٤١٩-٤٢٠)	١٠٦٧ (٤٥٩-٤٦٠)		٤٤٣		
بنو بكر	ولبة	١٠١١ (٤٠١-٤٠٢)	١٠٥١ (٤٤٣)		٤٤٣		
بنو يحيى	نبله	١٠٢٣ (٤١٤)	١٠٥١ (٤٤٣)	٤١٤	٤٤٣		
بنو خزيم	شلب	١٠٢٨ (٤١٩)	١٠٥١ (٤٤٣)	٤١٩	٤٤٤		
بنو هارون	شنعمية الغرب	١٠١٦ (٤٠٧)	١٠٥٢ (٤٤٤)	٤٠٧	٤٤٤		
بنو الأنطس	بطلوس	١٠٣٢ (٤١٣)	١٠٩٢ (٤٨٤-٤٨٥)	٤١٣	٤٨٧		
بنو زى النون	طليطلة	١٠٣٦ (٤٢٧)	١٠٨٥ (٤٧٨)	٤٢٧	٤٧٨		
بنو عمار	بنسية	١٠٣١ (٤١٣)	١٠٦٥ (٤٥٧)	٤١٣	٤٥٧		

(١) Encyclopaedia of Islam. 1 P 351

(٢) معجم النسب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي

بنو هور	سرقسطة	١٠٣٩ (٤٣١)	١١٠ (٥٠٣)	٤٣١	٥٠٣
بنو زين	شتمرية الشرق	١٠١١ (٤٠٣)	١١٠٣ (٤٩٧)	٤٠٣	٤٩٧
بنو القاسم	الفتن	١٠٣٥ (٤١٥-٤١٦)	١٠٩٣ (٤٨٥)		٤٨٥
بنو صاده	المربية	١٠٤٤ (٤٣٥-٤٣٦)	١٠٩٣ (٤٨٥)		٤٨٠

هكذا ذكر جداول تفصيلية من شاء التفصيل فليرجع إلى كتاب دوزي<sup>١</sup>

## عمر ابن زيدون

والآن يهمنا أن نلقى نظرة تفصيلية على قرطبة واشبيلية حيث طوى ابن زيدون فيهما حياتاه واسمهم في أحدهما التاريخية أيضاً أسهام - ولقد لاحظنا في الصفحات السابقة انهيار القوة المركزية وتشتت الأندلس في دويلات صغيرة - ففي ظل هذه الثورات المتوالية والحوادث العاصفة نشأ ابن زيدون ودرج بقرطبة - ولذا لا نذكر أدلاً أهوال قرطبة وبلوكها فكما لاحظنا أن هشام الثالث السعيد بالله خلعه الجند ونادى أهل قرطبة بجمهورية يرأسها ابن جهور وكما نعلم أن كانت لزعماء الأندلس من علماء الدين ورجال الأدب أهمية خاصة في تولية الحكام والملوك والأسرار - فلما أمس زعماءها أن اضطرت الدولة (اضطرار الدولة) اتفقوا على أن يفوضوا شؤون الدولة إلى امرئ يستحق الإدارة ولذلك فوضت الإدارة باسم الحكومة الجمهورية إلى ابن جهور - ولكن على عبد العظيم يذكر دلالة ابن جهور بألفاظ أخرى - بحيث يقول "تكتل الشعب القرطبي لمدفع الظلم وأذكى فيه هذه الروح زعماءه

(١) راجع مادة Albarracin في دائرة المعارف الإسلامية و  
ملوك الطوائف ص ٣١٥ - ٣٢٤

من علماء الدين ورجال الأدب واستطاعوا أن يستميلوا شباباً خاطراً  
أسويّاً أسسه أسية أطعموه في الخلافة ثم استغلوا أسسه  
في إسقاط المعتد بالله فلما تم لهم القضاء عليه استطاعوا  
أن يصرفوا أسية وأعلنوا انتهاء الخلافة الأسوية وقيام الحكم  
الجمهوري بزعمه ألبى الحزم بن جهور ولؤدي بالأرض والاسواق  
أن لا يبقى أحد من بني أسية بقرطبة ولا يكتفهم أحد فراسية من  
قرطبة ثم حاول العودة إليها سنة ٤٣٥ هـ فأخرج اليه شيو فيها من  
منته قبل دخولها وبهذا استتب الأمر للحكومة الجمهورية الجديدة<sup>١</sup>

## ابو الحزم بن جهور

بعد سقوط الخلافة الأسوية بالأندلس ولى الحكم بقرطبة في  
منتصف ذي الحجة سنة ٤٣٣ هـ واستمر حكمه حتى توفي ليلة  
السادس من محرم سنة ٤٣٥ هـ كذا يروى المعاصر ابن حيان<sup>٢</sup>  
وما زالت الوزارة تنتقل في هذه الأسرة إلى أن استتب لها الأمر  
بقرطبة وقد تبع ابن الآباد تاريخهم كابرا عن كابر<sup>٣</sup> وكان أبو الحزم  
بن جهور إلى هذا عالماً من جلة العلماء وكان شيخاً وقوراً عالماً  
جليلاً. اشتهر بتمسكه بأهداب الدين فكان يصلي التراويح ويشهد  
الجنائز ويؤذن على باب المسجد وهو حاكم لهذا الاقليم وكان بعيد  
النظر فلم يبارح داره إلى قصر الخلافة دنارياً بأنه أسين مؤقت على  
الحكم حتى يجتمع الناس على اسم وقد تقلد على نخبة من اعلامهم  
ذكر بعضهم الذهبي في تاريخه وابن بشكوال في مملته وتلميذه  
ابو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه وكان يعبر عنه بقوله  
هدثنا ثقه من الشيوخ الكابر<sup>٤</sup>. واستطاع ابن جهور بلباقته ودهائه  
أن يجذب اليه القلوب. وهو كان إلى جانب هذا بعيد النظر فلم يشتر

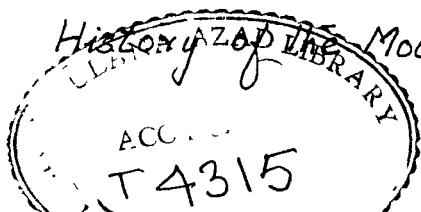
١) ابن زيدون ص ٣٣

History of the Molish Empire in Europ.

V2. P. 107/108

٢) الحلة السيراد ص ١٣٣، ١٣٣، ١٦٨ - ١٧٠

٣) تاريخ الاسلام للذهبي ١١٤



ففي الفتن المستلاحقة والثورات المتواليه التي نشبت بين العرب والبربر  
 ادبين اللاويين وبنى صود بل ترك هذه الثورات حتى التهمت زعماءها  
 وهو تمسك بالتصون والعفان فاتجهت اليه الألبصار والتفت  
 حوله القلوب ركونا الى انه بعيد عن السطامح والاهواء  
 أنه عفا اليد واللسان ولكنه بعد تمكنه على منصب الفلانة  
 ضبط الاسور بحزمه وساس الرعيه بدهائه وقام باصلاحات  
 عديدة وتحمى أن يشتبك مع كلام الأقاليم الجاورة في المنازعات  
 والحروب. وأنه أمسك زمام الحكم بيد قوية حازمة دون أن يتخذ  
 أي مظهر من مظاهر السلطان ولذلك لم يتحول عن داره المتواضعة  
 بل جعل نفسه ايناً على الموقف الى ان يجي من يتفق الناس على امرته<sup>١</sup>  
 وتحققا له هذا الفرض رتب الحشم والبوابين على تصور  
 الامارة ولم يفكر في الانتقال اليها<sup>٢</sup> ولم يقبل أن يكون  
 بيت المال تحت إمرته<sup>٣</sup> فسبب تمسكه على هذه الصفات  
 الحميدة لا نستطيع ان نقبل ما وراء اشباح عن أن ابا الحزم بن جهور<sup>٤</sup> حيلته  
 مطامحه على أن يرسل الى اسراء سالقة وغرناطة واشبيلية وطليلة  
 وسرقسطة وبلديوس وبلنسية يدعوهم الى الدخول في طاعته  
 فلم تيناذلوا حتى بالرد عليه<sup>٥</sup> "لأن هذه الراية  
 تتعارض مع ما اجمع عليه الرواة من أنه جعل الحكم  
 امارة في يده حتى يجمع الناس على أمير. ولم نجد  
 في مصادرنا سند هذه الراية الفريية. فلو أن الأمر  
 القيس على اشباح فخلط بين القاضي اب القاسم بن عباد  
 وبين ابن جهور -

وحسبنا أن نذكر أن الرخاء عم في عهده واستتب  
 الأمن وتوافد الناس على قرطبة حتى كاد يتم إصلاح ما انسده

١، المعجب ص ٥١

٢، الحلة اليراء ص ٦٩ ١ جواله ابن زيدون ص ٣٢

٣، ملوك الطوائف ص ١٣

٤، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والمؤيد ص ٤٠

الثورات فيها<sup>١</sup>. وهو إلى هذا جم التواضع لينشهد الجنائز ويعود المرضى جرياً على سنة الصالحين ويؤذن بمسجد بالربض الشرقي ويصلي التراويح<sup>٢</sup>. ولم تتغير أحواله لا قبل الحكم ولا بعده ولا بين شبابه وكهولته<sup>٣</sup> ولم يكن يشغل باله أكثر من غيره الأسرار ولهما خاص به وهو إسماء شروته وقد نجح في هذا حتى أصبح أغنى رجل في قرطبة<sup>٤</sup> وقد بالغ في الحصول على هذه الثروة تنفيتها حتى رماه الناس بالنجل الشديد والسبع الخالص اللذين يولاهما ما وجد عائبه فيه طعنا ولكمل لو أن بشراً يبلغ الكمال<sup>٥</sup> وأما الأسرار الثاني فيتعلق بمصلحة عامة وهي إدارة الطامعين في قرطبة من ملوك الطوائف أو المتطلعين إليها من إقاي بني أسية. وقد استطاع بحنكته ودهائه أن يعقد صلات ودية مع كثيرين من ملوك الطوائف وطالما سعى في الصلح بين المتنازعين منهم<sup>٦</sup> فإذا اشفق من أحدهم دفعه بغيره. ومما يكن من أرفق مقام ابن جهور بأصلاعات عديدة<sup>٧</sup> وكان إلى هذا أديبا شاعرا روى له ابن خاقان<sup>٨</sup> شعرا رقيقا ولكن ابن الآبار<sup>٩</sup> صحح نسبة هذه الآبيات إلى جده جهور بن عبيد الله وسواء صحت نسبته أم لم تصح فإنه كان أديبا واسع الثقافة يطرب للشعر ويهتزل به. وكان إلى هذا دينا متواضعا شغوفا بالأصلاح وتوفي سنة ٤٣٥ هـ.

بدأ ابن زيدون الذي هو موضوعنا الدخلى حياته الشعرية بل منذ لغومة أظفاره في ظل قرطبة وأسراها. ونذكره بتفصيله

١، الذخيرة ٢٤٠ ص ١١٦، ١١٧ وابن خلدون ج ٤ ص ١٥٩

٢، أيضا والمعجب ص ٦٠

٣، أعمال الأعلام ج ١ ص ٢٢٦

٤، ملوك الطوائف ص ١٤ - ١٥

٥، البيان المغرب ١٨٦/٣

٦، البيان المغرب ١٨٧/٣ والمغرب ج ١ ص ٢٢٦

٧، ذكر هذه الأصلاعات يوسف أشباح في كتاب تاريخ الاندلس في عهد

المرابطين والموحدين ١/٣٩٠

٨، المصلح ص ١٥

في ترجمته علاقته وأهميته عند الملوك والاسراء وهنا نكتفي بهذا  
بقول على أنه كان من وزرائه المقربين .

## أبو الوليد بن جهور

تولى الأسرا بعد وفاته ابنه أبو الوليد بن جهور . إنه ولد في ذي القعدة  
سنة ٣٩١ هـ<sup>١</sup> وولي الأسر سنة ٤٣٥ هـ فكانت سنة قريبة من سن  
ابن زيدون . ولذلك توطدت بينهما أوامر الصداقة ومواسيق  
الوداء سواء وهو ولي للعهد أو هو حاكم وسنأتي هذا بالتفصيل  
في ترجمة ابن زيدون . سار أبو الوليد على نهج أبيه في الحكم  
غير مغل بثنى ما اضاه<sup>٢</sup> فأقر الحكام وذري السراتب على ما  
كانوا عليه في أيام أبيه ثم اقتضى آثاره السياسية في درء المد  
بالشبهة ما وجد إلى هذا سبيلا محتجا بعدم وجود الدمام  
السجيع عليه<sup>٣</sup> وكان تسامحا متاحلا يعطف على الناس و  
يفسخ لهم صدره ويحاول جهده أن يتجنب التشبكات الحربية  
ناحسين ملاته بالملوك المجاورين وكأي بذل وساطته في الإصلاح  
بينهم فتوسط في الخلاف الناشب بين المعتز  
صاحب أشبيلية والمنظفر المنطس صاحب بطليوس  
فاستطاع أن يصالح بينهما سنة ٤٤٣ هـ بعد حرب  
دامية . كانت قرطبة مأوى الاسراء المخالعين يجدون في  
ظلالها برد الرأفة والذمان وروح العطف والحنان ومن  
اشهرهم ابن سالبور اسير اشبونة والي حبي اسير لبلة  
وابن أخيه<sup>٤</sup> وكان أبو الوليد بن جهور بسيرة الأدب  
يفصل بينهم في القضايا وليتفع في الحوائج ويصلح بينهم في المنازعات<sup>٥</sup>

١، الصلاة ص ٤٨٩

٢، المعجب ص ٦٠

٣، الذخيرة ١١٩/٢٤٠

٤، البيان المغرب ٣/٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١

٥، أعمال الأعلام ١٧٦/٣

ولكن في جانب آخر ان بعضا من ملوك الطوائف طامعاً  
الى الاستيلاء على قرطبة وخاصة صاحب اشبيلية القمضد  
بن عباد كان متلاًشياً لفصب قرطبة وتوسيع حدود مملكته  
ولكنه ما نجح الى سدة لجيد في طمعه الشيخ حتى مات وتولى  
الامر الى ابنه المعتمد بن عباد كانت نظريته ايضا طامعة  
الى اغتصاب قرطبة وقد نجح اخيراً في الاستيلاء على قرطبة  
وبعد استيلاء قرطبة من يد المعتمد صاحب اشبيلية نفى بن  
جهور جميعاً الى جزيرة شلطيث وكان الشيخ البواليد مفلوجاً  
فمات بعد اربعين يوماً في منفاه <sup>١</sup> وقد اضطرت الررايات  
الحربية والفرنجية في سدة حكمه ولكن على عبد العظيم  
اعتقلا على رواية ابن حيان المؤرخ الثقة المعاصر لهذه  
الأحداث وابن بسام القريب العهد <sup>٢</sup> بهما ويؤيدهما  
ابن بشكوال الثقة <sup>٣</sup> وابن عذارى الدقيق <sup>٤</sup> وكلاهما  
من أملاء المؤرخين في القرنين الخامس والسادس للهجرة  
كانت اخلاق أبي الوليد سهلة سمحة وكان الى هذا صاحب  
مروعة وأريحية وبخامة مع العلماء <sup>٥</sup> وكان تقياد رعاكماتدل  
على هذا تصائد ابن زيدون فيه يقول ابن بشكوال "كان حانظاً  
للقرآن مجبوراً حرره كثيرة التلاوة له معينا بسماع العلم  
من الشيوخ ورواية عنهم سمع باشبيلية علما كثيرا  
ورواه وقرأت تسمية شيرخه المذكورين قبل هذا بخط  
يده وفيه تسمية باسم عنهم فرأيت فيها كتباً كثيرة  
تدل على العناية بالعلم والاهتمام به <sup>٦</sup> وفي عهده حارل

١، ابن خلدون ٤/١٥٩ والبيان المغرب ٣/٢٥٦ - ٢٦١

٢، الذخيرة ٢/١٣١ - ١٣٦

٣، الصلة ص ٤٨٩

٤، البيان المغرب ٣/٢٥٩

٥، الذخيرة ٢/١١٨/١١٩

٦، الصلة ٤٨٨، ٤٨٩

ابن المرقضى الأسوى ان يقوم لفتنة بقرطبة فاكتفى بطرده  
منها دون أن يفتلجه وفي هذا دليل على ما نطر عليه من  
أريحية ونبل واحسان وهناك دليل بين على فطرته اللينة هو  
أنه ساعد ابن زيدون (الذى قيده البوالخزم) في قراره  
من السجن بعد ما يئس من استئفاد أبيه فهذه هي  
صورة موجزة لحكم بني جهور بقرطبة جانباً فيها التفصيلات  
المسهبية والخلاف في الروايات المتناقضة والتفينا  
بالخطوط الرئيسية الموجهة وأما دور ابن زيدون  
في تأسيس هذه الدولة الدولة الجهورية ثم  
القضاء عليها فسنعود إليه في ترجمة ابن زيدون بالتفصيل  
إن شاء الله

## بنو عباد باشبيلية

أسرة بني عباد بالاندلس كانت لها أهمية خاصة  
هي كانت من قبيلة لخم اليمنية. ذكر المؤرخون أن هذه  
الأسرة من سلالة ملوك الحيرة. ولكن دوزي يشك  
في هذه النسبة الملكية ويراها من صنع الشعراء  
بإعزاز بني عباد<sup>١</sup> وقد ذكر نديم سرعشلي<sup>٢</sup> "بنو عباد أسرة  
عربية ترتفع بنسبها إلى المناذرة من ملوك الحيرة  
وقدت إلى الاندلس في أواسط القرن الثاني للهجرة  
فتغلّت عدة مناصب هامة ورسوكة أيام الحكم الأسوى  
الذى ما كاد ينهار حتى بادرت باستلام أزمة الحكم  
في اشبيلية العاصمة الثانية لالاندلس يقول على  
عبد العظيم<sup>٣</sup> وقد جدهم عظام إلى الاندلس على رأس  
كتيبة من الجند في جيش بلج بن بشر القشيري ثم استقر به

١) ملوك الطوائف ٢٠

٢) ديوان ابن زيدون مع دراسة تفصيلية عن حياة الشاعر نديم سرعشلي ص ٥

٣) ابن زيدون ص ٣٩



المقام على ضفاف الوادي الكبير بالقرب من اثبيلية ومن  
اشهر خدمته اسماعيل بن محمد وكان متاعا دأبى قوس  
الخليفة هشام الثاني ثم صار ابا المسجد قرطبة ثم ولد له  
المصنوع بن ابي عار خطه القضاء باثبيلية واشتهر  
بالفقه والورع حتى كان يرفض قبول هبة من وزير او سلطان  
يقال إنه كان آية من آيات الله علما وعزلة و  
أدبا وحكمة. إنه حمى مدينة اثبيلية من سطو  
البربر<sup>٢</sup> وكان واسع الثروة وافر الجاه كريم اليد. وإبنه  
واسع البر بالشاركة آرى اليه صنوف الجالية من  
قرطبة عند احتدام الفتنة<sup>٣</sup> والفق عليهم من  
سأله الخاص فحذب اليه كثيرا من الدتباع والاصدقاء<sup>٤</sup>  
مازاله يصرف الامور بلباقة ودهاء حتى اصاب بمرض  
في عينيه لم يستجربه الحكم بين الناس. فولى ابنه  
ابا القاسم القضاء واقتصر هو بنفسه على شياخة البلد  
وتدبير الراى. حتى توفي سنة ٤١٤هـ<sup>٥</sup>

## مؤسس الاسرة لبني عباد الحاكمة باثبيلية

يعتبر القاضي ابو القاسم حماد بن اسماعيل بن عباد مؤسس  
الاسرة الحاكمة باثبيلية. كما ذكرنا أن ابيه اصاب بمرض في  
عينيه ولذا لك فوض امور القضاء الى ابنه الى القاسم وقد ورث  
اباه في علمه وأدبه ومنصبه وجاهه ولكنه في جانب آخر كان  
اثنايا جاحدا صلفا ما أثر عليه قومه غيره في القضاء فتوسل  
بالقاسم بن حمود لتولى هذا المنصب<sup>٦</sup> ما صطنعه بعد هلاك

١، البيان المغرب ٣/ ١٩٤

٢، الحلة السيرة ٦٥

٣، بنو عباد باثبيلية ص ١٠. والعجب ص ٩٤

رعى ملوك الطوائف ص ١٩

٥- البيان المغرب ٣/ ١٩٤

أبيه ورد عليه سيراته في قضاء بلده بعد بعده عنه مدة (وصل منه بمنزل الثقة فخانه بخون السلايام عند إدماره وصده عنها ما فر من قرطبة مغلوباً) <sup>١</sup> مع أن القاسم بن حمود كان حسن الظن به ولكنه أشار إلى شبيليين على القاسم وأفسد عليه قائه بأشبيلية وأغلق المدينة في وجهه حينما فر إليها من قرطبة هزواً وأسرانيه بأشبيلية وساروه فيها حتى صرفه منها <sup>٢</sup> ولما أمنت أشبيلية عرض أهلها الحكم على القاضي إلى القاسم وكان ادسعهم شراء حيث بلغت ثروته ثلث أراضى أشبيلية <sup>٣</sup> فأعلن أنه لا يستطيع أن يقبل الحكم إلا إذا اشرك معه فيه أناس يختارهم بنفسه فأجابوه إلى رغبته <sup>٤</sup> يقال إنه كان يهدف من وراء هذا إلى أن يضم إليه ذوى العصبية ببلده ليأسن انتفاضهم وليدفع فائضة بني حمود ومن والاهم من البربر. فاختار لمعاونته أبا الد صبيح عيسى بن حجاج الحضري ومحمد بن يريم اللهاني وأبا محمد عبد الله بن علي الهوراني ومحمد بن محمد بن الحسين الزبيدي <sup>٥</sup> وآخرين غيرهم <sup>٦</sup> واستطاع بعد أن استقر له الأمر أن يتخلص من معاونيه وليستبد بالحكم <sup>٧</sup> واستغل ثروته الطائلة في شراء عدد ضخم من السماليك دريهم على القتال واجتذب إليه عدداً وافراً من الجند المرتزقة بأرجوزة عالية فالقوى تحت لوائه عدد كبير من العرب والبربر بل انضم إليه بعض المعتزفين من جند المسيحيين والفرنجة وتوافد

١، الحلة السيرة ٦٥

٢، بنو عباد بأشبيلية ص ٤٠ والمعجب ص ٩٤

٣، ملوك الطوائف ص ١٩

٤، بنو عباد بأشبيلية ٤٢٠٤

٥، هو نجل العالم اللغوي الكبير أبي بكر الزبيدي

٦، بنو عباد بأشبيلية ص ٤٢

٧، الذخيرة ص ٧ والكامل ٢٨٢/٧

عليه المحاربون من النوبة وبلاد السودان وكذلك  
 اللاجئون السياسيون والمجبرون الفارون فكان من الجميع  
 جيشاً مدرّباً سنده في الزلازل<sup>١</sup> ولما استفحل خطر بني جيمود  
 سألهم وقدم اليهم ابنه عباداً دهيئة<sup>٢</sup> وقامت بينه  
 وبين البربر مناوشات حول قرطبة انتهت بمصرع ابنه وتناؤد  
 جنده اسماعيل سنة ٤٣١ هـ وهكذا قتل وفي تومس الأسرة  
 الحاكمة باشبيلية القاضي البوالقاسم سنة ٥٣٣ هـ<sup>٣</sup>  
 بعد تسهيل سبل الدارة للأسرة بني عباد.

## المحتشد بن عباد

قد تولى الأمر بعد أبيه المحتشد بن عباد في غرة جمادى  
 الآخرة سنة ٤٣٣ هـ وقد تدرب على يد أبيه وشب في مهاد الفتن  
 والدسائس فوضع لبانه وكان مستعداً لفطرته للمسير في هذا  
 الطريق حيث كان "مقدراً عادداً لئلا يظلموا جباراً سياسياً كما  
 للداء دسائس الخرجاء مع الشهرة"<sup>٤</sup> ولكنه كان على الرغم  
 من هذه الخصال سقى اليد عزير الخطاء ونجاسة على الشعراء  
 يقول الشعر ويتذوقه وقد حفص يوماً من الدسبوع ليجالسة  
 الشعراء والاستماع اليهم وطارحتهم القرطبي والنشأ لهم  
 داراً سماها دار الشعراء وجعل لهم رئيساً<sup>٥</sup> وكذلك ذكر  
 في نشأته نديم برعشلي<sup>٦</sup> بحيث يقول "نشأ المتصد  
 في عمرسات منه الفتن والاضطرابات فطبع بطابع  
 ذلك العصر مما كان في أعمامه اصول الفدر والسيل

١، ملوك الطوائف ص ٣٥ / P. 118' 119 History of the Moorish Empire

٢، بنو عباد باشبيلية ٤٤

٣، ابن خلدون ٤/ ١٥٦ والكمال ٧/ ٢٩١

رعي ملوك الطوائف ٩٥' ٩٦

٥، نفح الطيب ٣/ ٥٩٦

٦، ديوان ابن زيدون ص ٥

للمخذوعة. والمكر وسفك الدماء فقتلك بالكثير من السقيين  
وأعمل سوط البغي وسيف البطش برقاب بعض وزرائه بعد  
أن صاد رأس ملكهم واستصفى أسوأهم وقد شاع عنه أنه  
كان يحلى قصره بأمداح بن جراحيم ضحاياه محلاة  
بالذهب والاحجار الكريمة فيراها المقرَّبون  
من حلفائه وجلسائه وكأنها نذير الموت لمن  
تراوده لنفسه بالخروج من طاقته أو الترد على سلطانه  
حتى أنه لم يتردد بالشك لولده الكبير ولى عهده  
اسماعيل فدق عنقه بيده وكاد يفتك بابنه الثاني المعتمد  
لأنه اخفق في احدى غزواته ولكنه الى جانب هذه  
القسوة والعنف بتكوينه النفسى كان سياسيا ماهرا وشاعرا جيدا  
وكريما متلما للمال مغريا بمجالس الشراب وفرتا في  
الشهوات 'ماض البديهة' ستوقد الذهن لا يجارى بميدان  
الشجاعة والقدام وكان بتكوينه الجسمى وكأنه احد عمالقة  
الأساطير

أما تسوته البالغة وشغفه بسفك الدماء فقد اشرت عنه  
فيها أعاجيب قد تصل به الى درجة أمراض الشدوذ فقد غدر بكثيرين  
من وزرائه وخاصته مثل حبيب وزير و وزير اسبيه من قبله<sup>١</sup> و  
مثل الوزير ابى عاصم بن سلمة حيث دعاه الى قصره و اغتاله  
واعى أن قد زلت فسقط في بحيرة القصر فغرق<sup>٢</sup> وأبى حفص عمر  
بن الحسين الهوزنى وهو من أعرق الأشراف شبلية واقفه  
علماء الحديث بهما عاد من الحج فقربه المعتضد السيه  
ومجعله متشارا له ثم استدعاه ذات ليلة وأمر غلامين  
له بقتله فلما ترددا قام هو اليه وقتله بيده ودفنه

بثيابه وقلنسوته وهليل عليه التراب من غير غسل ولا صلاة<sup>١</sup> ويرى ان غلاما دخل عليه دون استئذان فقطع رأسه فسمع جارية تنال من هذا المنظر المدهش فأمر بها فدفنت حية<sup>٢</sup> واستضاف بقصر باشبيلية اسرا دسدة وتاكرتا وسورو وأركش من حكام الأقاليم المجاورة ثم أعد لهم حملا واغلقه عليهم فمالتوا خنقا واحترقا ثم استولى على إمارتهم واسرا ابنه اسماعيل بمهاجمة قرطبة فلما نكل عن أمره وتمرد عليه قبض عليه وقتله بيديه واستبد به الغضب فاخذ يقتل شركاءه ويمنك بأصدقائه حتى بخره ونساء قصره<sup>٣</sup> ويطهر أنفراطه في معاقرة الخمر وانكبابه على الملذات الحسية قد أضرم فيه شهوة الإفتراس واليقظ في اعماق نفسه ضراوة سكان الخابات وكان يتلذذ بفتكاته حتى إنه اتخذ من رؤس أعدائه ارايا لسلارها في فناء قصره يشرف عليها في اوقات لذاته وكان يقول "في مثل هذا البستان فليتنزه" وكان لديه فضلا عن هذا خزانة ليحرض عليها الكثر من حرصه على خزانة جواهر أروعها همام الملوك الذين ابادهم بسيفه فخص رؤسهم بالصون وبالنج في تطيبرها وتنظيفها وعلى كل رأس بطاقة باسم صاحبه وقد ظلت في حوزة ابنه المعتمد حتى قلعه<sup>٤</sup> ولم تكن تسرته مقصورة على الخاصة بل شملت العامة ايضا وله في ذلك نوادر غريبة<sup>٥</sup> لا نرى الاطالة في ذكرها وانهما كان في هذه الرديات من بالغات فلا شك في أنه كان مجبولا على القسوة وسقطورا على حب الانتقام.

يرى المؤرخون أنه كان قد طوى حياته في حرب متوالية

١، فوات اليونيات ١٩٩/١

٢، ملوك الطوائف ص ١٤١ - ٤٧ والبيان المغرب ٣/٢٤٤

٣، المحجب ٩٦ - ٩٧ والبيان المغرب ٣/٢٥، ٢٠٦ وملوك الطوائف ٩٥

٤، المحجب ٩٦ - ٩٧

وفتن ستواترة فتملأها بأشرفى الحرب بنفسه بل كان يكتفى  
برسم الخطط ويترك لأبنائه أو قواده تنفيذها<sup>١</sup> ولا حاجة  
لنا لتبني هذه الحرب الطاحنة المتوالية وهنا نكتفى  
بإشارة إليها وإلى المصادر التى ردتها فيرجع إليها  
من شاء الاستقصاء فقد حارب البرزالي أسير قرونة فقتله  
ثم ضمها إليه<sup>٢</sup> وابن طيفور حاكم برتولة ما انتزعها سنة ٣٠٥ وشن  
حرباً عنيفة على المظفر بن الأفطس حاكم بطليوس وحليفه يحيى  
أسير لبلبة وضم لبلبة إلى ملكه<sup>٣</sup> وحارب ابن مزين أسير شلب  
حتى ضمها إليه وأغار على حزمه اللدود باديس وحاصر  
ساقية بقيادة ابنه المعتمد حتى كادت تستقطب في يده لولا  
تهاون المعتمد وغفلته وكاد المعتمد يفتك بابنه لولا  
ضراعتة إليه بقصيدة عصماء<sup>٤</sup> واستعمل التهديد والحيلة  
فضم إليه ولبة<sup>٥</sup> وشنتمرية الغرب والجزيرة الخضراء<sup>٦</sup>  
وأما الذين جاؤوا من المسيحيين الشماليين فإنه كان  
يتهيّب الاصطدام بهم ويرهب بأسهم فسالمهم ورفع اليهم  
الجزيرة في بعض النين حينما حاصروا تشبيلية<sup>٧</sup> وبهذه الحيلة  
سلم من شرهم ونفروا للأعداء فألقى العرب في تلو بهم  
وكان همه نصباً على توطين دعائم الملك وتساع رقعة

١، ملوك الطوائف ١٠٥

٢، ملوك الطوائف ١١٨

٣، ابن خلدون ١٥٨/٤، ملوك الطوائف ١١٨

٤، البيان المغرب ٣١٠/٣ - ٣١٣، ٣٠٢، ٣٠٠

٥، *Historic Abbadidarum* ١، ٥٢، ٥٣ بحواله على عبد المليم<sup>٤٣</sup>

٦، ابن خلدون ١٥٧/٤ وتاريخ الاندلس في عهد المرابطين والمرحدين ٥٠/١

٧، البيان المغرب ٣٩٩/٣، ٢٩٨

٨، أيضاً ٣١٣

٩، ملوك الطوائف ١٧١، ١٧٢

الدولة يهدف اهل ما يهدف الى الحان قرطبة باشبيلية  
وكما ذكرنا أنه ما نجح في حياته وكان ابن زيدون مشييره  
الاول وكبير وزرائه وشاعر بلاطه وكاتب دليوانه  
وسمير حبالسه وندوانته وقرايح كسوسه ولذاته  
كما سنذكر ان شاء الله في ترجمته أنه استأن  
في ظل صاحب اشبيلية المعتضد بعد فراره من سجن  
الى الحزم صاحب قرطبة - ويرى المؤرخون أن المعتضد  
كان يدهره لفتح قرطبة فضلا عن أنه كان ينهض  
له بأعباء عديدة لا ينهض بها سواه. سئل  
ابن زيدون كيف انفراد بالسلالة من المعتضد وقسادة  
قلبه إذ لم ينج أهدأ قرباءه حتى ابناؤه فقال "كنت لمن  
يمسك بأذني الأسد يتقى سطوته تركه أو أسكه"<sup>١</sup>

وقد توفى المعتضد نتيجة ذبحة صدرية<sup>٢</sup> يقال لعل  
هذا الإفراط في الملذات والعباسه في الحياة الصافية  
اشرا في هذه العلة ويرى المراكشي أنه مات مسموما  
سنة ٤٦٤ هـ بتياب أهداها اليه ملك الروم ويرى  
السنوبري أنه توفى سنة ٤٦٠ هـ<sup>٣</sup> والحقيقة أنه  
توفى في جمادى الآخرة سنة ٤٦١ هـ كما قال معاصره  
ابن حيان<sup>٤</sup> حيث حدد سنة بدلة هين ومانه ٥٧ سنة  
و ٣ اشهر و ٩ أيام حيث ولد يوم الثلاثاء لسبع بقين  
من صفر سنة ٤٠٧ هـ ومدة إقامته من يوم بيعته  
لوفاة والده يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ هـ تبلغ يومين  
و ٣٨ سنة وليس لنا بعد هذا التحديد الدقيق مجال للشك أو الظنون.

١، فوات السوفيات ١/١٩٩ والوافى بالوفيات ٣/٦١٩

٢، البيان المغرب ٣/٣٠٤ وفيات الاعيان ٢/٣٧

٣، نهاية الأدب ٢٣/٥٢

٤، الحلة المراء ٧١ والذخيرة ١١

٥، أيضا

وللمعتضد شعر كثير جمعه ابن أخيه اسماعيل في ديوان  
شعري<sup>١</sup> وشعره يدل على نزعاته الحسية العنيفة  
وحباله لهوه وسمره وسواطن فخره وزهوه ولم تنبته  
حياته حتى أسس أقوى إمارة للمسلمين في الأندلس  
يقال إنه لو استد عمره لتغير وجه التاريخ.

## المعتضد بن عباد

إننا لاحظنا في ترجمة المعتضد أنه قتل ابنه  
الكبير اسماعيل الذي كان ولياً للعهد فبعد قتل اسماعيل  
تولى ولاديه العهد المعتضد بن عباد وقد ورث عن  
أبيه حدة الشهوة وشدة الكلف بالخمروالنساء وكذلك  
سرت في روحه فنون الدرب. فكان يهتزل للشعر ويصوغه  
ويرتجله ويسخو في تكريم رجاله. ويقال إنه أشعر ملوك  
الأندلس على الإطلاق ويمتاز شعره بالبرقة والمزجبة  
كما يمتاز بالعاطفة القوية التي تنبعث من صدر  
كليم حنون فتستدر الدموع وتلفح الأكباد وبخاصة في شطر  
حياته الأخير بعد خلعه ونفيه على الرغم من استهتار بالخر  
واباحتها الجنده في بيادين القتال ونسأله في الشعائر  
الدينية<sup>٢</sup> وعلى الرغم من هذا كله كان واسع الآساك بعيد  
المطامح تدرب على الحكم وعلى قيادة الجيوش بنفسه في  
حياة أبيه. يرى أنه اضطلع بقيادة أحد جيوشه وكان  
ما يزال في حدود الثالثة عشرة من سنه ليفاعته إنه اكتسب عن أبيه  
سجايا حب العلم والولع بالشعر والقدام والشجاعة سنجما  
كل الانسجام ونفسية الشاعر قد اجهد نفسه لرأب الصدء

١، Historia Abbadidum ١. 245

٢، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ١/٥٤



وتجاني سبل الفظاظلة وتنكب طرق القسوة التي سلكها والده والتي كادت تؤدي بحياته بالذات لبد أن أدت بحياة أخيه اسماعيل فحاول التقرب بدهاء الساسة وحناكتهم من كل من رزقوا الجسد والده بتفريبهم منه والتعوليف عليهم يمدده بإدارة دفة الحكم ساسي المهمة وشدة الأمر وشائب البصيرة بتوسيد لكل الأسباب التي تجمع القلوب على محبته والتفاني بخدسته قد ولي المعتمد منصب الحكم في ستهل الشدايق من عمره وإلى هذا يشير ابن زيدون في تحريره له في أبيه بقوله :

وما أعطت السبعون قبل أولي العجا من الإرب ما أعطتك عشرون والعشرا<sup>١</sup>  
وكذلك يؤيد هذه الرؤية الشاعر ابن اللبانة<sup>٢</sup> ألفق المؤرخون والباحثون وكما ذكر على عبد العظيم أنه قد وثق بعمال أبيه فاستعان بهم وبخاصة بابن زيدون حيث أهم أذنيه عن سماع الوشائيات فيه كما استعان به في فتح قرطبة وتحقيق حلم أبيه وظل يحفه بجفافته وإكرامه وليستمح إلى شفاعاته في فوه من أهل قرطبة حيث كان وشيجة خير بينه وبينهم<sup>٣</sup>

ونكتفي بذكر أنه قد نعت البلاد بعهد بالرفاه والرفاء وازدهرت الفنون وابتعت العلوم فكان قصره حجب الأدباء والشعراء يزينه أكبر شاعري بذلك العصر في الأندلس ابن زيدون والوزير الدلمي ابن عمار ولقد استطاع المعتمد تحقيق الحلم الذي طالما طاف بذهن والده المحتضد وهو فتح قرطبة وإدخالها في حوزة سيادة اشبيلية يقال إنه كان لابن زيدون يدطوي في ذلك الفتح وقد نجح المعتمد في ادخال قرطبة في حدود مملكته وإن هذه الفترة التي تسجل كانت فترة المد الأندلسي العام في الحقل الخارجي والفتن والاضطرابات

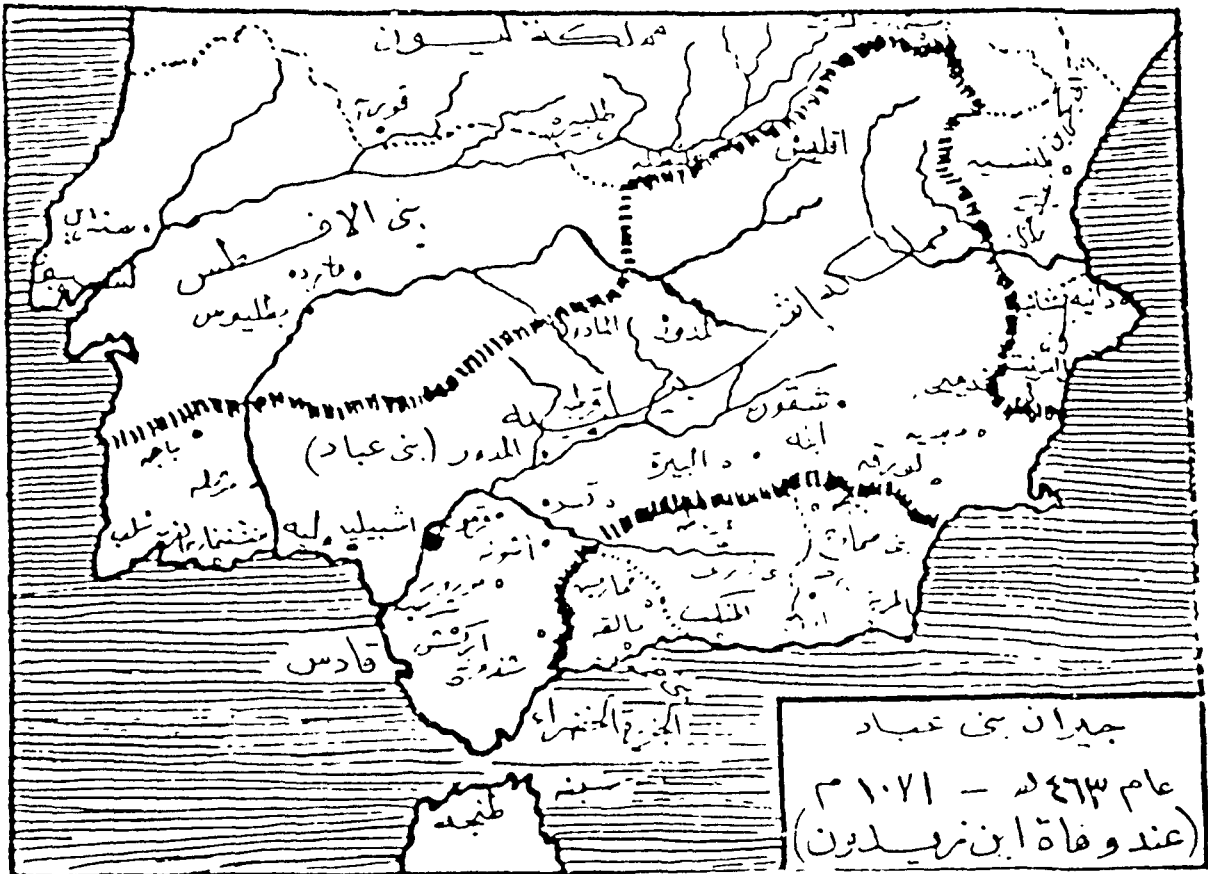
١، ديوان ابن زيدون ١٤٧

٢، الحلة السيرة ٧١

٣، الذخيرة ٣٥٦/١

ففي الحقل الداخلي وتحرك رجال الدين يتحرلص العامة على الحكام والأمراء كلما سمعوا بأسير عاترت الخمرة أو أهل شر بها الجنود حفاظا على انفاذ الأوامر والنواهي الدينية فيما كانت سائر الملوك والدساتير اللاندلسية اللاسلامية تسبح على بيد اغوار لجة العلوم ولما شعر المحمد بأن التيار المسيحي جارف اياه اذا ما بقي وحده في الميدان وأنه اضعف من أن يصده لم يتردد رغم تحذير النصحاء وذوى الرأي لطلب النجدة من ملوك المغرب المرابطي ليوسف بن تاشفين الذي نهى لدور الخطر عن ملوك الطوائف واليعاقب التيار اللاندلسي الى حين.

ولكن المعتمد كان في حالته تلك كالمستجير من الرمضاء بالنار  
أدبيل عن عرشه واقتيد اسيرا إلى انريقية حيث قضى نحبه في مراكش  
بسجن اغمات عام ٤٨٧ هـ إن قصة آخر عمره انجح قصة ملك عرفه  
التاريخ العربي القديم. ولنا السبيل تتبع أخبار المعتمد لأن ابن زيد بن  
لم يعش بعد ولادته الدعاسين وشهرا واحدا. فلا حاجة لتتبع  
حياته لجده هذا لأنه خارج عن نهجنا الدصيل وحسبنا أن نذكر  
أن المعتمد كان تلميذا لابن زيد بن صدوقا حيماله. وسنذكر  
علاقته بابن زيد بن الفضيل حين نذكر ترجمة ابن زيد بن إسب  
شاء الله.



بموازنة هذه الخريطة بالحريطة المتأبلة لصفحة ٢٨ يتضح أثر ابن زبدون في توسيع رقعة مملكة إشبيلية

## الباب الخامس

- (١) ترجمة ابن زيدون
- (٢) أسرته ، والده وجده لأمه
- (٣) عوامل نبوغه
- (٤) تعليمه واساتذته
- (٥) ابن زيدون في ظلال ملوك قرطبة واشبيلية
- (٦) حبيبته
- (٧) محاسن ابن زيدون

## الباب الخامس

### ترجمة ابن زيدون أسرته

يرتفع نسب ابن زيدون من جهة أبيه إلى بني مخزوم بطن من لؤي بن غالب من بطون قريش له . وكانت لقريش مكانتها عند العرب في الجاهلية والإسلام . و بطون باعديدة ولكن عشر بطون منها إنتهى إليها المشرف في الجاهلية ووصلته في الإسلام منها بنو مخزوم من بطوننا الممتازة ومن حاماتهم خالد بن الوليد المخزومي كانت إليه القبة والد عنة فاما القبة فأنه كانوا يحررونه باسمه يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش وأما الد عنة فهي قيادة الفرسان في الحروب كتب التاريخ حاميته في وفود أجداده إلى الأندلس ولكن أوغست كورنيذ كر أن أجداده وصلوا إلى الأندلس في أوائل الفتح الإسلامي وأنهم كانوا من أشياخ بني أمية وأن الحكم الأمويين أسندوا إليهم كثيرًا من المناصب العالية . ولكنه ما ذكر المحدث المندعي اعتماد عليه في إثبات خبره . ولعله استنبط من قول ابن حبان في ترجمته لابن زيدون "ذو الأبوّة النيمية لقرطبة" أنه على أن عبارتي ابن حبان لا تحملان هذا التخريج كله . ولكننا ندرك أن ابن زيدون كان ماعلاً إلى بني أمية لأنه ألف في تاريخهم كتاباً المسمى بالتبيين ومع ذلك ندرك في كتب التاريخ كان له حظ وافر في إقامة الدولة الجمهورية بعد إنهاء الدولة الأموية . وقد قيل إنه قد سجن بسبب ميله إلى الأموية . وأما أسرته من جهة أمه فلم تذكر في كتب التاريخ إلا أننا وجدنا في ديوانه من أنه أهدى عبداً إلى جده ثم أمه أبي بكر محمد بن محمد بن إبراهيم الفقيه صاحب الأحكام<sup>٥</sup>

له نهاية الأدب للقلقشندي . من ٣٣٥

٢٥ العقلا الغزالي ، لابن عباديه ٣١٣/٣ - ٣١٥

٢٤ IBNE ZAIDUN P. 15 ترجمه الخلافة ٢٩١/١/٢٩٠

٥ ديوان ابن زيدون : تحقيق و تخليق على عبد العظيم ١٥٢

١) اختلف المؤرخون في ذكر اسم جده لأمه مثل ابن الفرضي وغيره من أصحاب كتب الأنساب من شاء التفصيل فليرجع إلى المصادر<sup>١</sup> - و الخلاصة أن نسب الشاعر عربي صريح إن لم يكن من الندوة فهو منها على ملك قريب وولد النبوة والخلافة لموافق في نسبه الهاشميين - و الأمويين فكان في الندوة والسنام . ونحن نعلم أنه كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة أيام الجماعة والفتنة . ونعلم أيضاً مكانة الفقهاء في الأندلس ونفوذهم الخليل وسلطانهم على العامة والأمراء . وكان لا يتسم بسمه الفقيه إلا عالم خليل . وقد لا دخلنا في نفس هذا البحث أن كان الأندلسيون لا يفتد من أحد الفتوى حتى يخلو اختباره وتعهد له . جالس المذكرة ويكون ذمال حتى لا يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس . وكان التخليفة نفسه لا يستلحج أن يخرق هذه العادة . فلا يفتد أن يعنج إنساناً لقب الفقيه أو المفتي إلا بعد موافقة العلماء والأعلام على جدارته بهذا المنصب وثبوت يساره . وحينئذ تباح له الفتوى . وكان ابن زيدون ينتمي إلى هؤلاء الفقهاء من جهتي أمه وأبيه .

**والده** :- هو عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزوي . كان من فقهاء قرطبة وأعلامها المحدثين وكان إلى هذا خليعاً في علوم اللغة بعميراً لفنون الآداب . نذكر المتاحني عياضاً " أنه كان متقناً في صنوب العلم جبه الرواية والمعرفة فحياً جميل الأخلاق<sup>٢</sup> " وكان والد الشاعر عالماً قانونياً ممتازاً من خيار العلماء والأدباء في عصره<sup>٣</sup> . ومن هذا يتضح أن ثقافته كانت متنوعة فصيحة وأنه كان إلى هذا أديباً وعلى خلق عظيم ويظهر أنه كان على قسط واف من الثراء مكن له مع علمه وفصاحته وخلقه من أن يكون صاحب شأن خليل في حاضرة الخلافة . فهذه الصفات جميعها جعلت له

١) تاريخ علماء الأندلس ١٠/٢ ونفح الطيب ١٨٥/١ وابن زيدون

عصره وحياته وأدبه . ص ٩٦

٢) ترتيب المدارك ١٤٣/٢

٣) IBNE ZAIDUN P.15

شأنًا خطيرًا في التدليس فكان الحكم ودو والشأن يستشيرده في الذخير  
من أمورهه ويستفتونه في المشكل من شؤهمهه له ولانظيل السحت  
بذكر المحدث المتواليات من التي نجا بخير وعافية.

اختلف المؤرخون في سنة ولادته يذكر المقرئ أنه ولد سنة  
٣٠٤ هـ<sup>٢</sup> ويذكر ابن حبان أنه ولد سنة ٢٥٤ هـ<sup>٣</sup> والمصحيح صوما  
ذكره ابن حبان القريب العهد به. وكان ذاحمات ونيقات بجلية  
القوم في عصره فكان من الثملاء المقربين لأبي العباس أحمد بن  
عبد الله بن حوشمة بن ذكوان هـ. وهو من هو في الدجاء العربي من  
والمنزلة العظيمة التي جعل العلماء يحسبون له كل حساب. كما كان من  
التملاء المقربين لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصلي  
وهو أستاذ جليل المكارمة واسع الثقافة متين الدين تتلمذ له  
كثير من الرؤساء والفقهاء وكان والد ابن زيدون من أحماتائه  
وتلاميذه المحبوبين. وبلغ من شغفه باستاذة أنه سكن معه  
برب من الرماقة هـ<sup>٥</sup> وإليه تتلمذ لعبد الوارث بن سفيان  
بن جبرون وهو من أجل العلماء ثقافة وعلما ومنزلة هـ<sup>٦</sup> وقد  
ذكر ابن بشكوال صفاته بقوله. " وكان من أهل النباهة والجلالة  
والمعرفة باللغة والأدب. " وهكذا تاجه ابن الدسار  
فقال " إنه كان في منروب العلم حب الرواية من أهل النباهة  
والجلالة والمعرفة باللغة والآداب هـ<sup>٨</sup> وكان إلى هذا  
أنيقا في مظهره فقد كان يفضب بالسواد مبالغة منه في الناقة  
والتزيين وكان جميل الأخلاق حسن الطباع هـ<sup>٩</sup>. وكذلك يظهر مرنا في  
طباعه سبقا في تصرفاته ولذلك نجا من المحنة التي تعرض لها

- 
- له الصلاة ٢٥٤ والتكملة ٤٤٥/٢ وترتيب المدارك هـ<sup>٢</sup> نفخ الطيب ٤٣/٢  
هـ<sup>٣</sup> الصلاة ٢٥٤ التكملة ٤٤٥/٢ هـ<sup>٤</sup> ترتيب المدارك ٤٣/٢ والتكملة  
٤٤٥/٢ هـ<sup>٥</sup> الصلاة ٢٥٤ والتكملة ٤٤٥/٢ وقار يخ من اندلس ٢٠٨  
وبغية الملتبس ٣٢٧ ٣٢٨ هـ<sup>٦</sup> الصلاة ٣٧٥ والتكملة ٤٤٥  
هـ<sup>٧</sup> الصلاة ٢٥٤ هـ<sup>٨</sup> التكملة ٤٤٥/٢ هـ<sup>٩</sup> ترتيب المدارك ١٣١/٢

صديقته الحميمة أبو العباس بن ذكوان بسبب ميله إلى البربر سنة ٤٠١ هـ ونقل بسببها عن الأندلس له. وهذه التهمة كان من الممكن توجيهها إلى والد ابن زيدون لو دل كياسته ولباقته وحسن سياسته للأمر. ويذكر المؤرخون أنه كان أستاذ الجحش محامريه وأنه كان محسناً إلى تلاميذه وعارفه. يدل على صفته هذه قول ابن زيدون من رسالة كتبها في محنته إلى صديقته وأستاذه أبي بكر مسلم حيث يقول "ولهمك يا سيدي إن ساحة الحذر لتخيق عنك في إسلامك تلميذك وابن جارك وشيخك الذي لم يتزل متوفراً عليه آخذاً عنه مقتباً منه مع إكثارك من ذكر هذا والاعتدائه وإدعاء الفضله" ويرد على الدكتور أحمد خيف أن والده كان قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة له. وتابعه في هذا القول أصحاب المفضل في الأدب العربي حيث يقول "وكان أبوه من كبار قضاة بلادها وعلماؤها" لكن على عبد العظيم أنكر على هذا القول بحيث يقول "مع أن مصدر ما من المصادر القديمة لم يذكر عنه أنه ولي القضاة ٥.

دعوى القاضى عياض بسببه إلى أقصى ما ذكره عنه بحيث يقول "أنه كان أحد المشاورين المفتين بقرطبة" ٦. وقد توفي والد الشاعر أثناء تفقده بضيعة له في البيرة. ونقلت جثته إلى قرطبة فدفن بها سنة ٤٠٥ هـ. ويدل نقل جثته إلى قرطبة على مكانته العلمية في الأندلس وشرائه الواسع. وبعد وفاته رثاه أبو بكر بن عبادة بن ماء السماء من شعراء الدولة الحامرية. رثاه بهذه الأبيات:

أرى ركن من الرياسة هيمنا	وجيوم من المكارم غيمنا
حملوه من بلدة نحو أخرى	كى يوافوا به يثراه الأريمننا
مثل حمل السحاب ماءً هيباً	لتداوى به مكاناً مريمنا ١

١ ترشيح الدارك ١٣١/٢، ١٣٢٠ وناريخ قضاة

الأندلس ٨٤-٨٦ ٢ الأخرى ٣٥٠/١ ٣ بلاغة الحرب في الأندلس ٦١

٤ الفصل ١٤٩/٢ ٥ ابن زيدون ٦ ترشيح الدارك ١٤٣/٢

٧ نفح الطيب ٤٣١/٢، ٤٤٥ والتكلمة ٤٤٥ ٨ نفح الطيب ٤٣٠/٢



وقد روى المؤرخون أن أباه قد توفى وكان عمر ابن زيدون حينئذ الحادية عشر .

**جده لأمه** . لم يذكر المؤرخون شيئاً عن أمه إلا ما ذكر على عبد الحليم مستبطلاً عن إشارة حميدة من قول ابن زيدون . نحن نحلم أن للأم أكبر الأثر في تكوين أسبائنا وحسن رعايتهم بحيث يكون أول معهم بالأطفال هو من الأهميات إيماناً أن أمه وجدت عمراً طويلاً . كما ذكر ابن زيدون في إحدى رسائله أن أمه تدوب حسرة عليه وهو في مدسته وهذا أمر مألوف يستلزم حدوشه من كل أم . ولعل جد سوى هذه الإشارة العامة ولكننا نستطيع أن نتحدث عن أبي أمه وجد لأمه . وقد شغل فيه أن بهما أثراً كبيراً في تكويننا ونشأتها التي انتقلت منها إلى إسبانيا أثرت فيها أبلغ تأثير على أن هذا الجد كان ذا أثر مباشر في سبطه لأن ابن زيدون فقد أباه في الحادية عشر من عمره فكفله جده ورعاه واستمرت صلوات العطف بينهما حتى تولى الجد وكانت وفاة جده حينما كان عمر ابن زيدون أربعين سنة . وقد ذكر أكثر المؤرخين لجد ابن زيدون ولوالد هذا الجد في تاريخهم مثلاً ذكر ابن الفريخي في كتابه تاريخ علماء الأندلس والحميدي في كتابه حذوة المقتبس والخببي في بغية الملمس وغيرهم من المؤرخين . أما والد جد ابن زيدون فاسمه الكامل محمد بن إبراهيم بن سعيد المقيس . هو كان من أهل قرطبة . وكانت كنيسة أباه عبد الله وهو كان معروفاً باسم ابن أبي القراميد . هو كان ذا أمر بالحدوث ورجاله يحسن التقيد والمصطف فيما يكتب وكان من أوسط الناس لكتبه وأجمعهم لذا أثر الرواية وله تأليف جمع فيه كلام أبي زكريا يحيى بن معين في ثلاثين جزءاً . وكان يتولى النظر في الأوقاف لقرطبة وظل مشرفاً عليها حتى نزعها إلى مجلس القاضي وحمل إلى داره وتوفى سنة ٣٩١هـ . وأما الجد

فأسمه الكامل أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن  
 الهذاهيد . حدث عن أبيه عن القاضى أبي عبد الله بن مخرج  
 وغيرهما . وإسنده قد تولى القضاء بمدينة سالم ثم أحكام الشرطة  
 والسوق بقرطبة وكان من أهل المزملة في أحكامه . ويروى أنه  
 لقى إسماعيل بن عيسى من حكمه بن سعيد وزير المعتد بالله الأرموي  
 وكان كثيراً ما يستقى إلى الوزراء وإلى الرعية حتى لقى حقه على أيديهم .  
 فيمكن أن حداد خلافي تميم ابن زيدون المتخاض على الأمويين وإقامة  
 الحكم الجمهوري بقرطبة . وكان أبو بكر هذا صاحب عناية بالعلم حدث  
 عنه أبو مروان الطبري وكان مولده سنة ٢٥٥ هـ ووفاته سنة ٤٣٢ هـ  
 وقد نعت ابن زيدون في ديوانه بالوزير الفقيه صاحب الأحكام .  
 ولست ليح أن نقر أن ابنه كان ثرياً فافناخلم أن الثروة من شروط ولاية  
 القضاء . ٢

مما سبق نستطيع أن نقر أن ابن زيدون بجلته والديان كرمه  
 وأنه نشأ في أسرة مرموقة مشهود لها بالمكانة والجلالة والعلم .  
 وأن الجو الذي درج فيه مهله عوامل العظمة والنبوغ . ومع  
 هذا أننا نلاحظ أن خلال هذه الأسرة لم تظهر في شعر ابن زيدون  
 ولا نثره إلا في إشارات عابرة يعين أن نلمحها .

١ . أشار ابن زيدون إلى أبيه في رسالته التي كتبها في محنته إلى  
 استاذة أبي بكر مسلم بن أحمد حيث يقول :

أبي لعل ما هيل التراب على أبي . ورهلى فذا حين لم يبق لي رهط<sup>٣</sup>  
 ٢ . أشار إلى أمه في رسالته إلى استاذة أبي بكر حيث يقول : "وقد  
 هجرت الأرض التي هي ظرعى والدار التي كانت مهادي وغبت عن  
 أم أنا واحداً تمتلأ أنفاسها شوقاً إلى ، وتخض أحنانها حزناً على  
 والله يرحم بكاءها ويسمع لي على من ظلمني نداءها ، " كما أشار

١ تاريخ علماء الأندلس ٣٩٦/١ و جذوة المقتبس ١٨ و بغية الملتبس ٤٦

٢ تبصرة الحكم ١٨/٢ و تاريخ قصاة الأندلس ٤٠٤ و نفح الطيب

٢/١٤٤، ١٤٥ و أعمال الأعلام ٣/١٦١

٣ ديوان ابن زيدون ص ١٥ ح ١٥٢/١

اليها في قصيدته المنارعة إلى ابن جهور حيث يقول :  
 أمقتولة الأجنان ما لك والمما . ألم تترك الأيام نجبا هويا قبلي  
 أقل بكاءً تستر أقل حدة . لوت بالأسى كشحا على مفضل الشكل  
 وفي أم موسى عبوة أن رمت به . إلى اليم في التابوت فاعتبرك واسل<sup>١</sup>  
 ٣ . كتب إلى حده لأمه مقطوعتين شحريتين أرسل أولاهما مع حدية  
 عنب ليمى عذارى استهلها لقوله .

أتاك محييا عنى اعتذاراً . عذارى؛ دونه ريق العذارى  
 ثم وصف العنب في أبيات ثلاثة ثم ختمه المقطوعة بقوله :  
 بعثت به ، ولو أهديت نفسي . إليك مكان من برى اقتماراً .  
 خانعم بالقبول فرب نعمى . أعدت بها دجى ليلى نهياراً<sup>٢</sup>  
 وكتب المقطوعة الأخرى مع دواء بعث به إليه<sup>٣</sup>  
 وهنا نستطيع أن نقول بأنه كان وحيداً أبويه ولقد طح أنه كان  
 وحيداً له . ومن الغريب أنه لم يترك أباه ولا أمه ولا حده  
 لأمه ولا ابنته التي يذكرها المقرء بحيث يقول «أنه كان قائماً على  
 جنازتها يستقبل المهزبين شاكرًا لهم بجبارات بليغة فما سمع يجيب  
 رجلاً شهيداً أجاب به آخر له منور جنانه وسعة ميدانه»<sup>٤</sup>  
 وسنأتي بعد كرابن زيدون وحياته وأدبه وحنور جنانه بعد

**مولد ابن زيدون** : كان اسمه الكامل أحمد بن عبد الله  
 بن غالب بن زيدون هكذا ذكره نديه مدغشلى في تحقيقه<sup>٥</sup> . وذكر  
 ابن نباتة اسمه الكامل هو الوزير أبو الوليد أحمد بن غالب  
 بن زيدون المعزوي الأندلسي الكاتب المشهور . ليس في اسمه آثا اختلاف  
 ولكن في تاريخ ولادته اختلاف يسير كما ذكره علي عبد العظيم . و  
 يقرر أكثر المؤرخون على أنه ولد سنة ٢٩٤ هـ . ولكن المفضل في خطيبه

١ ديوان ابن زيدون ص ١١٣ ٢ ديوان ابن زيدون ص ١٥٢

٣ أيضاً ص ٥٥ ٤ نفح الhib ٢٨٣/٢

٥ ديوان ابن زيدون مع دراسته تفصيليه ٩

وبين أبيه في المولد والوفاة . فنجعل مولده ٣٥٤ هـ ووفاته سنة ٤٠٥ هـ له . وقد صرح هذا الوهم على عبد العظيم عند كلامه عن أبيه . وما ذكرت المصادر العربية في أي شهر من الحام ولد ابن زيدون . ولكن المصادر الفرنجية جمعت على أنه ولد سنة ١٠٠٣ م هـ . وبالرجوع إلى التقويم الزمني نجد اتفاق الحامين البرجزي والميلادي يتفق بين السبت غرة محرم سنة ٣٩٤ هـ الموافق من أكتوبر سنة ١٠٠٣ م وبين الجمعة ٤ من ربيع الأول سنة ٣٩٤ هـ الموافق آخر ديسمبر سنة ١٠٠٣ م هـ . وبهذه المقارنة بين التاريخين البرجزي والميلادي نستطيع أن نقرر أن ابن زيدون ولد في أوائل سنة ٣٩٤ هـ أو خريف سنة ١٠٠٣ م .

نحن نعلم أن أمه كان مقيما بالرصافة إلى جوار أستاذه الأصيلي الذي توفي في ذي الحجة سنة ٣٩٢ هـ . وقد ذكرت القوت الحموي أن الرصافة مدينة أنشأها عبد الرحمن الداخل وسماها الرصافة تشبيهاً بها برصافة جده هشام بن مشق . هـ . ويقول ابن حوقل إنها مساكن أعالي البلد متصلة بأسافلها من ريفها مشتبكة بأبنيتها محيطة بها مستديرة عليها من شرقها وشمالها وغربها هـ . ويذكر المقرئ أنها تقع إلى شمال قرطبة منخرفة إلى الغرب وأن الداخل اتخذها مقراً له ومتنزهاً في محله أوقاته وأثناءه لأنه نقل إليها غرائب الخروس وأكرم الشجر من كل ناحية فلما ذكرها وانتمت عمارتها من بعده وقد اشتهرت ببناتها الفخاء وثمارها البانحة التي انتشرت منها إلى أنحاء الأندلس . قال ابن سحيد إن الرمان السفري الذي فاخذ على أرجاء الأندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أحله من هذه الرصافة له وقد لهج بذكرها الشعراء مثل أبي حفص بن برد صديق ابن زيدون هـ وابن زيدون بنفسه بن بها هياماً وحفف بها من مواعين عديدة ورتل حينه إليها كلما شطبه

له شرح العيون ص ٤ ARABIC LITERATURE . 78, A LITERARY HISTORY  
OF THE ARABS. P. 424, THE ENCYCLOPEDIA OF ISLAM. 2 - 429, HISPANO ARABIC  
POETRY . P. 106, SPANISH ISLAM. P. 702, IBNE ZAYDUN P. 15, ١١٤/٣ تاريخ العرب  
التوقيعات الهامية ص ١٩٧ في معجم البلدان ٢٥٧/٤ .  
الممالك والممالك ص ٧٧ في نفح الطيب ٣٠٥/١ في الحل الهندية ٥٨/١

عنهما المزار له . حيث يقول ١ ابو حفص بن برد  
 سقى جوف الرصافة مستهل  
 محل ما مشيت إليه ابر  
 كان ترنم الدليار فيه  
 كان تشنى الاشجار فيه  
 كان الجدول المنساب دمل  
 كان رياضه ابراد و تشي  
 وبهتف ابن زيدون بها بحيث يقول :

على (التخب الشهدى) منى حمية  
 ولا زال نورني (الرصافة) حنايك  
 محاهد لم يولد نزل في ليلها  
 فان بان من عهدها فبلو عة  
 تذكرت ايامي بها فتبادرت  
 زكت . وعلى وادى العقيق سلام  
 تار جانيها يبكي عليه غمام  
 تدار علينا الميمون مدام  
 يشب لها بين الضلوع ضرام  
 دموع كما خان الفريد نظام

وها هو ذا يهتف بها في قميده ذكري قرطبة فيقول :

ويوم بجوف الرصافة مبهج  
 وقابلنا فيه نسيم النفسج  
 تراه أمام النور وهو امام ٢  
 مرنا بروض الاقحوان المدبح  
 وللاح لنا ورد كخل مخرج

وقد حدث أمير على أنها كانت تحتبر أنموذجاً مثالياً للضواحي الريفية  
 في أنحاء أوربا ٣

فهذه هي الرصافة التي أنشأت في ليلها ابن زيدون . ومما لا شك  
 فيه أن لهذا الجمال الذي تفتحت عليه عين ابن زيدون وهو طفل  
 ثم اكتحلت به وهو غلام وعربدت فيه وهو شاب . ولا شك  
 في أن لهذا الجمال أبلغ الأثر في إيفاء ذكائه وشعره وأدبه واتجاهه  
 للجمال . ففي مثل هذه الجنة انحدر ابن زيدون من أسرة كريمية

١ ديوان ابن زيدون ٢٧٦ ، ٢٧٧

٢ " " ١٩٤

٣ A SHORT HISTORY . P. 516

مرموقة المكان وقد فقد أباه وهو في الحادية عشر من عمره كلفه جده للأمة . وكما ذكرنا أنه كان عالماً جليلاً تطلب في منا حسب الإدارية الرئيسية من شرطة وقضاء . وكان شديد المراماة في أحكامه . وهذا نعتنا أنه كان حازماً في تربية سبطه وأن هذا الحزم جنبه مزالق السقوط التي يتعرض لها الأيتام من ذوي الثراء .

من قرائن الأحوال التي أحاطت به نستطيع أن نخرج بمصورة عن نشأته وتنشئه واهتمامه وإن لم يكن حقيقة فهي من الحق على مدى قريب . وإننا نعرف أن الأذكار بدتجه إلى العظماء إلا بعد أن يفوزوا بنصيب من الشهرة يجذب إليهم الأسماع والأبصار . ولذلك لم نجد لابن زيدون ذكراً إلا بعد أن قارب الثلاثين من عمره حيث أسهم في تأسيس دولة البهامة لقرطبة ٤٢٢ هـ . وما يزيد الظلام المحيط بنشأة ابن زيدون أن عصره كان عصر فتن متلاحمة وثورات متواصلة ودسائس ومؤامرات .

**عوامل نبوغه :** وبعد فقد ابن زيدون أباه أحاطت به عوامل مشبهة وأخرى حافزة فاستجاب إلى الثانية وإن كانت الأولى تركت في نفسه بعض الآثار . أما عوامل التحويق فترجع إلى ما يأتي : - وهو اليتيم المبكر إما أن يطبع صاحبه على الدل وما يشتهيه من الجبن والخبث والنفاق إذا كان اليتيم فقيراً أو تحدث وصاية طائشة غير أمينة وإما أن يطبع صاحبه على الأثرة وما يتبعها من عجب ودلال وميوعة وانحلال إذا كان من ذوي الثراء وبخاصة إذا كان وحيداً لأبويه أو لأحد هما كما هو شأن ابن زيدون وهذا بالطبع ما لم يكن على النجل حفيظاً أو رقيباً .

٢ - الثراء : - وهو يتسبب لنا شئ آفاقاً فسيحة للانغماس في اللذات والاكباب على الشهوات ما لم تدخ به عيون بصيرة ملهمة وأيد قوية

حازمة تجنبه المزلق وتقيه العثرات .

٤ . وإننا لا دخلنا أن عصره كان عصر ترف ونعيم يأسه بسمات التهور والانطلاق من اغلال التقاليد . وكانت الجوارى والعلماء مبدولين لكل راغب بأبخص الأثمان . وكانت الخمر مباحة يتمتارح أعوسها الندمان وهذا الجودير بإثارة الفتنة في نفوس الكهول بله المفتيان .

٥ . المتلاقل والثورات التي تدفع إلى الخروج على المؤلف وتطهير التقاليد والدفع مع النزوات الجامحة والخراخر المكبوحة .  
٥ . الوسامة : ولما كان ابن زيدون على نصيب منها وهو كهل له فنانظن وهو شاب أو غلام والجمال المدحوظ يحيط صاحبه دائماً بنوازع الفتنة ولواعث الإغراء ويجذب إليه الأنظار . والطفل الذي ينشأ في مثل هذه الأجواء معرض لأن يجرفه التيار الحام فيتحرم من كل قيد ويحطم كل وثاق ولكن هذه العوامل القسطة قابليتها عوامل أخرى حافزة كانت أقوى منها أثراً وأبعد مدى فنجت بابن زيدون من مأوي الانحدار . فهذه العوامل القوية هي .

١ . كفالة أمه التي قد نشأت في بيت تخمره أنوار المعرفة والاتقان ثم كفالة جده له الذي كان من رجال الدين المرموقين والذي تقلب في مناصب الإدارة الرئيسية من شرطة وقضاء والذي كان مشهوراً بالامراماة في أحكامه والذي كان صاحب الشرطة والسوق بقرطبة والقائم في هذا المنصب من شأنه تأديب المارقين والضرب على يد كل خارج على العرف والقانون . ومن يؤدب الجانب فهو أول بتأديب أهل بيته وأخذهم بالحزم وإلا كان غير جدير بمنحه الذخير وكتب التاريخ تشهد أنه أدى حقه كاملاً في تربية ابن زيدون .

٢ - وكما نعلم أن لوالده أصدقاء من ذوي المكسنة المرموقة والشأن

الذخير من رجال العلم والدين، ومثل هؤلاء الرجال جديرون بأن  
يرعوا حقوق صدقهم بجد موته في ابنه وأن يوالوه بالتثقيف  
والتهذيب. وقد أدوا هذا الحق في تثقيفه وتهذيبه بالعلم  
والمعرفة.

٣- والمال الذي تركه له والده. وقد يكون هذا المال بحسنة  
يدفع إلى الفساد كما قد يكون نعمة تقود إلى الرشاد وبخاصة إذا  
تولته أيد حازمة حكيمة بصيرة بالسداد. ونحن نرى أن وليه  
لم يتركه خليعاً في هذا الأمر وما أتيج ابن زيدون أي فرسه للانغماس  
في اللذات والاكباب على الشهوات.

٤- وقد ذكرنا أن المتلاقل والثورات تقود إلى التهور والانطلاق  
ولكنها من جهة أخرى تشير المواهب الكامنة وتحفز العزائم الفنية  
وتكشف عن معادن الرجال. وتشير في النفوس القوية التطلع إلى مناصب  
الصدارة وقيادة الجماعات. ونحن نعلم أنه ارتقى على مناصب عالية  
بمساعدة هذه الثورات كما ساعدت كثيرين من أصحاب المواهب  
على تأسيس إمارات وممالك بأندلس.

٥- الاستعداد الفطري :- ونحن نعلم أن كانت مواهب ابن زيدون  
الفطرية واستعداداته الوراثية وبئته الصالحة كفضيلة بأن تحبذ به  
إلى محال الأمور وتجنبه سفاسها. وكما يقول المؤرخون إنه قد ثقفت  
مدارك الشاعر في عصر ذهبي حافل بالسندوات العلمية والأدبية  
مفتون بالأدباء والشعراء فألتقط هذا مواهبه الفنية وحضرها على  
البروز في عهد مبكر من حياته الحافلة بالأحداث.

فهذه صورة موجزة حول جوه الذي نشأ فيه ابن زيدون. وقد  
لاحظنا أنه ما وقع في الإفراط والتفريط. ولكن بئته الصالحة  
مهلت له سبل تثقيفه وتهذيبه لكل إهتمام.



## التعليم

١- يظهر كلون ابن زيدون على المكان الرفيع من الأدب والحلم أنه قد تمررت من مهل طفولية في العلوم التي كانت شائعة عند الأندلسيين التي كونت ثقافته وأثارت عقله وبوأته مكانه الرفيع فحين نحلم أن الأندلسيين قد امتازوا عن غيرهم بأنهم كانوا يأخذون صباههم بحفظ القرآن ويلقنوههم في الوقت نفسه رواية الشعر والنثر وعلوم اللغة ودروس الخط ثم الحساب على العكس من المشاركة فأنهم كانوا يحفظون صباههم الكتاب الكريم ثم يلقنونه علوم الدين وتأتي بعد هذا مرحلة رواية فنون الشعر والنثر وعلوم اللغة. وقد انتقلت هذه الطريقة من أهل المشرق أبو بكر بن العربي لأنه يرى طريقة الأندلسيين أحسن بالاتباع بحيث يقول:

« قدام تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس لأن الشعر ديوان العرب » ثم يقول « وبإغفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ المبنى بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهمه وينصب في أمر غيره أهم »<sup>١</sup> ويرى ابن خلدون مثل هذا الرأي حيث يقول:

« وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حمول ملكة مواروهم أعرق في اللسان العربي »<sup>٢</sup> وقد زاد على عبد الخطيب على هذا بقوله:

« وإن كان قد أخذ عليهم تكميلهم في بقية العلوم بالنسبة إلى المشاركة الذين يدرسون هذه العلوم لأطفالهم مع تحفيظهم القرآن الكريم. وقد بسط الدكتور فيليب حتى مناهج التعليم في شتى مراحلها بالأندلس حيث قال: « أما المناهج الدراسية فكانت في التعليم الابتدائي تتناول كتابة الخط وقراءة القرآن وتعلم النحو والصرف ورواية الشعر » ثم قال: « أما التعليم العالي عندهم

<sup>١</sup> مقدمة ابن خلدون ٤٩٥ - ٤٩٦

<sup>٢</sup> " " " ٤٩٥ - ٤٩٦

فيقوم على تفسير القرآن الكريم ودراسة علوم الدين والفلسفة وأصول  
اللغة العربية والشعر وعلوم المفردات والتاريخ والجغرافية،  
فهذا أمر طبيعي أن ابن زيدون سار على هذا المنهج القديم  
وبخاصة أن هذه الثقافات كانت متجلية في أبيه وحديه  
لذمه وأحمداء أبيه. ولكننا لم نجد أي دليل في كونه حافظ  
القرآن لأن المؤرخين والباحثين قد سكتوا في هذا الأمر. ولكن ببدايته  
وذكاءه قد تمكن على سائر العلوم حيث نجد في أشعاره ونثره الفني  
النماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه وأصول  
الفقه والعلوم الفلسفية والعلوم التاريخية وعلوم اللغة والأدب  
وغيرها من العلوم وسنحدث عن آثاره بعد هذا الباب إن شاء الله  
بالتفصيل. والآن نريد أن نلقى ضوءاً على أسانده بالبيان.

**أسانده :** نحن نحله أن ابن زيدون نهل من منابع  
ثقافات عديدة ولذا نبخ في شتى العلوم والمعارف التي كانت  
فسحة الجوانب متعددة المعالم. وبنو غلة في العلوم يوحى أنه تتلمذ  
لأساتذة عديدين ولكن كتب التاريخ لم تحين لنا أحداً من أسانده  
إلا أستاذاً واحداً نجد إشارة ابن زيدون إليه في رسالته وقصيدته  
كتبهما في مخطته. ولكن هذه الحقيقة أن أباه كان أستاذه الأول  
وإن توفي قبل بلوغ ابنه ولا شك في أنه كان وحيداً أبويه. فكيف  
يمكن أن لا يهتم به تهذيب ابنه الوحيد وتثقيفه من أول نشأته  
وقد كان عالماً جليلاً من علماء الدين وكان من أهل المعرفة  
باللغة والأدب. ومع أنه لم يحترف مهنة التحليل إلا أنه  
أفاد بجله كثيرين كما يدل على هذا الادعاء ما قرره ابن زيدون  
من أستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد تتلمذ لأبيه "ولم يزل متوفراً  
عليه أخذاً عنه مقتبساً منه" مع اعتداده بهذه الاستاذية وهتافه

بها له وإذ كان حريصاً على إفاضة الناس من علمه وأدبه فهو أشد  
 حرماً على فاعلة ابنه. وكذلك كان جده لأمه من أساتذته الأولين  
 لأنه كفل له بعد وفاة أبيه وابن زيدون في مستهل العهد الثاني  
 من حياته وهذا معلوم أن الجد كان من رجال الدين والإدارة وأنه  
 كايخلاق الأدب. ولا شك في أنه تدرج في نفس سبطه أثرًا ملموساً.  
 وأما الأستاذ الندي جلد ثناعند ابن زيدون في قميدته ورسالته  
 فهو أبو بكر مسلم بن أحمد. ولكن بعض الباحثين قد خلوا اسمه برجل  
 آخر. كما ذكر أو غسست كور أنه أبو بكر مسلم بن أحمد الأديب بن اللبابة  
 وقد تابعه في هذا الخط "نيكل" و "الدكتور أحمد أمين" وما ذكروا المصادر  
 التي اعتمدوا عليها في بحثهم. ولكن على عبد العظيم وحصل إلى نتيجة  
 صحيحة بعد جهد شاق في التحقيق<sup>٣</sup> حيث يقول "أما المصادر العربية  
 فنحنها أكتفى بأن اسمه أبو بكر<sup>٤</sup> وذكر في الذخيرة أنه أبو بكر بن  
 مسلم<sup>٥</sup> فكان مسلماً أبوه، فما اسمه هو، رجعنا إلى الدواوين المخطوطة  
 فرأينا تتفق جميعها على أن اسمه "أبو بكر مسلم بن أحمد"، وقد رجعنا  
 إلى كتب التراجم فوجدنا أن الوحيد الذي ينطبق عليه هذا الاسم  
 بأكمله هو "أبو بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النهوي" وترجمته توضح  
 ثبانه هو الأستاذ المنشود. وقد تنبه إلى هذا الدكتور شوقي ضيف  
 في بحثه القيد عن ابن زيدون<sup>٦</sup> وهذا كتب على عبد العظيم  
 أنه وجد الخاية حينما رجع إلى أمبول الذخيرة المخطوطة بدار الكتب  
 المصرية. أنه وجد فيها "أبو بكر مسلم" لا "ابن مسلم"، على عكس  
 النسخة المطبوعة ويذكر عنه ابن بشكوال فيقول: "مسلم بن أحمد بن أفلح  
 النهوي الأديب من أهل قرطبة يكنى أبا بكر.... وكان رجلاً جليلاً  
 حسن العقل متضامناً بين العربية واسع الخلق مع نبله وبراعته  
 وتقدمه في علم العربية والمخة روية للشعر وكتب الآداب،

١ الذخيرة ١/ ٣٥٠ ٢ IBNE ZAYDUN P. 16

٣ ابن زيدون ص ١١٨ ٤ قلائد الحقيان ص ٧٩ ٥ الذخيرة ١/ ٣٠٥

٦ ابن زيدون ص ١٩ لشوقي ضيف.

كان لتلاميذه كالدب الشقيق والذئب الشقيق مجتهداً في تبصيره  
متدلفاً في ذلك سنياً ورعاً وافر الخط من علم الاعتقادات سالكاً  
فيها طريق أهل السنة ليعتصر اللسان عن وصف أحواله الصالحة ولد سنة  
٣٧٦ هـ وتوفي لثمان خلون من شعبان سنة ٤٢٣ هـ . . . . وكان إمام  
مسجد السقاء وكان متمسكاً غاضلاً .

ويذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه أن ابن زيدون لزم صديق أبيه  
أبي العباس من ذكوان وأفراد من علمه وفقهه . فقد كان عالم قرطبة  
الأول في عصره . وامتدت حياته بعد أبيه سنة ٤١٣ هـ . وهو  
غير أبي بكر بن ذكوان قاضي أبي الحزم بن جهور الذي رثاه ابن زيدون .  
ولقد تأثر ابن زيدون بكثيرين من أعلام عصره في علوم  
الدين وفنون الآداب وأشتات العلوم فأن عصره كان يعج بعاثنة  
من العباقرة الموهوبين . ولديرب في أنه أقبل على الكتب يلتمسها  
إتباعاً ولعل لوفرة الكتب في عصره ولسعة ثروته أثراً في ثقافته و  
علمه الخبير .

**ابن زيدون في قرطبة :** نحن نعلم أن ابن زيدون لوى لحوال حياته  
في ظل مدينتين ، قرطبة و اشبيلية . أما قرطبة فقد كان مولده  
ونشأته وتعليمه وتربيته وتنشيطه فيها . ولم نجد رواية تدل على  
أنه رحل إلى غير موطنه لطلب العلم . وقد لاحظنا أيضاً أحوال  
الاندلس السياسية والاجتماعية ، أنها كانت حافزة بالفن والثورات  
المتوالية . وفي ظل هذه الثورات قامت الحكومة الجمهورية لقرطبة  
وحكومة بني عباد بأشبيلية . التحمل ابن زيدون في هذا الدور بكثير  
من عظماء عصره وأعلامه ومن أبرز الدلائل توطدت علاقته  
صديقتان كريمان كان لهما في حياته ابليخ الأثار . هما أبو الوليد بن جهور

وأبو بكر بن ذكوان . وهذه حقيقة أن هؤلاء الأحمقاء الثلاثة توارثوا الصداقة عن آباءهم . فوالد ابن زيدون كان صديقاً لأبي العباس بن ذكوان كما كان زميلاً لأبي الدخيم ابن جهور في تتلمذه للأصيلي . ولذلك كان ابن زيدون من أتباع أبي الدخيم المقربين . ويمتال إليه ساعده في إسقاط بني أمية وإقامة حكم الجبارة بقرطبة . وليس الدنيا أخبار واضحة عن ابن زيدون في أثناء الفتنة التي انتهت بسقوط الأمويين وقيام النظام الجمهوري في قرطبة وعلى رأسه أبو الدخيم بن جهور . وكل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد هو خروج من الحذر والتخمين . ويغلب على الظن أنه لم يقف مكتوف اليدين إزاء الحوادث التي مرت بها بلده وفي شعره ما يدل على أنه كان في حاشية أبي الدخيم حين نهوضه للأمر .

وبعد إقامة الحكومة الجمهورية لم ينس أبو الحزم بن جهور صديقه ابن زيدون . وما إن قامت دولة البهاورة في قرطبة حتى قربه أبو الحزم وأدناه من ذاته مؤكلاً إليه أمر النظر في أهل اللامعة واعتمداً سفيراً لدى بعض ملوك الطوائف الذين يهزمهم أدبه وجاز إعجابهم بلطيف براعته وحسن كياسته .

كما يقدر ينكسون أن ابن زيدون أصبح وكيلاً موثقاً به لابن جهور  
الرئيس الحاكم لقرطبة له وفي هذا يقول ابن دمية .. وكان ابن زيدون  
زعيم الوزارة القرطبية ونشأة دولتها السننية حتى صار ملجأ لسانها  
وحل من عينها مكان إسنائها .. له ويقول أئمننا في وصف العلاقات  
الوثيقة بين الأمير وابن زيدون .. وكان بينه وبين رئيسها الحسين  
أبي الحزم بن جهور إئتلاف الفرقدين وإتقال الأذن بالعين .. كما يقول  
ابن بسام " إن ابن جهور قتله للنخر على أهل الدمة لبعض الأمور  
المحتزنة وقصره بعد على مكانه من الخامسة والسفارة بينه وبين

الرؤساء فأحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الملوك. له  
وكن عين الأيام له تخفى عن ابن زيدون فقد كانت تدخر له في ظهر  
غيبها المعصائب والأرزاء. لا يخلص من فجيعة إلا تلتها أخرى ومن  
مسيبة إلا عقبها ثانية ولكن كتب التاريخ بدل على أنه لم يمل قطعه هذه  
الأحداث والمعاصب الفجيعة المتواترة. يقال إن لموح ابن زيدون  
السياسي كان أوسع من أن يرضيه هذا المنصب أو ذاك. ولذا عمد  
للتصريح بعد التلميح منوهاً لابن جهور بما يهتلع في أعماقه من  
كبير المعاصم وبعيد الخبايا، مذكراً إياه بماله من يدلولي في  
إقامته صرح الدولة الجديدة. حيث يشير إليها.

جناحي في جوارحه الدليل	وحدي في رجاكم الكليل
نميب من ولد بكم كثير	وخط من عنايتكم قليل
أتحيا أنفس الآمال فمكم	ولي أثناءها أمل قتيل
وأعجب حادث نظركم لديكم	إلى غل النجاح وبني غليل
وقلحي في وداكم مهلى	وباعى في اعتمادكم طريل

وإلى هذا يشير على عبد العظيم في كتابه<sup>٢٩٠</sup> حيث يقول: "ومن  
الطبيعي أنه لم يقنع بماله من نميب فإنه كان يطمع إلى منصب  
رئيس محدد المعالم وأمنح الحدود، وربما كان يريد أن يفرض رأيه أو نفوذه  
على الحاكم الجديد، وقد تقوده مطامحه إلى أكثر من هذا فإنه ينتهي  
إلى أعرق القبائل العربية في الحسب والنسب على حين كان ابن جهور  
ينتهي إلى طبقة الموالي."

ولذلك خلافت في أن طلب الاشتراك الفعلي بالحكم لتصريحاً أو  
تلميحاً ليس مما ترتاح إليه نفوس الحكم ولذا كان رد الفعل على غير أمل  
ابن زيدون وأخذت شفته الأملاف تتسع ما بينهما شيئاً فشيئاً  
فمنزلاً عما للسحابة من أشد في إفساد ما بينهما. وهذا أحسن أبو الزمر

له الأخيرة ج ١ ص ٢٩٠

له ديوان ابن زيدون ص ٦٢٠

له ابن زيدون ص ١٣١

بترأكه غيوم الفتنة في سماء عاصمته ومحاولة خادل الأهو بين الإنثاخن على الحكم الجمهوري. وقد توجس أبو الحزم من إسهام ابن زيدون بحركة محاولة الانقلاب هذه. وكان أيقظ من أن يؤخذ على حين غرة فنهد لمن يحكيون في الظلام بعادجه به بحصا الحزم. وإلى هذه النتيجة وصل على عبد الحظيه بحيث يقول: "وقد قادته هذه المطامح إلى أن يؤرط نفسه في أمور قطعت ما بينه وبين أميره من صلات وأحالت الحب إلى بغض والقرب إلى بعد ثم انحدرت به أخيراً إلى مهادي الاعتقال والتكيل". ولشك فيه أن هناك كانت اختلافات شديدة بينهما. وكانت طبيعتهما على طرفي نقيض في الطباع والميول. إنما الاتفاق الذي رأيناه بينهما هو كان جهاد الحد والمشاركة من الطخاة الحاكين. فلما وصلت تلك المناشة واستقرت الأوضاع بدأ الخلاف يلب بينهما وذن بنظن في هذا الأمر أن السبب الأصلي في الاختلاف بينهما هو كان الإنكار الفعلي معاهدة أبي الحزم التي قال فيها إنه يسلم الحكومة إلى من يتفق الناس على إمارته له. فذا ذكر على عبد الحظيه خصائصها في الطبيعة والحداد في ضوء التاريخ لما بد لنا أن نذكرها.

(١). الأمير كان متواضعاً متحفزاً وابن زيدون كان مغروراً ذهب به الحجب كل مذهب وهون عنده كل مطلب له

(٢). والأمير كان يتظاهر بالزهد في الحكم والنزول على حكم المشيرين. وابن زيدون كان معتزاً بنفسه يطلب ويمر على تنفيذ طلبه حتى "طلب طلباً أماره إلى الاعتقال وقصره عن الوخل والرقال"

(٣). والأمير كان متمسكاً بدينه حريماً عليه وابن زيدون لم يكن من المتمسكين به بل كان أقرب إلى المتساهلين فيه.

(٤). والأمير كان وقوراً مترمناً وابن زيدون مناد فحاً مستهتراً يلهو ويحافق الراح ويذهب مع الحجب كل مذهب.

- ٥ - والد أمير كبيره بثلاثين عامًا حيث ولد سنة ٣٦٤ هـ<sup>١</sup> ومع هذه الدواعي هنالك دوافع أخرى لفوارق بينهما ويتضح منها ميول ابن زيدون إلى الأموية وهي :
- ( . كان والد ابن زيدون وصديقه أبو العباس بن ذكوان من أشياع بني أمية ويظهر أن ابن زيدون وصديقه أبا بكر بن ذكوان ورثا عن والديهما جانبًا من هذه الميول .
- ٢ - كانت ميول ابن زيدون وصديقه ابن ذكوان كما كانت ميول والديهما متجهة إلى البربر .
- ٣ - وابن زيدون أحب حبًا جارفا فتاة من زهرات البيت الأموي وتدلح هذا الحب في نفسه أعماق الآثار .
- ٤ . فتلاخبت آمال ابن زيدون في الدولة الجديدة ولعله تشهر بالندم على إسقاط الخلافة الأموية فجاد يحن إليهما من جديد .
- ٥ - وكان ابن زيدون يعلم أن بذور الدعوة الأموية لم تتم فالخليفة المعتد بالله آخر خلفائها عاش بعد عزله ونفيه خمس سنوات في لاردة<sup>٢</sup> ، ومن الطبيعي أن تحدثه نفسه باسترجاع عرشه المفقود . وكان أمية الذي يدعي أنه صاحب الحق الطبيعي في الخلافة الأموية يجرم حول قرطبة وكاد يدخلها لولا أن دس له بعض شيوخ قرطبة من قتله سنة ٤٢٥ هـ<sup>٣</sup> ثم ظهرت بعد هذا دعوة هشام الفرعوم .
- ٦ - إن جيوش بني عباد حاولت الدخول بهشام إلى قرطبة بعد أن أعلنت بيعته بها فمنعه أهل قرطبة من الدخول . وربما كان ابن زيدون ممن أشار بدخول هشام إلى المدينة .
- ٧ . ألف ابن زيدون كتابًا في تاريخ بني أمية . ولولم يكن ميوله متجهة إليهم ما أفرد لهم هذا التاريخ . ولعله أراد أن ينسب



الذَّهَّانَ إِلَى مَا ضَيَّعَهُمُ الْوَضَاءُ .

٨ - وَكَذَلِكَ اتَّجَاهَهُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بَعْدَ فَرَارِهِ مِنَ السَّجْنِ سِيدَلْ عَلَى مِيلِهِ بَنِي أَمِيَّةَ لِأَنَّ صَاحِبَ إِشْبِيلِيَّةَ هُوَ الْقَتَّائِدُ بِدَعْوَةِ هِشَامِ الذَّمَوِيِّ . وَيُمْكِنُ أَنْ ابْنُ زَيْدٍ وَنَزَمَ قَرْطُبَةَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بِسَبَبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الذَّمَوِيَّةِ .

وَلَكِنْ مَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي لَا بَدَلْنَا أَنْ نَذْكُرَ الْأُمُورَ عَلَى عَكْسِهَا وَهِيَ أَنَّ ابْنَ زَيْدٍ لَمْ يَحْلُنْ عَدَاوَةَ الْأَمِيرِ أَبِي الْحَزْمِ وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَحْلُنَ هَذَا الْحَدَاءُ وَإِلَّا أُعْطِيَ خَصْمُوهُ فُرْصَةً لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ . وَصَلَاتُهُ الْوَثِيقَةُ بِوَلِيِّ الْحِمْدِ لَمْ تَكُنْ تَسْمَحُ لَهُ بَأَنَ يَحْلُنَ هَذَا الْحَدَاءُ . وَإِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا فَلَمْ يَسَاعِدْهُ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ جَهْوَرٍ فِي فَرَارِهِ مِنَ السَّجْنِ . وَأَمَّا التَّهْمَةُ عَلَيْهِ فَرَارُهُ مِنْ قَرْطُبَةَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ لِمُسَاعَدَتِهِ فِي إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ الذَّمَوِيَّةَ هَذِهِ بَاطِلَةٌ . فَإِنَّمَا نَرَى قَدْ فَرَمَ قَرْطُبَةَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بِسَبَبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الذَّمَوِيَّةَ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْلَامِ ، مِنْهُمْ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ لَهُ وَأَبُو عَامِرِ بْنِ مُسْلِمَةَ لَهُ وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ الْقَيْمِيُّ<sup>٣</sup> وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْلَامِ ، مِنْهُمْ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ . التَّهْمَةُ كُلُّهَا نَظَرْنَا أَنَّ ابْنَ زَيْدٍ وَنَظَرْنَا أَنَّ بَدْرَ مَحَاهِدَةَ أَبِي الْحَزْمِ الَّذِي عَمِلَ فِيهَا أَنَّهُ سَيَسْلُمُ أُمُورَ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ يَتَّفَقُ أَهْلُ قَرْطُبَةَ وَلِمَا رَأَى ابْنُ زَيْدٍ وَنَظَرْنَا أَنَّ بَدْرَ مَحَاهِدَةَ فِي جَبُورَةِ هِشَامِ الذَّمَوِيِّ مَا لَمْ يَلِهِهِ لِدَعْوَةِ الْمَعَاهِدَةِ .

فَهَذَا صُورَةٌ مُوجِزَةٌ فِي مَيُولِ ابْنِ زَيْدٍ إِلَى بَنِي أَمِيَّةَ وَعَكْسِهَا . وَنَظَرْنَا أَنَّ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لِنُحْبُوبِ أَبِي الْحَزْمِ هُوَ إِتِمَامُ حِسَادِ ابْنِ زَيْدٍ وَنَظَرْنَا أَنَّ مَنَافِسِيَّهُ . فَتَلَا أَدْخَلُوا فِي رَوْحِ أَبِي الْحَزْمِ أَنَّ ابْنَ زَيْدٍ وَنَظَرْنَا أَنَّ حُكْمَهُ وَأَنَّ هَذَا فِي الدَّعْوَةِ لِهِشَامِ الْخَلِيفَةِ الْمَرْعُومِ بِإِشْبِيلِيَّةَ وَحَانَ الْأَمِيرِ قَدْ لَفَّخَ بِبَيْحَتِهِ بَعْدَ إِجْرَامِهَا . ثُمَّ أَوْهَمُوهُ بَأَنَّ ابْنَ زَيْدٍ أُلْطِقَ لِسَانَهُ فِي هَجَائِهِ . وَزَعَمُوا أَنَّ عُنْيَانَهُ مَجَالِسَ وَتَدَاةَ عُنْيَانٍ مُتَرَيِّبٍ قَلْبًا يَخْفَى

خلفه مؤامرات سياسية مع أقطابه الأمويين المتلوعين فاستجاب  
 الأمير بهذه الدسائس. وهكذا أصبح ابن زيد وحبيباً ما بين أربحية  
 جدران لا ينفذ إليهما الهواء والنور إلا بمقتدر رجل أن كان يملأ رياض قرطبة  
 صداخاً بتعشقه الآذان وتطرب لا يمتاعه القلوب. وقد لاقى في سجنه  
 الكثير من ضروب العذاب وأقنان الدخوب والتخيف عليه. فخلطه  
 ثناء الطبقات الدنيا من الدصوص والقتلة والمجرمين مما وصفه  
 برسالة بعث بها إلى استاذ أبي بكر مسلم بن أحمد وذلك عقب  
 فزاره من السجن حيث يقول: "كنت أول حبسى قلا وضعت من السجين  
 هي موضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيئات منهم  
 فيه وفي الشر ذيار وبعده أهون من بعض، فميت من مطالبة  
 بعض ما ياتر الناظرون في السجن له وليسعون منه، بما اقتضى نقل  
 إلى حيث الديانة المفسلون والدموح المعقيدون. وشكوت ذلك  
 إلى الخابيس لي في اليوم الذي مضى ذكره بمشهد من تقدم وصفه فانتفى  
 من الرضا به، وأظهر له متاعاً منه، وتقدم إلى المؤكل بالسجين في  
 إختيار ما جلس أبين فيه من لا تليق بي ملابسته، وأتت عملاً  
 ترضى لي ملابسته ثم لم يلبث أن أحضره إلى مجلس نظره وأمر بتأريه  
 على إمتاله في ما أمره به، وإنتهائه إلى ما حله، واستأنف العهد  
 في التحقيق على، ومنع من اعتاد صلتى من الوصول إلى، فاصعدت إلى  
 غرفة في السجن أقنعني بها مع حساستها، وأسألني عن المحيية بالكون  
 فيه ما على منافتهما إفرادى من لفيف الخلط ومن حمله السجين من  
 السفلة والسقاط. فحين استواشى إلي ما عدا بدلى إلي به وخلق به  
 ووضعني بينه، فنقلت في نفس ثلاث نفل على أفتيح النصب و  
 أسوأ الرتب ودخل إلى في هذه الحال من أبلغني عن ابن أخي الحكيم رسالة  
 جامعة من السب الفاضل لفنون مشتملة من الوعيد المرهب على ضروب

ولا جدل في أن هذه الكلمات على اقتضاها تعطينا الصورة الواضحة على  
أشد ما يكون الوضوح مما لدقاه ابن زيادون من عنت وظلم ما بين مدلهمة  
جدران سجنه . ويقول على عبد العظيم<sup>أ</sup> ما قد أعلى سجنه . ومن  
هذا النص نرى أن الخدش من سجن الشاعر لم يكن القصاص على  
جريمة ارتكبا وإما كان الخدش منه التشفى والد تخام بطرق ملتوية  
تجافي الطبع السليبي والخلق الكريم .

ولا شك أن الملامة في نفس ابن زيادون كانت ألمية لأنها  
متحدة الجوانب بتشبهة الأهداف . فقد أصابته في مكانته وجاهه  
كما أصابته في المروج كما أصابته في سمعته الأدبية والخلقية .  
وكل هذا يهون إلى جوار شمس الحساد وتشفى الأعداء . ومع ابن زياد  
المملكات حلة أنها وقحت على رجل مقرون نشأ في مهاد النعمة وتقلب  
في أعطاف النعيم واعتاد أن تكون له المداقة في كل مجال . وهو إلى  
هذا رجل مدهف الحس مشوب العاطفة تتلقن أعصابه المملكات  
الحادية مضاعفة . وكان أشد ما يؤلمه في محنته ما يحرقه من  
عواطف أمه وأنها تذوب حسرات عليه وتفلح أنفاسها شوقاً  
إليه . وهو يردد هذا في إحدى قصائده فيقول :

ألم تترك الأيام نجباً هوى قبلى	ألم تترك الأيام نجباً هوى قبلى
ألقى بكاءً لست أول حيرة	ألقى بكاءً لست أول حيرة
وفي أم موسى عبدة أن رميت به	وفي أم موسى عبدة أن رميت به
ويرد مثل هذا في رسائله فيقول : « وغبت عن أمنا وأولادها	ويرد مثل هذا في رسائله فيقول : « وغبت عن أمنا وأولادها
تمت أنفاسها شوقاً إلى ، ونقيض أجفانها حزناً على ، والله يرى بكاءها	تمت أنفاسها شوقاً إلى ، ونقيض أجفانها حزناً على ، والله يرى بكاءها
دليماً لي على من ظلمني نداءها ... <sup>هـ</sup>	دليماً لي على من ظلمني نداءها ... <sup>هـ</sup>

وهناك نرى أن بعض أحداقائه لم يتحولوا عن عهد . وإنما  
كانوا يشفقون على أنفسهم من اندفاع ابن زيادون وتهورهم ويخشون

أن يجر فيه محله إلى الأقطار. ومن هؤلاء صديقه وأستاذه أبو بكر مسلمة بن أحمد. وقد عاتبه ابن زيدون بعد فراره من سجينة على تبرئه من التهمة التي ألصقت به. فقال مظلوماً أستاذه: "وأوسلحه بمحابتك ما كان من الفضائل عنى وبراء تلك أمد المحنة منى، وأنت لم تكن في ورد ولا صدر من مشاركتي فيها، ولا كانت لك ساقية ولا جمل في ملاحرتك لي عليها، مع الفكرة بك على تهوين خطيها وتذليل صعبها وتليين شديدها وتقريب بعيدها" <sup>١</sup>

وكذلك نرى أن ابن زيدون سعى في استرداد التهمة المباشرة التي وجهت إليه وقد راجع القاضي فيها وألزمه الدخبة وكتبه مانحاً في استماعه. وكذلك استعان بصديقه الحميم ولي العهد <sup>٢</sup> كما استعان بأحمد فائده من أدعياء الجاه والنوذ كابي حفص بن برد دك صخر ولكن الموقف كان أخطر من أن تناله الشفاعات وأخيراً إتجه مباشرة إلى أبي الحزم بن جهمور فأخذ يذكره بمواقفه وتأيدته وتفننه في التنويه وإيد شأده بذكره هاتفاً به حيث يقول "وهل ليس المسباح إلا برد الحزمتة بفضائلك، وتقلدت الجوزاء إلا عقداً أفصلته بآثرك، واستملى الربيع إلا ثناءً ملأته بمطاسلك، وبث المسلك إلا حليتها أذعته هي محاملك..." <sup>٣</sup>

ولكننا نلح أن الشاعر قد خدع نفسه فتوههم أن تفننه في الحنراصة إلى أبي الحزم ليفنون الشعر وحنروب النثر أو تكلمت أن تجلداً فاستخفه الأمل، إلى هذا الوهم أشار ابن زيدون في أشعاره <sup>٤</sup> وأخيراً يؤسس ابن زيدون من الحفود بلغة من الوعيد ما يلجأه فنكر في الفرار وديوله أحسن تدبير. وهنا نحب أن نذكر بأن ابن زيدون لم يكن موفقاً في استرحامه لأبي الحزم فإنه حشاشاً له وقصائده باليمن عليه. سنتحدث عن هذا حينما نذكر آثاره إن شاء الله.

<sup>١</sup> الخلاصة ٣٤٥/١ <sup>٢</sup> اعتبار الكتاب ٧٧

<sup>٣</sup> تمام المتن ١٠ نقلًا عن ابن زيدون ٢٠٦

<sup>٤</sup> ديوان ابن زيدون ٨٩ — ٩٠

اختلف المؤرخون في زمن سجن ابن زيدون. قال بجزءه أنه سجن مرتين مرة في زمن أبي الدخوم بن جهور ومرة في زمن ابنه أبي الوليد بن جهور. له أما سجنه في زمن أبي الدخوم فقد أجمع عليه المؤرخون لأن الرسالة الحلبية التي كتبها ابن زيدون من سجنه وكذلك قضاة موجهة جميعاً إلى أبي الدخوم. وأما قول الذين يذهبون بأنه سجن في عهد أبي الوليد فهي مارواه ابن خاقان من أنه "كان له مع أبي الوليد بن جهور ثالث أحرماً بكعبته وخافاً..... إلى أن وقع له طلب أحضاره إلى الدعتقال، وقهره عن الوخا والأرقا. فاستشفع بأبي الوليد وتوسل، واستدفع به تلك الأُسنة المشرعة والأسل، فلما شئ إليه عنان عطشه، وبأكت عنه استئان مرهقه، فتدبيل بنفسه حتى تسلسل من حبسه ففر فراراً خائفاً وسرعى إلى أشبيلية سرى الخيال الطائف فوافاها غلساً قبل الإسراج والإدجام ونجا برأس طمرة ولجام فهشت له الدولة" له ولكن هناك أمران بهذا أن أوقعا بعض المؤرخين في اللبس أو ربما أنه ليست فيه إشارة إلى أبي الدخوم بن جهور و ثانيهما فرار الشاعر إلى أشبيلية حيث قوبل ببخاوة وإكرام. ونحن نعلم أن رحلته إلى أشبيلية واستقراره بها سنة ٤٤٤ هـ كما حدث محاسنه ابن حبان له وكذلك يذكر ابن نباتة أنه وقع في هذا اللبس فتابع ابن خاقان فقال "والفتح إلى أبي الوليد بن جهور ويتكن من دولته واشتهر ذكره واعتمداً عليه في السفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجب به القوم وتمنوا أميله إليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور لفته عليه أمراً فحسبه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقضاة بلايحة فلم تنجح فتهرب وأتمم بعباد بن محمد صاحب أشبيلية الملقب بالمعتنل فلتفتاه بالقبول والإكرام وولاه وزارته" له وذكر ابن دحية أنه

فرومن سجنه نقله ما بين إشبيلية وقرطبة في ليلة واحدة مع  
أن مسافتهما ثلاثة أيام وأن المعتقل تلتاه بالحفاة والكرام والحق  
إليه بمقاليد الوزارة " له ولكن الحقيقة كما قال على عبد الخطيب وهو  
الأرجح عندي أنه لم يسجن مرتين وإنما رحل إلى إشبيلية مرتين الأولى  
جبراً من السجن في عهد أبي الحزم بن جهور والثانية ضيقاً بما يلتهاه  
من دسائس وفتن من حساده في عهد أبي الوليد بن جهور. وقد ناقش  
على عبد الخطيب ووصل إلى المصواب. حيث يناقش<sup>١</sup> " أما النمى الأول  
فقد استقاه ابن خاقان من ابن حيان مؤرخ الأندلس ومحاصر ابن زيدون  
ويظهر أن السجع والعجلة أسقطتا منه عبارة أو وقعت من بعده  
في هذا اللبس، هذه العبارة هي " أداه إلى السجن. خالقي نفسه على أبي الوليد  
بن جهور في حياة والده " <sup>٢</sup> " فعبارة " في حياة والده تزيل كل غموض.  
وأما ابن نباتة فإنه أتبع ابن خاقان ولم يرجع إلى ابن حيان فوقع في  
هذا اللبس، وأما ابن دحية فإنه صرح بأن الشاعر سجن في عهد أبي  
الحزم بن جهور ثم ذكر أنه فر إلى إشبيلية . "

وكذلك اختلف الباحثون في أن هذا المفارقة كان سنة  
١٢٤٠هـ ما لتبس عليه الأمر مع أنه كان سابقاً لهذا التاريخ ببضع  
سنوات. أما هجرته الثانية فلم تكن فراراً من السجن بل رحل مختاراً  
بعد مضايقات لوليته بينه وبين المعتقل. كتب له أثناء عاهدة  
رسائل وتلقى عنها رداً مشجعاً حمله على الرحيل. على أنه لم يرحل  
إليها مباشرة وإنما عرج إلى بطليوس فمكث بها عدة أشهر وبعد ذلك  
رحل إلى إشبيلية حيث انتهى إليه المقام الحاضر .

وأما مدة سجنه فيقول ابن زيدون في شعره :

لم تطو برد شبابي كبرة وأرى	برق المشيب اعتلى في عارض الشعر
قبل الثلاثين إذ عهد الضيا كتب	والشبية غم من غير منه صر <sup>٣</sup>

له المطرب ١٢٨ نقله عن على عبد الخطيب ١٩٥

٢ ابن زيدون ١٩٥ - ١٩٦ <sup>٣</sup> اعتاب الكتاب ٧٧ والذخيرة ٢٩١/١

٤ ديوان ابن زيدون ٩٣

وبقيت إسنه سجن قبل الثلاثين من عمره وأنه ملك خمس سنوات  
 في سجنه والليل عليه شهره  
 سنون من الأيام خمس قطعما أسيراً وإن لم يبد شدا ولا فقطح<sup>١</sup>  
 ولكن هناك اختلاف في رواية الشهر. فالصديق "مثنون من الأيام"  
 لا "سنون من الأيام" وقد أقر الباقون أنه ملك في سجنه  
 أقل من عامين، ويحدد على عبد الحظية عمره وقت السجن قريب  
 أربعين عاماً بالليل شهره حديث يقول:

هرمت وما للشيب وخط بمضرقى وكائن لشيب المهمل في كبدى ونخذ<sup>٢</sup>  
 على أنه يذكر في قميصة أخرى:

مالي وللأيام ليج مع المصبا عداونها فلكسا الحداار مشيبا  
 محقت حلال السن قبل تمامه ودوي بها غمن الشباب رليباً<sup>٣</sup>

وهناك من ذهب أن نذكر أموراً في التهمة التي المقتت بابن زيدون وقضاءها  
 بالابحار. وقد لا نعلمنا أن أبا الفرم قتيده بتهمة اغتصاب عمتان.  
 ولما كانت التهمة ملفقة فقد عين الأمير قاضياً خاصاً أعده للحكم  
 في هذه القضية هو عبد الله بن أحمد بن المكي. وقد حدث عند  
 ابن بشكوال: "أنه لم يكن من القضاء في وردي ولا صار لقلة علمه  
 ومعرفته وإنما كانت أثره أثرها" ومن الطبيعي أن تكون هذه  
 الأثرة لهذا فخاص يفر من عليه الأمير. ولم يطلق عليه لقب  
 القاضى وأنه غير جدير به ولهذا نعت ابن حيان بأنه أحد  
 حكم قوطبة وقال فيه ابن سعبيل "ولم يكن في نصاب القضاء"  
 وهو ممن أشد على الفحول للذاعة، والعناية على الدراسة... ولم  
 يطلق عليه اسم القضاء "أما صفاته بجد ولاية القضاء فقد  
 "إكتسب صرامته وإعجاباً حتى استخفت بكثير من وجوه الناس،  
 ونجرت له بذلك خلوب..... من رجل قليل العلم نكد الخلق...

وقتل ألج الناس في صرمة حتى صرخه أبو الوليد بن جهور سنة ٤٣٥ هـ " ما كان القاضى يسمح التهمة وشأها الدثبات حتى أمر بإلتماء ابن زيادون في السجن مخالفاً لإجراءات القاونونية المتبعة في هذا الزمان طبقاً لمذهب الإمام مالك رضى الله عنه ، وقد نبهه ابن زيادون دون جدوى إلى هذه المخالفات وأهملها :

١- أكتفى القاضى بشهادة شأها واحد وهو مع هذا غير عدل ، جرمه ابن زيادون .

٢- لم يحط ابن زيادون فرصة للدفاع عن نفسه وإظهار براءته ، مع أن هذا حق معترف به في جميع الشرائع والقوانين .

٣- أحس ابن زيادون بالجو المحيط به نحر من المصلح على المذموم ، وهو جائز بين المسلمين طبقاً للحديث الشريف ، ويندب للقاضى أن ليسعى فيه ولكن القاضى تهرب من هذا الموقف المخرج .

٤- على أن التهمة - مع فرض ثبوتها - لا تجوز الحبس . فقد قرر الفقهاء أنه لا يجوز الحبس في الحق إذا تمكن الحاكم من استيفائه ، وابن زيادون من الأثرياء .

٥- لم يترك الفقهاء أمر الحبس فوضى ، بل حددوا له أمداً لا يتجاوز عاماً واحداً في أقصى المحقوبات ولكن حبس الشاعر لم يكن له أملاً محدوداً . وقتل طال حتى عز ابن زيادون من سجنه بعد أن قضى به ثمانمائة يوم .

٦- قدام ابن زيادون دليلاً كتابياً بوثيقة خبره من التهمة فلم يلتفت إليها قاضيه .

٧- لرح ابن زيادون في سجنه بين الدغاد والمصوص بعد أن كان منفرداً بدرجة فيه طبقاً لنظام السجون الملاي كان يميز بين طبقات المسجونين .

وقد لا دخلنا أيضاً أن ابن زيادون رجع إلى قرطبة وقتل عفا عنه



أبو الحزم بن جمهور في آخر أيام حياته. يمكن عفو له مصلحة سياسية .  
وقد توفي أبو الحزم بعد رجوعه إلى قرطبة سنة ٤٢٥ هـ له

**ابن زيدون في ظل الوليد:** تولى منصب الحكيم أبو الوليد بن جمهور بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٥ هـ . وقد لاحظنا أن أبا الوليد كان يكثر من زيدون بثلاث سنوات فسنمهما متقاربة كما كان شيخهما بالدرس والتحصيل متقاربًا . يقول ابن بشكوال عن أبي الوليد " أنه كان حافظًا للقوآن العظيم مودًا الحروفه كثير التلاوة له ، وكان محتيا بسمع العلم من الشيوخ وروايته عنهم ، سمع في شبابه علما كثيرا ورعا . وقد دون بخط يده أسماء شيوخه وما سمعه منهم وقد قرأته فوجدت فيه كتبًا كثيرة تدل على العناية بالعلم والاهتمام به " <sup>١</sup> وكانت فيه رحمة ورقة ولين لغير أثرها أثناء حكمه . يقال أنه كان يدرأ المدود بالشبهات ويبالغ في ذلك حتى لا يكاد يقيمها ارتكائًا على أنه ليس هناك إمام جامع عليه . <sup>٢</sup> وقد لاحظنا آثار هذه الرقة في معونته لابن زيدون إبان محنته . وقد ظلت المصداقة قائمة بينه وبين ابن زيدون منذ صباهما حتى أكتهما . وقاومت صداقتهما الدسائس والمقنن فلم تفترا إلى بعد أن قارب الفسسين ووجد ابن زيدون ضيقه بمطامحة وأهوائه مهنجرها إلى الشيلية حيث وجد في بلاط المعتضد ما يصبو إليه من آمال . ففنى صداقتهما يقول ابن خاقان : " وكان له مع أبي الوليد بن جمهور تألف أحرما بكعبته وطافا وسقيا من دما فيهما نطافا " <sup>٣</sup> ويقول ابن حيان عن ابن زيدون وهو في سجنه : " ألقى نفسه يومئذ على أبي الوليد بن جمهور في حياة والده أبي الحزم فلتشفح له وانتشله من نكبته وصيره في منأئعه " <sup>٤</sup> ولما ولي الأمر بعد والده يؤه به وقد مله في المدين امضطجعه لدولته وأوسع راتبه وجلاله

١ ابن زيدون لحلى عبد العظيم ١٩٧

٢ الصلة ٤٨٨ ، ٤٨٩ <sup>٣</sup> البيان المغرب ٢٢٤/٢

٤ ملاءة العقيان ٧١ <sup>٥</sup> إعتاب الكتاب ٧٧

كرامة ... له وليد بن زيدون فيه فتساعده عديدة نجد فيها حسب  
الصديق للصديق إلى جوار تنويه ابن زيدون بالأمير. وفيها ما يمسور  
سجاليا الأمير العاربة و نفسه الصافية و روحه النقية مثل قوله:

نادى مساعيه الزمان منافساً      أحرزت كل فضيلة فكلمات  
ما الورى في مجناه سامره الندى      متحلياً إلا ببجس حلالك  
كل ذلك المسك النجوم أريجيه      متحلياً إلا بوسم ثنائك<sup>٢</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى:

سرور الخنى ما لم يكن منك حسرة      وأرى المنى ما لم تنل بك صاب<sup>٣</sup>  
وإن يك في أهل الزمان مؤمل      فانت الشراب الغلاب وهو سراب<sup>٤</sup>  
إننا لا خلفنا هي كانت صداقتهما الوثيقة بأن اضطرابا الوليد لمساعدة  
ابن زيدون في فزاره من السجن بجد ما يئس من الاستشفاع لدى  
أبيه أبي الحزم بن جهور. وبعد نجاحه بالفزار إلى أشبيلية لم يطق  
ابن زيدون صبراً على البقاء في أشبيلية فخادها وطلح يرح عليه  
بالعودة إلى قوطبة مهد هواه ومطرح أشبه ولم يوه بيل أنه لم يجد  
مباشرة إلى البلد الأخير وإنما عذج على مناحية الزهراء ، ذلك  
البلد الذي كتب فيه أرق أشعاره وأجود آثاره في لحافة من يبيع  
رسائله وكيف هذا البلد فنراً أنه خلّد سطوراً نورانياً في القافية  
العربية ، تخنياً بجمال الطبيعة . وقد لبث هناك مستغنياً بتجارب  
نفسه شتى إلى تفحالات ومختلف المشاعر بانتظار كلمة الأمان  
من محبيه أبي الحزم بن جهور في بلاطه وأخيراً بعد جهود صادقة  
من أولياء ابن زيدون وإخوانه وخلائقه وبخاصة من ولي  
الجهل أبي الوليد بن جهور صفح عند أبو الحزم . وهكذا عاد ابن زيدون  
إلى مراتب لهوه وصباه ، لا يخلد إلى السكون والملاوء والعيش في محبته  
الظلال وإنما يحاول من جديد أن ليضع نفسه في المنزل التي إليها

<sup>١</sup> له الاخيرة ١ ، ٢٩ وإعجاب الكتاب ٧٩

<sup>٢</sup> ديوان ابن زيدون ١١      <sup>٣</sup> أيضاً ٤٨

يتوقا وهما يرغب . ولبت ابن زيادون يحمل على الفوز بإعادة مناصبه  
إليه متوسلاً بذلك بشق الأساليب وحروب المحادلات ولاسيما  
ميدانه الأردب ومجاله الأوسج .

وكذلك قد عرفنا أن أبا الوليد قتل أقره على المناصب التي كان  
عليها ابن زيادون . وابن زيادون حينما يمدح أبا الوليد بيوفه بمناقبه  
وليشيد بذاكو شأن من يغرس بنته ويتعهد لها بالعناية والرعاية  
منتظراً إبان أكملها . وحاشي ذي الغرسة قد استطلت دوحته وارفة  
الظلال شهية الجن . وما عليه إلا أن يتقرب من الأمير يحوض عليه  
خدماته وما كسب من خبر وتجارب في الميدان السياسي . منتظراً أطيب  
النتائج حيث ينعم بظلال سامق تلك الدوحة ويتلذذ بطيب  
خباها . ودشك في أن أبا الوليد وهو حديث عهد بالحكم في أمس  
الحاجة إلى من يعتمد عليه ويلقى إليه بمقاليد دولته التي تتحوم  
حولها الأعطاع ويتربص بها أعداء أشداء — إلى رجل يثق به ويعتمد  
عليه . وكان ابن زيادون هو المديق الدميم للاحتطاع بشؤون  
الدولة . فمكثا قارب أبو الوليد ابن زيادون منه وعمره بوفيل النعم  
مقلداً إياه منسب الوزارة والسفارة لدى الإمارات المجاورة . فكان  
يتنقل من بلد إلى غيره . وقد أتاحت له هذه الرحلات عمدة  
ملاحظات متينة مع الحكام النابيين التمل بهم .

والملوك النابيين خالطهم بوشائج لم تتسم بطابع الحب فحسب .  
وإنما تغيرت بسمة الأعجاب والأكبار لفلا شذميته و مبلغ  
حنكته . ولكن ما لبث إلا أن وقعت عليه محبة أخرى . وهي  
انتقام الحساد والمذموم من جهة أخرى . وقد تمكن هؤلاء الأعداء  
الأشداء من إيقار صدر أبي الوليد عليه ، كما أؤغر وأملأ أبي النزم  
في السابق ولذا فقد طلب منه العودة إلى قرطبة فتلكا ، مؤثراً

البعاء أطول مدة في بلاط إدريس بن يحيى بن علي بن حمود<sup>١</sup> ما ضاعف  
الشك به فتحوّل إلى يقين ولم يتأخر أبو الوليد عن تجريد ابن زيدون  
من كافة مناصبه بحيث لم يدبدا من الرجوع إلى قرطبة وقلبه  
يلفح بحساب الألم محاولاً كره أخرى أن يستعيد سالف مكانته لدى  
الأمير، إذ فتادخلوه إلى أغانين كذب الأعداء وأقاويلهم كيداً له و  
افتراء عليه، عاكفاً على تدنيج قضايد المديح به، مذكراً إياه  
بما كان بيننا من مودة وصداقة وإخوة ووعناء.

بنيت ولدتهم ورشت فلاتبري      وأمرضت حسادى وحاشاك أن تبري  
أرى نبوة لم أدر سراً عتراضها      وقد كان يجلو عارض الهم أذا أدرى  
جفاء هو الليل ادبهم لسلامة      فلا كواب للخلار في أفتة يسري  
فقيم أركا رد السلام إشارة      لتسوخ بن إزارع من شاء أن يزري  
أناس هموا أخشى للذعة مقولى      إذ لم يكن ممّا فعلت لهم مضوى  
خاين عانت الك قد ارفال نفس حرة      وإن تكن العتبي ما حريها أحرى<sup>٢</sup>  
وأخيراً حناق ابن زيدون بقرطبة فهدجها إلى غيرها من الدمارات متقللاً  
بين عواصمها ما دحا أمراءها وكبراءها. فقد طال تودد ابن زيدون على  
ملوك مليلين ملهمهم بقماءة لماننة وحاغ في هلاه الفترة قصائد  
مليعة بالشوق والحنين إلى قرطبة. قال وهو بيطلوس ينساب خطه العاشر  
ويبكي حبه اليأس ويستعيد ذكرياته الحذبة :

يادمع مسب ما شئت أن تصوبا      ويافؤ ادحا أن استذوبا  
إن الرزايا أصبت ضروبا      لم أر لى في أهلها خريبا  
فقلاملاً الشوق الضان لادوبا      في الغرب إذ ارجت به غريبا  
عليل دهر سامنى تحديبا      أدنى الفن إذ أبعد الطيبا<sup>٣</sup>  
ثم بعثت بالسلام إلى وطنه الحبيب ذاكراً ليلاليه الحذبة العاطرة فيه :

له هو إدريس الثاني الملقب بالحالى. وليس المقصود إدريس الأول كما توهم  
عبارة الذخيرة واسمه إدريس بن علي بن حمود الملقب بالمتأيد الله وإدريس  
الأول توفي سنة ٤٣١ هـ. تفصيلاته في الكامل ٢٨٩/٧ والبيان المغرب ١٩٢/٣  
وأعمال الأعلام ١٦٤/٣، ١٦٥. له ديوان ابن زيدون ٦١

إذا أتيت الوطن الحبيب  
فحق منه ما أرى الجنوب  
حيث ألفت الرشأ الربيب  
كم بات يدرى ليله الغربيب  
والجانب المستوضح العجيب  
ممانع تجتلب المتلوب  
مخالفاً في وحله الرقيب  
أرشف منه المبسم الشيب  
وأخيراً نصب عينيه أشيلية وللجأ إليها . سنتحدث ان شاء الله بعد قليل .  
والآن مهمب أن نذكر شيئاً موجزاً عن صلاحته الحميد الآخر .

**أبو بكر بن ذكوان :** إننا رأينا بالتفصيل في الصفحات السابقة أن  
لابن زيدون صداقة وثيقة سوى أبي الوليد بن جهمور وهي صداقة  
أبي بكر بن ذكوان . يقال هو ثالث الثلاثة . اسمه بأكمله أبو بكر محمد  
بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان . ولد سنة ٣٩٥ هـ كانه  
ولد بعد سنة لولادة ابن زيدون . وكذلك قد عرفنا أن والديه  
كانا صديقين . وكلاهما كانا من أعلام الأندلس في المكانة والحباه  
والعلم وشؤون السلطان . فكل ذلك انتقلت سجاياهما في أبنائهما . يقول  
ابن حبان في أبي بكر بن ذكوان أنه "قرأ العلم وسمع الحديث وعكف  
على النحوي وتوسع في الكتب حتى كان الخفاق يتباهون به جالساً  
وقد سلك مسلك أبيه إلى أن جاء عما قريب أخوذاً الشيخ وحده  
وكان قد جمع أشقات الفضائل مع رفعة المنصب وعزة القدر  
والعلم والرياسة والأدب وعزة النفس ، ولم يكن من تعلمه بالأندلس  
أكثر كتباً منه هـ " ويقول ابن بسام : " سمعنا في أيام يحيى بن علي  
بن مود أبو ذكوان وأبو العباس بن أبي حاتم أخوه ، وأفضلهما إلى الوزارة  
عقب وفاة الشيخ أبي العباس بن ذكوان ، وعزب شأواً أبي بكر منهم فبدأ  
أخوذاً الشيخ وحده في فضله وعلمه وعفته " هـ ثم ولّى القضاء  
بقرطبة في عهد أبي الحزم بن جهمور . وهو من حسب جليل يفوق من حسب

الوزارة فأظهر الحق ونصر المظلوم وفجع النظام وحمد الناس أحكامه " ١  
 وكان إلى هذا صلب القناة حتى الآن فخذ أن يتوافق الحاكم على  
 التمرير في مال الدولة وقاف لانفاقه في المصالح. كما يقول المتأمن  
 عياض : " وكان حميد السيرة شليد المذهب صلب القناة حتى الآن " ٢  
 رامة الرئيس ابن جمهور على أخذ مال الدولة وقاف لينفقه على المصالح  
 فلم يوافقته عليه ، وألح ابن جمهور فلم يساعده ، ولزم بيته فاحتشم  
 منه " ٣ واعتزل القضاء فولى ابن جمهور مكانه ابن المكي . وتوفي  
 أبو بكر بن ذكوان دون الأربعين سنة ٤٣٥ هـ فحزن الناس لفقد  
 وتجمعوا الشيخ جنازته مع ابن جمهور ورتاه جماعة من الشعراء ٤  
 وقتل رتاه ابن زيدون بقصيدة باكية . يقال هي أروع ما نظمته  
 ابن زيدون في فن الرثاء لأنه كان يعبر عن عاطفة صادقة وحزن  
 أليم . ليرجع طالعها إلى ديوانه . ٥

فقد إلتحق لنا في ضوء التراجم التي القيناها أن هؤلاء الأصدقاء  
 الثلاثة - أبو الوليد بن جمهور وأبو بكر بن ذكوان وابن زيدون - كانوا  
 على تقارب بينهم وميولهم وثقافتهم يشغلون مناصب هامة  
 ولكنهم ختلنة في الأحوال المتخلدة . وقد لاحظنا أن ابن جمهور كان  
 ولياً للمهدي ثم أميراً . وابن زيدون كان وزيراً وسفيراً وابن ذكوان كان  
 قاضياً خبيراً وعالمياً من علماء الدين . وذاع صيت أولهم في حسن  
 السياسة وتدبير الأمور وطارت شهرة الثاني في الشعر والكتابة  
 وعلا شأن الثالث في دقة أحكامه ونزاهته وعفته ونفسه بالحق  
 مهما لاقى في سبيله من إعنات .

وكان لهؤلاء الأصدقاء في مستهل شبابهم مصوبات ونزوات  
 يطرحون فيها التزميت والوقار ويلقون عن كواهلهم أعباء المناصب فينسى

١ له تاريخ علماء الأندلس ١٠٤/٢ ٢ ترتيب الملوك ١٥٥/٢

٣ " " " ١٠٤/٢ و " " ١٥٤/٢

٤ ديوان ابن زيدون ص ١٥٥-١٥٦

ابن زيدون أنه وزير وينسب ابن جهور أنه ولي للعهد وابن ذكوان أنه من أعلام القضاة . فقد سمعوا أن القاضي التنوخي كان ينادم الوزير المهلبى مع القافيين ابن قريحة وابن محروق وما منهم إلا أسير اللذنية لم يلزم بأفاد الطالب لهم المجلس ولذا السماع وهبوط ثوب الوقار للمعتار وتناول كل منهم كأساً من الذهب مملوءة فمرا فينغمس فيها لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثر الشراب ثم يرش بعضهم بعضاً ويرقصون بآجمعهم وعليهم المصبرات . فإذا أصبح الصباح عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحف بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء . يقول ابن بسام : " وكان القاضي أبو بكر ابن ذكوان أجل من اشتمل عليه أو ان مجداً أو شرقاً ، وتفنناً في العلم وتصرفاً ، مع دعاية حين خلواته تحل حبي المهلبى ورقاعة عند نشواته كالتنوخي والمهلبى . فإذا أوجبوا بكر أبو بكر إلى مصادرة ما يتجه إليه الحكم ومواجهته ، وأنكر ما كان عليه من فكاهته فكأنما في بردية الامام وكنانه وقاريه خل أو شعاع مع عدله في قضائه وإنفاذ الحكم بمقتضى الحق وإمضاءه . . . . حتى إذا راح الرواح عادوا إلى القمص وتجاوزوا في ميدانهم كل وصف إلى أن إختلس أبو بكر منهما ونقل من ديل مؤانسته عنهما فاعتاضا عنه بسواه وأفاضاً فيما كانا فيه وما تعلياه . . . له

فهذه هي صورة موجزة في شطر حياة ابن زيدون الأول في قرطبة . وشطر حياته الثاني قضاه في اشبيلية . فإذ آن لتطبع أن نلقى منوراً في اقامته باشبيلية .

**ابن زيدون باشبيلية** :- فمما ذكرنا أن ابن زيدون فر من سجينة بعد أن أخفقت وسائله وتوسلاته في استعلافه المير أبي الحزم بن جهور . وقد لك لا حظنا أن ولي العهد أبا الوليد بن جهور صديق ابن زيدون أعانه

على الفراق. وقد وجد بأشيلية حلاً رجباً حيث أدناه صاحبها المعتضد بن  
عباد منه وقربه إليه وعمره بانعامه. ولغيره من قسيلات في  
التيهية أنه كان يلزم مجلس المعتضد ويحضر معه مجالس أنسه و  
يبحثه إلى الشواب والسماع. وكذلك قد عرفنا أن ابن زيادون قد تمكن  
على منصب الوزارة الخطي. هكذا تنبئ قسيلاته أنه المشير الأوحاد  
لمعتضد. ابن زيادون يحدثننا في هذه القسيلة أنه كان تدعى الملك  
نميصته ويخرج عليه ثناءه بعد أن لقي في طلبه السكينة والأمان.  
أمنت عادية الحلا الأقتال من أعمت في أعلى يفاع حماكا  
جهد العقل نميصته مع حوضه أفردت مديم ما منلا إشراركا  
وثناء معتضد كان ثناءه مسك بأردان المحافظ ما كاه  
وقلا يدرك أنه يخربه باستعداده لمعونه في مهاجمة عدوه المبغض من  
اللدود. فيمكن أن هذا الحلا واللدود هو ابن جهور النديا لقفن بيعة هشام  
وسبه وسب من ناحره<sup>٢</sup>. فيقول.

ولتلاعن وعدوك الشاني فإن يرم القراع يجلد سلاح شاكاه<sup>٣</sup>  
فقد ذكرنا أن ابن زيادون ما لبث أن جذبته إلى قرطبة على الرغم  
مما في الرجوع إليها من مجازفة خطيرة قد تكلفه حياته وكان الطبيب  
أن يسكن إلى حياة الدعة والتكريه بأشيلية وتكن ريبا كانت قسوة  
المعتضد وغاراته من العوامل التي جعلته يشفق من مدحبه في هذه  
الفترة. ونظن حيث ذكرنا أن المعتضد بن عباد جعله في مقربه لمصالح  
سياسية. وقد رأى في ابن زيادون كل ما يكون من الصفات العالسية و  
السجاية الممتازة في ميا دين العلوم والمعارف وفي ميا دين السياسة  
والسفارة. وقد كان لمع المعتضد يتمكن على قرطبة بمعاونة رجل بثق  
به ويحتمل عليه وهو ابن زيادون النديا كان متصفاً بهذه الصفات المطلوبة.  
وكذلك يمكن أن كان غاية المعتضد بامان ابن زيادون هو التسابق في منافسة



الحلم والأدب . وذلك كان رائدًا في عهد ملوك الطوائف . ولكن الأراجيح عندنا الأول وهو فتح قرطبة بمساعدة ابن زيدون . ولكن المعتضد ما نجح في لمحله لأن ابن زيدون رغب عن أشبيلية ورجع إلى قرطبة من جديد . وبعد رجوعه إلى قرطبة من جديد لم يكن خصوم ابن زيدون ومنافسوه في حبه وفي مناصبه عن اللبس والكيل له عند الأمير الجديد أبي الوليد بن بهر . وكثيراً ما خاف بهم ابن زيدون . فنهتف بأميره !

فلا يتكلم ألقى الواغرم من عدا  
قراهم لئيران الفساد ثقاب  
عفا عنهم قلا رى الرفيع فاهجروا  
وبابنهم خلق الجميل فحابوا  
سأبلى على دخلي لدايك كما بكي  
ربحة لفاضل عنه ذئاب  
وكن خصومه الأقوياء لملوا يلا حقونه بالوشايات والسحايات وأتاح هو  
لهم الفرحة حيث تلبث في بلاط إدريس بن يحيى بن علي بن حمود  
أثناء سفارته لدايه بمالقة فأطال مكثه عنده واقترب منه ونفث  
على نفسه وأحضره مجالس أنسه كما يقول ابن حبان له «وكانت في إدريس  
صفات تقرب الشاعر منه وتقربه إلى الشاعر . فكلاهما كان شاعراً  
مولعاً بالطرب والشراب والخناء مع ميل إلى الاستهتار» و يظهر  
أن ابن بهر استبطأ سفيره فألح عليه في العودة فلم يلب البنداء  
فاهتبل خصوم ابن زيدون هذه الفرحة وحملوا الأمير على عزله من  
منصبه ، وهو تعرف لمبجى من الأمير أبي الوليد . وهنا عاد ابن زيدون  
إلى أسيره مستخفراً خائفاً عرض عنه ولكن الأمير ظل معرضاً عن  
توسلاته . فقام الشاعر بسياجات عديدة لدى الملوك المجاورين  
فزار بلنسية وطرطوش وبجليوس و بعد إرسال المعتضد بأشبيلية  
يعرض عليه خلاصته وأخيراً رضى الأمير منه . وقد أدرك ابن  
زيدون أن مقامه بقرطبة خطر عليه ففارقها إلى بجليوس ولوى

له فقلا عن ديوان ابن زيدون حياته وأدبه حد

هناك لبضحة أشهر وجد ذلك هبط اشبيلية. فتدلتى صاحبها  
المحتضن أكرم لقاء وغمره بحفاوته وبره وجعله من خواصه  
يجالس في خلواته ويركن إلى إشارته في حمورة وزير. والواقع  
أن المحتضن عامل ابن زيدون محاملة مدايق ورفع بينهما الكلفة  
وأهلى إليه وقبل هداياه. وأحضره مجالس لم يوه ومطارح أنسه .

كان بلاط المحتضن يغمى بالكتاب والشعر والعلماء فاستلحاح  
ابن زيدون لبس مولته أن يشق طريقته إلى أن يكون شيخ الشعراء في هذا  
البلاط أو شاعر المصرك كما يقول منافسه ابن دمن " ثم أصبح المستشار  
الأول للأمير " ثم عهد إليه بالسفارة بينه وبين أمراء الطوائف  
في مهم رسائله لفضل ما أوتيه من اللش والعارضة فاستحق به هذا  
لقب ذي الوزارتين: وهو لقب يفتخ به الملك أفراداً معلودين  
ليتركونه في التدبير فمثلاً عن المشورة. ثم جعله رئيساً للوزراء.  
وفي هذا يقول أوغست كور " وكان كاتم سر المحتضن كبير وزراءه " <sup>٥٢</sup>  
وقد سماه صاحب المذهب له ذا الرئاستين. وسماه الذهبي المناصب <sup>٥٣</sup>  
وهو لقب عند المشاركة يطلق على رئيس الوزراء المخلوق المتمرفف  
كأصاحب بن عباد - ويذكر ابن سبابة أن المحتضن تلمذ له  
بالقبول والأكرام وولاه وزارته وفوض إليه أمر مملكته . ويقول  
ابن خاتان في حديثه عن المحتضن : إن ابن زيدون أظهر مولته  
ودبر دولته وأدجى منحاها وأدار بالمكان رحاها.

فيقال إن ابن زيدون كان يطمح في أن يضم بين يديه  
القويتين جميع المناصب الخليل في الدولة فكانت لنفسه تتوق  
إلى أن يضم بين يديه منصب الكتابة. وكان الكاتب يطلع  
على جميع أسرار الدولة . ويتحدث باسمها في الدخيل من الأمور.  
ولهذا سمى ابن زيدون لستاً ثم هذا المنصب إلى جانب مناصبه

فخلشت بينه وبين ابن حصين كاتب المعتز خلا حفيوة إنتهت بهلاك  
ابن حصن . وبعد فوجد المعتز هذا المنصب إلى الكاتب المشهور  
أبي عبد الله بن يوسف بن عبد البر بن غنص عليه بجلدين فخر له  
من منصبه وكاد يفتك به . ويقال إن لابن زيدون أثرًا في هذا الاتجاه .  
ثم فكر المعتز في أن يعهد بهذا المنصب إلى أبي محمد الساجي و  
لكن ابن زيدون استطاع أن يظفر بهذا المنصب الجليل بمحونة صليته  
أبي محمد بن الجبل . فأصبحت أمة أمور الدولة موكولة إليه .  
كما يقول ابن دحية إن المعتز " ألقى مقاليد وزارته إليه وأما  
الخلف السوابغ عليه " له

ونحن نستعيد أن يطلق المعتز يد إنسان كائنًا من كان في  
تدبير شؤون دولته ، حتى إنه قتل ابنه وولى عمه وقائد جنده  
إسماعيل لأنه خالف تنفيذ أمره . وكاد يقتل ابنه وولى عمه  
الجبل وقائد جيشه المعتز لأنه إنهمزم أمام مالعته . وكننا  
لا نشك في أنه استعان بابن زيدون في أمة شؤون دولته و  
وثق به ثقة عظمى . وهذا يدل على أن ابن زيدون كان حكيمًا بفتح  
يتحرك مواضع هواه وأهلا فخر غائبه مستعينًا بما اكتسبه من خبرة  
طويلة في تربية بآعباد الحكم وإتصاليه بالملوك وأعانته على  
التفكير من قلب المعتز إلى اتفاق أهوائهما ومشاربهما في اللهو والمنازعة  
والشراب . وكانت التجارب قد حنكته والاحداث قد صقلت  
فاستطاع أن يلتقي فتكات المعتز وخذراسته وأن يسير بسلام  
مع هذا الأمير الذي قلما سلم من فتكه ألامن محاصريه ولما سئل  
ابن زيدون بعد وفاة المعتز كيف انفرد بالسلامة منه ؛ وقد  
كان غير مأمون على الدمار ولا حافظا لحرمة الأطياف . فقال كنت كمن  
يمسك بأذن أسد يتقى سلوته ، تركه أم أمسكه .

ولما تمكن ابن زيدون من نفس المعتض خذ حاول أن يتمكن من قلب ولديه  
وولي عهده إسماعيل والمعتض فمدح الأول في تبعة للمعتض بخلفه  
على ابن الأفلح حيث يقول من قسيدة مسهوبة مخاطباً المعتض:

كرهت لسيف الملك ألفة عمله	وقل غناء السيف ما كان محمداً
ولم تر لمقبل الإقامة في الشرق	فجداً افتراً سناً حين أحرر للهدا
عام إذا حاربته فارفع نواحه	فما زال منصور اللواء مؤتيداً
ويأنف من لين المهاد تهوؤاً	بمهوة طيار إلى الدرع أجرداً
ولم تر سيفاً باتك الدحد قبله	تناول سيفاً دونه فتعتلداً
لئن انجزت منه الشماثل آخراً	لعل قلامت منه المخائل موعداً
قررت به عينا فكم ساد عترة	وكلم ساس سلطاناً وكم زان مشهداً

لحق ابن زيدون في ملال المعتض عشيرين عاماً بلغ فيها أرقى المناصب  
وجمع بين يديه أزمة الحكم وقاد الدولة قيادة حكيمة تسعت  
فيها رقعتهما إلى أحناف ما كانت عليه. ولكن هنا سؤال هل مرت  
جميعها هيئة لينة مع تزخر به نفس الأمير من نزوات طاغية  
واندفاعات عاتية، ومع ما خلقته لابن زيدون مناحبه من  
حساد أقوياء وحاملين طامعين؟ ففي الحقيقة إن هذا لا يتفق مع  
طبيعة الحياة وبفاحشة في بلاط المعتض الرشيد. وفي هذا  
يقول أوغست كور: "لم تكن حياة ابن زيدون بأشيلة هادئة كل  
المهدوء الخاضع يشير إليه ابن خاقان، ولا خالية من المتاعب كما  
توصي قصائد الديوان" <sup>٢</sup>هـ ولكن كور لم يذكر لنا تلك المتاعب  
التي عاناها ابن زيدون في بلاط المعتض ولا أنواعها. ولكننا نعلم  
أن ابن زيدون خلق له خصوماً أقوياء. فهذا من المعروف أن ابن  
زيدون كلما ارتفعت منزلته عند أسيره واتسع نفوذه كثر حاسدوه  
والحاملون عليه. وهذا أمر لازم في جميع حواشي الحكم حتى أناساً هلاً

في عصرنا الحديث . وقد عبر عن هذا ابن خاقان فقال إن ابن زيدون .  
 " الظاهر مولاته ودبر دولته ..... وأغراه بأعداءه ، وزين له الإيتماع  
 بجماله ووزرائه ، فخلد أشجافه في صلا ورهه ، ونكد في سرورهه " ١  
 وقد ذكر صاحب الخلاصة ٢ في ترجمة أبي الحسن علي بن غالب بن حمص  
 وزير المعتز وكاتبه وشاعره حديثاً عن خصومة عفيفة طاغية  
 بينه وبين ابن زيدون . وكان المعتز يزوج بينهما نار العداوة  
 والبغضاء لإرضاء النزوات الشريفة ويتلى بما يشب بينهما  
 من ملاحاة وعدا . وكانت الأحداث التي تلت ما بين زيدون وقد  
 أكسبته خبرة دراية بدهائج النفوس فلاذ بالمبر والذناة ودافع  
 خصمه بين ورفق وأناة . واحتمله ما وسعه الاحتمال . أما ابن حمص  
 فاندفع في هيش وخفة ونزق يستشير ابن زيدون ويسخر منه و  
 يهجه معتزلاً على موهبة متفخمة تعينه على إرتحال الشعر والابداع  
 فيه . وقد ادعى ابن زيدون إلى الحيلة والذكاء والمطاوله حتى  
 استطاع أخيراً أن ينجح في إثارة المعتز على ابن حمص وأعانته على  
 بلوغ هذا الهدف . ويحاشنا ابن سحيلة أن " ابن زيدون لم يزل يسهر  
 في حلف ابن حمص بمكره حتى فتك به المعتز " ٣ . وأخيراً  
 انتهت المنافسة المشبوبة بينهما إلى نهايتها المحتومة فلقى ابن حمص  
 مصرعه على يد المعتز نتيجة تهوره واندفاعه ونجا ابن زيدون  
 نتيجة أناته ومطاولته . وقد ذكر صاحب الخلاصة ٤ صورة لهذا  
 الصراع العنيف بحسن بنا أن نقلها هنا حيث يقول " وهو يظن أنه  
 سيبرك بالخلاء ، ويستولي على حمل اللواء ، فانتحاه من ابن حمص  
 شيطان مريد ، وطلع عليه منه رقيب عتيد ، وطفق ينازعه  
 الراسية ، ويسأله إلى الخاية ، وإن كان أبو الوليد ربما غمره بمكانه ،  
 وتمكنه من سلطانه ، وكان المعتز لشدة ذمنا حيه ، وفضل عرسه "

١	١٤	٢	٩٢	٩٣
٢	٣٠٢/١	٤	٩٣	٩٣
٣		٥	٩٣	٩٣
٤		٦	٩٣	٩٣

كانت فيه ، ربما أكثر بينهما إذا اجتمعا في مجلسه ، فيتمكن لا بين  
 ضمن التقاديه عليه بسعة ذرعة ورحناه بالعفوم من طبعه ، وكان  
 ابن زيدون قد جرى من الكلام إلى غاية لا يتحداها ، ولا يرضى من  
 نفسه إلا بلوغ أقصاها ، ولا يمكنه ذلك منها إلا في مهلة طويلة  
 وعلى كلفه ثقيلة ، فربما كبا حواره ، وتأخر مراده ولم يزل أبو الوليد  
 يهزق ويحلم ، ويسلك في أمره ويحكم ، وابن حزم يهزق ويحكم ، ففاز  
 ابن زيدون بطلعه وتوقره ، وهو كغنى ابن ضمن بين اغتراره وتهوره ،  
 فزلت قلامه وطاح دمه . . . . .

وهناك خصوصية ثانية قامت بين ابن زيدون وبين الكاتب  
 المشهور أبي محمد عبد الله ابن يوسف بن عبد البر وهو ابن فقيه  
 الأندلس وعالمها اللائح الميت أبي عمرو يوسف ابن عبد البر ، وقد  
 نال أبو محمد يوسف شهرة دائمة في صياغة الرسائل جعلت أمراء  
 الأندلس يحرصون على الخضر به " فتبارته الآفاق ، وامتلات إليه  
 الأعناق ، فغاربه متاح عباد بجلول خصام ، والتقات زمام  
 فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط في حباله ، وغرس أبو الوليد بن  
 زيدون بعقله ، فجهر كل جهر زعموا في إراقة دمه " ١٤

ويذكر ابن الأثير ١٥ سبب غضب المعتزلة على كاتبه ابن عبد البر  
 هو الرسالة التي كتبها الأخير على لسان المعتزلة بعد فتكه بانه ولى  
 عهدا لإسماعيل وأنه كتب هذه الرسالة دون روية أو تدبير. ولكن على  
 عبد العظيم ١٦ يقول " ولكننا نعلم أنه كتبها برأى المعتزلة وإشارته  
 وقد رجحنا إلى هذه الرسالة التي نشرها المستشرق دوزي فلم نجد فيها  
 مبررا لهذا الغضب ، ولكننا نذوات المعتزلة التي قلما سلم من شرها  
 أحدا من حاشيته أو وزراءه .

ولكن هذه المتاعب كلها كانت سحابات عارضة ما تكاد

١٤ إعتاب الكتاب ١٣ ٥ أيضا ١٣

١٥ ابن زيدون لعلى عبد العظيم ٢٦٩

وتظهر حتى تزول وإلى هذا يشير ابن زيدون .

من أرباب جمعة في العتب تتلى بأخلاق لداع العتب ملاح  
وأخيراً قلا توفى المعتضد سنة ٤٦١ هـ بعد أن تهنياً لفتح قرطبة بتدبير  
ابن زيدون وكان الأمل يرد، لهذا الفتح الجديد . ويمكن كان هذا  
من أسباب دجاة ابن زيدون من فتكاته . ورد كما ابن الأبار أن ابن  
زيدون فرح بموته وأظهر سروراً بذلك واستراحة منه لأنه  
كان غيماً مومناً على الدماء ولا حافظاً لحرمة الأولياء . وقد أسيد  
المعتضد كما وابن شاكروا راية ابن الأبار في ترحبها للمعتضد وفيه  
يقول الدجاري " أنه ما مات حتى قبح أرواح نلماته وخوامسه " .  
وكان قلا عرف عنه ذلك ، فصار الأدباء يتحامونه <sup>٢</sup>  
هكذا أتم ابن زيدون عشرين سنة في ظل المعتضد بين خوف  
ورجاء وبين تنافس وتحاسد . فالآن يحسن بنا أن نذكر بالذي يجب أن  
شعر حياته الأخير كيف أتمه في ظلال المعتضد بن عباد .

### بن عباد :

ابن زيدون في ظل المعتضد :- قلا عرفنا أن مؤسس أسرة بني عباد الحالية  
هو كان القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد ثم تمكن على الحكم  
لجده ولي عهد المعتضد بن عباد ولجده وفاة المعتضد ولي المعتضد  
بن عباد على منصب الدماره بأشبيلية . حينما وفد ابن زيدون  
على أشبيلية كان المعتضد في العاشرة من عمره . ولم يكن ولياً للعهد  
في ذلك الوقت . بل كان أخوه إسماعيل بن عباد ولي العهد وقائد  
الجيش وقلا ورث المعتضد الموهبة الشعرية والأدبية عن أبيه  
المعتضد وجده القاضي محمد بن إسماعيل وكان الجو الذي يحيط  
بالمعتضد جواً ينفج بالشعر ويعبق بالأدب ويموغ بالفنون .  
ودفن نعلم أدنياً أن البلاط الأشبيلي يخن بالشعراء المقيمين و

الواخلين . وقد كان بينه وبين ابن زيادون حملات العودة والملازمة  
والوفاء . تتلمذ على يديه حينما كان ولياً للمعبد وتدرّب عليه في  
صياغة الشعر مدة عشرين عاماً دارت بينهما فيها أرق القصائد  
وأغلب المحارجات . وازداد تعلق المعتل به فبسط له ابن زيادون  
لنفسه وفتح له صدره فأخذ يدرّبه ويغث فيه من روحه وقبضه  
وكلما نما المعتل راح به لاستاذة ابن زيادون وتعلقه به . فكان  
يقارننه الشعر ويبادلّه الرسائل . ولكن إلى جانب آخر أمر المعتل  
أن يكون مجلس ابنه وولي عهده مرتفعاً عن مجلس ابن زيادون . فأمس  
ذكاء المعتل استحقار استاذة وكتب له معتذراً .

أيها المنحط عنى مجلساً      وله في القلب أعلى مجلس  
بغوادى ملك حب لفتحتني      أن تركت حمل فوق الرؤوس  
فأجابه ابن زيادون بقصيدة استعملها ليقوله :

أستقيط المثل فوق النرجس      أم لسيه الروح تحت الحناس ؟  
أم نظام لآلٍ نسق      جامع كل خطير منفس ؟  
أم قريض جاء في من ملك      مالك بالبرق الأُنفس ؟  
ثم أخذ في إطرائه فوصف بلاغته وكرمه وبهاءه وخلقه العذب  
وشجاعته وحمل له ما أسنعه عليه من آلاء ونعم ثم حينئذ  
بخطبته وتفنن له أعذب الكلام      والديوان حافل بما دار بينهما  
من محارجات ومراسلات . لا حاجة إلى ذكر جميعها . فحسبنا ما ذكرنا  
منها .

ولكننا نرى أن خصوم ابن زيادون ومنافسيه ما تركوا تعاقبه  
في اللئاعة والوشايات . فكلن خصومه ومنافسوه أن الفزمية  
أصبحت ساذجة لمهاجمة ابن زيادون عند الحاكم الجديد . فلا سوا  
للمعتل رفعة سخطوا فيها وقصيدة لحويلة أغروه فيها بالفتك لشاعره



الكلبير ودعوه إلى أن يأخذه بالحزم قالوا في مستعملها .

يا أيها الملك العلق الأعظم      إقطع وريدي كل باغ ينشئه  
واحسه بسيفك داء كل منافق      يبلى الجميل وضادك يكتله  
ثم ذكروه بأن ابن زيلاون هجا أباه . وأن هذا الهجاء أصبح على كل  
لسان والتساهل في هذه المواقف خطير. فزب لفظه عابرة جلبت شراً  
كبيراً . ثم ذكروا بفتكات أبيه في سبيل موطنه عرشه وأن المذم  
يقتضيه أن يقتضى آثاره . ولكن المعتد كان أدركا ابن زيلاون فاعرض  
عن هذه التهمة الرخيصة وأظهر وفاء عظيمًا وأريحية مشكورة . وقد  
أجابهم مهلاً داب حيث يقول :

كذبت منكم، صدحوا أو بجهوا      الذين أمقن والمروءة أكرم  
خنته ورمته أن أخون وإنما      حاولتمو أن يستخف يملله  
وأردتمو تفسيق صلد له يضق      والسمر في ثخر السور تحطه  
وزخفتو بمجاكم لم حذب      مازال يثبت في المجال فيهنز  
أتى رجوتهم غار من جرّ بتمو      منه الوفاء دجور من لا يظلم  
أناد ألموا، لا البغي يثمر غرسه      عنلى ولا مبنى الفيعة يهد  
كفو أو الإفار قبوا لي بفضلة      يلحق السفية بمثلها في حلة  
فاهتز ابن زيلاون لهلاء الأريحية وصاغ قصيدة مسهية في شكر الأمير  
على ما غمره به من آلاء . استعملها بمقدمة فلسفية ثم إنتقل إلى كيلة  
الحاقلين ولومهم وفطنته الأمير وأريحيته فقال .

قل للبغاة الغنبيين قيتهم      سترون من لقمية تلك الأسهم  
أسررتهم ، فزأى نجي عيونكم      شيجان ملاول عليها ملهم  
وعبأتهم للفسق ظفر سحابة      لم يعلاكم أن رد وهو مقلهم  
ونبلتكم التقوى وراء ظهوركم      فخلد الجينكم التقى الأكدرم  
ما كان حلم محمد ليحيلة      عن عرلاه دغل الضمير ملامم

ثم انطلق في ملاح الأثير فخلق عليه أسمى صفات الاخراء وأبدع  
آيات الشفاء ثم وصف موقفه وحزمه من هؤلاء المداسسين  
وختما بهما دين البيتين .

الفخر تخر عن حماك باسمه      والمجد يرد من وفائك محله<sup>١</sup>  
فاسلم ملاي الدنيا ما أنت جبالها      وتسوغ النعمى ما أنت منحله<sup>٢</sup>  
خالتن يستلحج أن لقرور أن ابن زيدون وجد في آخر حياته مستقره البامون  
عن بلطش الخصوم والمنافسين والحقادين . وقد اطمأن على مكانته عند  
أمير واستقر في مرتبته العليا التي كان يشغلها في عهد أبيه المحتضد  
وقد عبر عن ذلك بقوله .

أني أود كما فرض أنعمك التي      ولبت كما يبيل السحاب المتجدد  
أطميتني تبج السماء برتبة      علياء منكب عزها لا يزحمه  
وتركت حسادي عليك ، وكلهم      سألى مستقيل وي وأنفير غمه<sup>٣</sup>  
والواقع أن المعتدل كان بحاجة قوية إلى ابن زيدون ليستفيد بخبرته و  
حنكته وتجاربته . وليست التلايل الندي بدأه لفتح قرطبة لكن الظفر بها  
كان أكبر أمنية لبني عباد . وقد ظلت تراوده أكر من ثلاثين عاماً .  
وقد توفي المعتضد حاملاً أمنية الكبريا لفتح قرطبة وقتل في سبيلها  
بعض من أولياء عهوده وأكبر قوادهم . فاستلخح المعتضد بجوارحه  
وزيره وشاعره واستأذه ابن زيدون أن يفتح قرطبة حاضرة الخلافة  
الجمهوريّة ودرة الأندلس الفريدة . وكانت قد عزّت على أبيه وحبه  
من قبل وعلى ملوك الهوائف الآخرين . ويقول اللاكوردت " وكان  
بإشارة ابن زيدون وتأثيره أن أرسل المعتضد جيشاً على قرطبة فانتزها  
من بني جمهور<sup>٤</sup> ودانت المدينة للمعتضد لتسبع بقين من شعبان سنة  
٤٦٢ هـ .

وعاد ابن زيدون إلى بلده قرير العين متلوج الفؤاد . وما كان

<sup>١</sup> ديوان ابن زيدون ١٨٨ - ١٩١

<sup>٢</sup> " " ٩٩

<sup>٣</sup> تاريخ الحرب ٦٦٤/٣

ليستقر بها بين أهلها وعشيرته حتى ثارت فتنة بأشبيلية من أرسى  
المحتمل ولله الحاجب سراج الدولة في جيش كثيف ليخمد الفتنة.  
وكن ابن مرتين قائداً لجيش المحتمل بقرطبة وابن عمار وزيره الأشير  
عنده أشار عليه بإرسال ابن زيادون مع الجيش إلى أشبيلية لما يتمتع  
به من كياسة ولباقة وحسن تدبير. هذا إلى ما يخفيه عند أهل  
أشبيلية من حب وتقدير. وكانا يمانان من وراء هذه المشورة إلى  
إقضاء ابن زيادون عن المحتمل ليخلو بهما الجوفيكيد اله حقداً أعليه وخيماً  
بما كان يتمتع به من نفوذ عند الأمير ودب شحبي عطية قائمه الأمير  
بالدخاف بالجيش فاعترض بعرضه وشيخوخته فلم يقبل الأمير منه الاعتذار  
ثم أرسل ابنه من خلفه بتدبير القتاتل والوزير.

فقتل ابن زيادون بلاء الأمير على بقية وعلث كان مثالاً له. ولم يعذره  
في التوقف من أجله فمضى نظيته مسوقاً إلى ميته<sup>١</sup>؛ وليس المحتمل  
واجب الرعاية لاستاذة الجليل. ولم يقدار مرضه ولم يولته حق التدبير.  
ويظهر أن الممرض والكهولة ومشاق السفر وخداثة المهمة واليهو اجس النفسية  
فعلت فعلها في نفس ابن زيادون. فما كان يتم مهمته حتى أديت عليه  
علته. ولم تقض بضعة أشهر حتى فاخست روحه بأشبيلية في صدار رجب  
سنة ٤٦٣ هـ<sup>٢</sup>. فقتل القيس الأروهناني تاريخ ولادة ابن زيادون ووفاته.  
فان بعض المؤرخين والباحثين بين تواريخ ولادة الأديب والدين ووفاته.  
ولا تتجمل على عبد الحليم في كتابه. ومن شاء الدسباب فليرجع  
إليه<sup>٣</sup>.

ولما وصل نعيه من أشبيلية إلى قرطبة حاشت نفوس أهلها بالحزن  
وفاخنت بالآلام فقلصوا ابن ديان هذا الشعور الجارف بقلمه البليغ.  
"لقد أتمل خير هلكه بعشيرته أهل قرطبة فتناعوه، وسئلوا لفتله  
وحزنوا عليه، إذ كان منهم متعصباً لهم، هادياً إليهم، حليماً عليهم

وليحية خير بسيفه وبين سلطانهم الحدايث الولدية ، فصار ممابة لليديه  
 كفاء ما اجتث فيه من شاميلهم ، و البقاء لمن تفرد وحده لداربغيره<sup>١</sup> ،  
 ويظهر أن المحتمل أحسن بهول ما فعل لبقته ركنًا ركنًا من أسس دولته .  
 عبادر بتعيين ابن أبي الوليد أحمد بن زيدون مكان أبيه . وعمل إليه  
 بالوزارة وخدمه بولاية اشبيلية حاضرة الملك الحتيد مجموعة إلى الاشتر  
 على دارسلك النفود فمضى بعاه كل إليه واخضع بها عمل إليه . روايته  
 الفرومة ما انتقم لأبيه وظل في خدمة المحتمل حتى قتل سنة ٤٨٤ هـ<sup>٢</sup> .  
 ولا حاجة لنا أن نتحدث عن ابن الشاعر . وكنت في هذا أن أباه ربه أحسن  
 تربية ودرسه خير تاريب . فظل في خدمة المحتمل محفوظًا برعايته  
 له وإقباله عليه حتى قتل بعد أن أسري يوسف بن تاشفين واستولى<sup>٣</sup>  
 على قرطبة وقتل عباد ابن المحتمل وقتل معه أبو بكر بن زيدون سنة ٤٨٤ هـ<sup>٤</sup>  
 ويحسن بنا أن نذكر قول ابن حيان في رثائه لابن زيدون حيث يقول .  
 فقتلتولي من أبي الوليد كمثل ابن يخلق الدهر مثله جمالك وبيانًا وبراعةً  
 ولسانًا وظرفًا وخلوك من مراتب البلاغة نظمًا ونثرًا ببرقية لم يخلق  
 لها بعده عالمًا بقراءته بين الكلامين وبراعته في الفنين<sup>٥</sup> .

### جيبته

الآن نريد أن نذكر شيئًا بالذي جاز عن حب ابن  
 زيدون وجيبته . نحن نعلم أن ابن زيدون قلا عرف الحب بل لحدب  
 الحب دورًا خيرًا في حياته . فنعم به على أسعد ما يكون النعيم من تساق  
 كؤوس الدماء مترعة دهاقًا . وكذلك كان أشرف قو حافي تلوين فنونه وآدابه .  
 ولما كان تعلق ابن زيدون بجيبته قلا ألهمه أروع ما صاغه من الشعر  
 فمننا عن أنه خلق له خمومًا أقياء استضعفوا العلاقات بينه وبين أميره .  
 وقلا أفلحوا في دسائسهم حتى ألقى به الأمير في السجن بحسن بنا أن نلقى  
 ضوءًا على تدرج هذه العاطفة المشبوبة وما مرت به من أطوار مناولًا

١- الخلاصة ٣٥٦/١<sup>٢</sup> في هذا المحنى ذكر صاحب الند خيرة  
 في كتابه ٣٥٦/١<sup>٣</sup> ملوك الطوائف ٢٦٢ - ٢٦٥ والوافي  
 بالوفيات ١٧٢/١<sup>٤</sup> الخلاصة ٣٥٥/١<sup>٥</sup>

نذكر بكلمة عن شذوذية حبيته .

كانت حبيبة ابن زيادون ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمستكن بالشه . وكان أبوها ساقط الهممة ضعيف الرأى مشهوراً بالذلف والانهماص في الشهوات والمذات . وليس فيه من سمات الملك غير التربع على العرش . وحمل الحولا جان . يحتل هامة التاج الذي لم يلبث أن تدرج على الأرض متعرجاً بحفاة اللذات . إذ ثار عليه سكان قرطبة منروب مستغفياً بشياب امرأة إلى مدينة إفليج . وقد شوهد أيام محنته يستلذع أكف المحسنين إبان المواسم . ويمتال أنه مات مسموماً بيل أحداً ضباطه .<sup>١</sup>

كانت أسرة المستكن بالشه تنهب إلى أعرق بيت مالك عربي في الشرق والغرب فكانها كانت زهرة من زهرات البيت الأموي . فتتمى عبد الرحمن الناصر أشهر خلفاء بني أمية بالاندلس . وسيد كر على عبد الخطيب الذي سمى الكامل لأبيه الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصر الملقب بالمستكن بالشه . وقد التبس بعض المؤرخين في النسبة إلى أبيهما . مثلاً ابن خاقان<sup>٢</sup> يفسها إلى الخليفة المهدي فيقول "ابنة المهدي" ولكن صاحب الخلاصة<sup>٣</sup> الذي أدرك عصرها يقول هي ابنة المستكن بالشه . ويقول ابن حبان في خلعه "رأيت أيام الخسف بأهل بيته في الدولة العبودية - ولم يكن ممن لحقه الاعتقال لتقير أمره بقتل أهل الفلاح أو ان ضمهم لخلاتهم يسألهم من زكاتهم . بكليما ومخالبة<sup>٤</sup> .<sup>٥</sup> ولربيب في أن كثيرين من أجلا حبيته كانوا من العظماء . يقال إن أباهما قد تزوج من أمة مسرحة جشية هي بنت سكرى المورورية . ولعلها ام ولادة . وجاءت ولادة على العكس من أبيها . هي كانت رئيسة الطبع كريمة النفس تتروفاً الأمل جميلة الشكل . وكانت لا تترك - أحداً يتحرف في مجلسها ولا بالارهم

<sup>١</sup> هكذا ذكر صاحب البيان المخرب ١٤١/٣ و بغية الملئس ٢٢

<sup>٢</sup> قلائد الحقيان ٧٣ <sup>٣</sup> الخلاصة ١/٣٩٧ - ٤٠٠

<sup>٤</sup> أيضاً ٢٨٠/١ <sup>٥</sup> HISPANO ARABIC POETRY P. 157

الفرد له ومع أن للورثة أثرها المحتوم فليس من الضروري أن يرث  
 ابن صفات أبيه بل قد يرث صفات أجداده الأجدلين. ونحن  
 نعلم أن أباهما قد اعتنى بنشئة إبنه التي تثبت على مستوى عال  
 من المعرفة. وفي هذا يقول المعري<sup>٣</sup> "وكان أبوها جاحلاً سافطاً وفردت  
 هي على نهائية الأدب والخلق" ويقول ابن بسام<sup>٤</sup> "كانت واحدة  
 أقرانها حسن منظر ومخير". وقد أثنى عبد الله بن مكي<sup>٥</sup> - وكان معاصراً  
 لها - على فطنتها وسرعة بادرتهما وبناهما وفضائلهما. وأما ما وجدنا فيقول  
 فيه الضبي<sup>٦</sup> "أديبة شاعرة جزلة القول مطبوعة الشعر. يقال  
 الشعراء وتساجل الأدباء وتقوق البرعاء". ويدوي ابن نباتة<sup>٧</sup>  
 أنها كانت ذات خلق جميل وأدب غزير ونوادير جيبة ونظم جيد.  
 وحدث بيدار الدين الصلابي<sup>٨</sup> "أنها أجزلت بالفتاء والتأرييس"  
 ولكن بعض الباحثين لم يجدوا هذه الرواية. وأما جمالها فكان خلافاً  
 يقول الحفصي<sup>٩</sup> "إنها كانت نادرة زمانها طرفاً وحسناً وأديباً"<sup>١٠</sup> وحسبنا  
 ما ذكره ابن خافان<sup>١١</sup> "وكانت من الأدب والخلق وتنحيم السمع  
 والخلق بحيث تفتلس القلوب والأبواب وتحيل المشيب إلى أخلاق  
 الشباب"

وكانت جيبة ولادة قد تحررت من التقاليد بعد سقوط الخلافة  
 الأموية. ففتحت أبوابها لقصصها للعظماء والأدباء. فتهافت على تلاوتها  
 الشعراء والأدباء والوزراء يأخذون بقرتها المعجزية وحبها للخلاص.  
 فتعشقها الكبراء منهم. ولكنها كانت متسامونة فزادتمه إنجذاباً إليها.  
 وإلى هذا يشير ابن بسام بقوله "يحبشوا أهل الأدب إلى صغور غزيرتها  
 ويتهاون أكفاد الشعراء والكتاب على حلالة عشرتها إلى سهولة  
 دجائها وكثرة منتابها. وقد أشارت هي إلى ذلك بقولها:  
 إني وإن نخر الأنام ليهجتي كظباء مكة صياهن حرام

١ له نزهة الأبصار والأسماع : بيدار الدين الصلابي ص ٣

٢ نفح الطيب ٥٦٣/٢ ٣ بغية الملئس ٥٣٢

٤ أيضاً ٥٣١ ٥ شرح العيون ٧

٦ نزهة الأبصار والأسماع ١٢ ٧ تجليد الواقي ١٤٢ - ٢٥٠

٨ ثلاثة الحقيان ٧٣

يخسبن من لين الكلام مؤاخشا      ويصلاهن عن الدخلى الاسلام<sup>١</sup>  
ومعايروك عن عثمها ومرحبها أنهما كتبت على عاتق ثوبها خلائن البيتين .  
أنا والله أطلج للمعاني      وأمشى مشيتي وأتبه تيمها  
وأمكن عاشقى من مدح خذى      وأعلى قبلتى من يشتمنيها  
وسجلت نيكلي      " أن نزواتها لا تكاد تختلف من النزعات التبريرية  
بين النساء الجامعيات ونجوم المسرح والخيالية في العصر الحديث ،  
ويشبهها بجورج صائلا في مخامرتها الحاخفية " . وكذلك يقال إن  
من نزواتها أنها كانت تقول شحرا ما جناد معاويؤ خلا عليها تعلقها بهموجة  
نبئت التيانى القرطبية وكانت من أجمل سناء ما نرما غفلقت إساءة  
الظن بهنله الخلاقة المربية . على أن بعض معاصريها مناق ببحررها  
فقال ابن مكي<sup>٢</sup> : " إنها لم يكن لها دماء ولا طابق شعرها " . وقال ابن بسام  
بعد أن أثنى عليه : " على أنها - سمح الله لها وتخلد لهما - أحرحت  
التدصيل وأوجلت إلى القول فيها السبيل بقللة مباليتها ومجاهرتها  
بلذاتها --- " <sup>٣</sup>

ويدرك أنها قد عمرت حتى جاوزت الثمانين ولم تتزوج . ويحلم  
زواجها ضائقا بعض المتقين . وهذه هي تحررها التي أبعدهم عنها على  
أنها كانت على مستوى عال من العلوم والفنون والآداب والأشعار كما  
ذكرنا . وأنها توفيت ليلتين خلتا من صفر سنة ١٨٤٤ هـ على أرجح  
الروايات المختلفة في تعيين تاريخ وفاتها .

وقد لا دخلنا أن هناك كانت مجالس تعقد في قمر وبادنة  
وقد يتماقت إليها النبغاء والخطباء والوزراء . فمنهم من كان ابن زيدون  
الذي كان أحضر منها لممنع سنوات . فكيف لا يدوم بحسب الحب  
وتدخل فراسات الهوى حول هذا الشعر المنور بالأدب . قال ابن زيدون  
كيف أول لقاء ما بينهما بجلسة خاصة منفردة ، ركونا إلى حنايا الليل

<sup>١</sup> البيان والنبين ٣٧٦/١      <sup>٢</sup> بغية الملتبس ٥٣٢ والصلوة ٢٣٢  
<sup>٣</sup> الأخبار ٣٧٦/١ ، ٣٧٩      <sup>٤</sup> الصلوة ٢٣٢ وبغية الملتبس ٥٣٢

سُتْرًا لِلْأَمْرِ وَكُنْتُ لِلسَّرِّ . قَالَ : " كُنْتُ فِي أَيَّامِ الشَّبَابِ ، وَعِزَّةُ الْحَمَامِ ،  
 هَامَّةً بِغَادَةٍ ، تَدْعِي وَلاَ دَعَا ، فَلَمَّا قَدَّرَ الْمَقَاءُ ، وَسَاعَدَ الْقَضَاءُ ، كَتَبْتُ لِي :  
 تَوَقَّبْ إِذَا جَنَّ الظَّالِمُ زِيَارَتِي      فَاِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتُمُ لِلسَّرِّ  
 وَبِي مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ بِالشَّمْسِ لَمْ تَلَحْ      وَبِالْبَارِ لَمْ يَطْلُعْ وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسِرْ<sup>١</sup>  
 فَلَمَّا حَلَّى النَّهَارُ كَأَفُورِهِ ، وَلَشَرَّ اللَّيْلُ عِبْرَهُ ، أَقْبَلْتُ لِقَاءَ الْقَضِيْبِ ، وَرَدَفْتُ  
 كَالنَّشِيْبِ ، فَتَدَا طَبَقْتُ مَرْجِسَ الْمَقَلِّ ، عَلَى وَرْدِ الدَّخْلِ ، فَلَمَّا إِلَى رَوْحِ  
 مَا دَجَّ ، فَحُلَّ سَجَسَجٌ ، فَتَدَا خَامَتْ رُمَايَاتُ أَشْجَارِهِ وَخَاضَتْ لَحَالَالِ أَنْهَارِهِ ،  
 وَدَرَا لَطْلُ مَنْثُورِهِ وَحَبِيبَ الرَّاحِ مَزْرُورِ ، فَلَمَّا شَبَبْنَا نَارَهَا ، وَأَدْرَكَتْ  
 فِينَا نَارَهَا ، بَاحَ كُلِّ مَنَابِجِهِ ، وَشَكَا أَلْيَمَهُ مَا يَقْتَلِبُهُ ، وَبَتْنَا بِبَلِيلَةٍ  
 نَجْنِي أَقْحَوَانَ الثَّخُورِ ، وَنَقَلَحْتَ رِمَانَ الْحَلَاوَرِ ، فَلَمَّا الْفَصَلْتُ عَنْهَا صَبَاً ،  
 أُنْشَدْتُمَا إِيَّائِيَا .

وَدَّعَ الصَّبْرُ مَحَبَّ وَدَّعَكَ      دَائِجٌ مِنْ سَرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ  
 لِيَقْرَعَ السَّنُّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ      زَادَ فِي تِلْكَ الدَّخْلَى إِذَا شِيعَكَ  
 يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءً وَسَنَا      حَفِظَ النَّشْرُ رُمَانًا أَوْ طَلَحَكَ  
 إِنْ يَطْلُ بِجَدَاكَ لَيْلِي مُلْكُهُ      بَشَّرَ أَشْكُو قَوْمَ اللَّيْلِ مَعَكَ<sup>٢</sup>  
 وَالْفَصَائِلُ مِنَ الدَّجَا نَبِيْنِ تَدَلَّ عَلَى جِبْهَتَيْهَا الْوُثِيْقُ وَصَدَا قَتَمَتَا الْعَتِيدِ . مَثَلًا  
 أَنَّهُمَا كَتَبَتْ إِلَى ابْنِ زَيْدَوْنَ :  
 أَلَا هَلْ لَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا التَّفَرُّقِ      سَبِيلٌ فَيَشْكُو كُلُّ مَسْبَرٍّ بِمَا لَقِيَ  
 وَقَدْ كُنْتُ أَوْقَاتِ التَّرَاوُرِّ فِي الشَّتَا      أُبَيِّتُ عَلَى جَبْرِ مِنَ الشَّوْقِ يَحْرِقُ  
 فَكَيْفَ وَقَدْ أُمْسِيْتُ فِي خَالٍ قَطْعَةٍ      لَقَدْ عَجَّلَ الْمَقْدَارُ مَا كُنْتُ أَتَقَى  
 تَعْمَرُ اللَّيَالِي لَا أُرَى الْبَيْنَ يَنْقُضِي      وَلَكِ الصَّبْرُ مِنْ رِقِّ الشَّوْقِ مُحْتَقَى  
 سَقَا النَّشْرُ أَرْمَانًا قَدْ غَلَّتْ لَكَ مُنْزَلُ      بِكُلِّ سَكُوبٍ هَا حُلَّ الْوَدُوقِ مَخْدَقُ<sup>٣</sup>  
 وَهَذِهِ الدُّشَعَارُ تَدَلَّ عَلَى جِبْهَتَيْهَا الشَّالِيْدَا بِابْنِ زَيْدَوْنَ فَانْزِلْنِي تَخْلُنِي بِأَنْ حَبِيبَهَا  
 بِمِثْلِ إِلَى غُلُوحَا . مَثَلًا سَأَلَ ابْنُ زَيْدَوْنَ جَارِيَتَهَا عَتَبَةَ إِعَادَةَ الْخُنَاءِ فِي مَجْلِسِهَا

<sup>١</sup> له معاصر النساء ١٠٩ ونفح الطيب ٥٦٤ والذخيرة ٣٧٧/١  
<sup>٢</sup> الذخيرة ٣٧٧/١ ، وقلائد الحميان ، ولكن على عبد العظيم ينسب هذه الأبيات إلى ولادة<sup>١٥</sup>  
<sup>٣</sup> نفح الطيب ٥٦٤/٢ ونزهة الجلساء ٤٥



بخير إذ أنها. ولقد كانت منه بعض الميل إلى هذه الدجارية فكتبت إليه  
تشكوا له إحطواب ما في نفسه وحملها .

لو كنت تنصت لي في الهوى ما بينا  
وتركت غصناً متمراً بجماله  
ولقد علمت أنني بذر السماء  
ولكن ذهبت لشقوتي بالمشتري له  
ولقد كان هناك تنافس شديداً في التودد إليها بين الشعراء والُدباء المشاهير  
عليها وكان منهم أبو عبد الله بن المعتز وأبو عامر بن عبدوس وابن زيادون.  
ولكن ابن زيادون قد سبق منافسيه في التودد إليها. وإليه زجرنا عند الأول  
بفتيلة للأدعة يقول فيها ،<sup>٢</sup>

أعد نكراً فإن البغي معالم يزل يصرع      ولا تلح التي تخويك فهي بغيتهم أطوع  
ولا تلك منك تلك الدار بالمعزى ولا المسمع      فإن قصارك الملهي رحيب سوائني المضع  
فما كان يتلوها حتى إذا جرد السحب من الميلاق      دأما ابن عبدوس فقتل ظل  
بأحد ابن زيادون في حبها منافسة عنيفة فزجره بفتيلة أخرى قاسية  
يقول فيها .

أثرت هزبر الثرى إذا ربحض      وبهتته إذا هذا فاعتمض  
خدار خدار فان الكـريـم      إذا سيم خسفاً أبي فامتحض  
فان سكون الشجاع النهـم      ليس بما نحه أن يحض  
أعياك من أن ترى مفرغى      إذا وترى بالمنايا أنقبض<sup>٣</sup>  
فلم يزد جراب عبدوس وغالى في التودد إليها وهكذا دارت بينهما منافسة  
أدبية وشعرية . وحينما علم ابن زيادون أن ابن عبدوس أرسل إلى جيبته  
امرأة تستميلها إليه فكتب إليه رسالته الخالدة على لسان و لادة .  
وهي الرسالة المحروقة بالهمزية . مزقته فيها كل معزق وجعله مضخة  
في الأعفاه وسخوية للأنظار . وقد أخلشت هذه الرسالة أثرها . فكف  
ابن عبدوس عن ملاحقة و لادة حتى حين . ومن هنا انصرف بجهده كله إلى

١ الأخيرة ٣٧٧/١ ، ٣٧٨ ،<sup>٢</sup> ديوان ابن زيادون ٦٧ ، ٦٨  
٣ أيضاً ٢٣٧ ، ٢٣٨

تأليب الأ مير على ابن زييدون وقتل أخلج في إشارة الأ مير عليه فتذلف به السجن .  
 وحينما هاجر ابن زييدون إلى اشبيلية مستقلاً فهنا عاد ابن عبدوس إلى ولادة  
 فاسترد مؤدنتها وظلت حملتها قائمة حتى جاوز الثمانين . وكانت ثروتها  
 قد تبادلت فكان يواسيها بما له حتى توفي ابن عبدوس سنة ٤٧٢ هـ وتوفيت  
 ولادة سنة ٤٨٤ هـ .

فقد لا حظنا أن ابن زييدون عرف ولادة مجد أن بلغ أشده وتبوأ  
 منصب الوزارة ونضجت مواهبه وكان يخشى نداوتها مع من يخشاها  
 من العظماء لذلك بكانة أسرته ووفرة ثروته وعلومه وذكائه وديوع  
 شهرته في فنون الشعر والنثر والشئون السياسية . وقد صادفت ولادة  
 فيه فتح وسيله العجيا ، حلو الحلايت ، قوالم الحارضة . فكلها كانت شاعراً  
 مفتوناً بالموسيقى والغناء وكلاهما كان وسيماً خريفاً حاضراً بديهة غلب  
 الحلايت . وكلاهما من صفوة الطبقة الراقية وستنهما مقاربة ويدوي  
 أن كليهما عذب . فلاعجب إذا جلاب الهواء شبيهاً إلى شبيه ما نلفها مع  
 الحب في تسترو تصون . ولكن ابن زييدون ما أتاح له هذه الفرصة الثمينة  
 إلى لول حياته فانه قتلها جراً إلى اشبيلية مستقلاً . ولكننا نرى كانت  
 عاطفته تميل كل الميل إلى قرطبة التي فيها جيبته .

هناك سؤال قلا اعترض أمامنا ولم تجد جوابه في أي مصدر من المصادر  
 العربية أو في أحاديث من الأبحاث التحقيقية حول هذا الموضوع  
 على أن ابن زييدون قتل تزوج أم كان عزيباً . ببعض الباحثين رأوا أنه كان  
 عزيباً . ولكن بعض الرواية توحي أن له كان ابناً وبنياً . بحيث ولي ابنه على  
 منصبه بعد وفاته . وبنته التي ذكرها بعض المؤرخين في كتبهم . وقد ذكرت  
 فتحتها في هذا البحث حول ذكاء ابن زييدون ومجاهته في الأدب العربي .

**محاسن ابن زييدون** :- إن علائق الرجل بمن حوله واحتكاكه بالمحيطين

به تكتشف عن جوهر نفسه وتظهر طبيعته للباحثين. وإن العظماء دائماً  
 يشغلون الناس بأنفسهم ويشيرون حولهم دائماً أجواء من القلاح والملاح  
 والمجاض والاعجاب. ولا شك في أن رجلاً كابن زيدون ملأ قلوب  
 محاضريه وأسماعهم وزاحم منهم من زاحم حتى فاز بأسمى المناصب  
 السياسية وأرفع المراتب الأدبية. إن رجلاً عظيماً كهذا لا بد أن يشغل  
 قلوب محاضريه سواء كانوا من مؤيديه أو من معارضيه. وقد ذهب  
 المؤرخون والباحثون فيه شتى المذاهب. فيقول فيه المصلي<sup>١</sup> الضيق<sup>٢</sup>  
 إنه كثير الشح وقبيح المزاج. ويقول ابن سعيده<sup>٣</sup> "إنه كان سامحه  
 الشئ ممن لا يرجي خيره ولا يؤمن شره. ويصفه ابن حبان<sup>٤</sup> بسلاطة  
 اللسان، ولكنه يهود فيصفه بحبه لأهل وطنه وحرصه على نفعهم". إذا  
 كانت منهم، متعصباً لهم، هاوياً إليهم، خالفاً عليهم، وليجة خير بينهم  
 وبين سلطانهم، ولذلك نرى أنه ما كاد يهجر قرطبة إلى أشبيلية  
 حتى أوحشت قرطبة لفقداه. كما ذكر ابن حبان<sup>٤</sup> "وخلال الحيرة مكانه  
 وكثر الأسف عليه". ولعلهم كثير من شعراء عصره بالاشادة بفضل  
 واستوائه ببلده.

فهذه حقيقة أن ابن زيدون إنما كان إنساناً سوياً يفتح الاحسانات  
 في موضعها ويقابل الجود بالجدود. فقد تنكر دبن عبدوس بهذا أن  
 نافسه في جيبته وكاد لابن حبان وحمل المحتضداً على الفتك به. والرواية  
 توحى أن ابن حبان هو كاف المعتدلي على ابن زيدون والمعرض عليه. يظهر  
 من قصائده أنه كان من أشلاء على الكفار رحماء بينهم. فلذا يقول  
 خاتن الأبن لعن داني  
 وأترك من رام قسري حرض<sup>٥</sup>  
 نجد ابن زيدون قلماً يبداً باليساء وإفناً يفتح عن نفسه الاساءات  
 وبخاصة نجد أن لعن من خصومه شتى أنواع الأذى والخلاب.

والآن يحسن بنا أن نذكر صفاته البارزة في ضوء ما ذكر على عبد العظيم

<sup>٢</sup> المغرب ٢٣٤/١

<sup>١</sup> بغية الملتبس

<sup>٤</sup> الخلاصة ٢٩١/١

<sup>٣</sup> المقتبس

<sup>٥</sup> ديوان ابن زيدون ١٤٤

في كتابه .

## سرعة البديهة

١- إتمعت ابن زياد بهذه الصففة كاملاً كما وصفه ابن بسام بقوة الحارضة والافتنان في المعرضة أنه « غلب على قلوب الملوك بفضل ما أوتي من اللس والحارضة »<sup>١</sup> له وصفه في موضع آخر بقوله : « خامسة ذرعة ، ذلت في طبعه ، وغزارة بياضه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا ينكر ولا يردو البحر الذي لا يد صر ولا يعد »<sup>٢</sup> ثم يصفه في موطن ثالث بالبراعة والخوف . وتكون ظروفه الواسع ورقة حاشية وسرعة بلاهته نرى أنه حصل على مقامه العالي لدى ملوك الطوائف حتى أنهم فتحو له مملوكهم ومزجوه بأنفسهم . كالمعتز بن عباد وابنه المعتزل حاكما اشبيلية وإدريس الثاني حاكم مالقة وبنو عبد العزيز أصحاب بلنسية . وفي اتصاله بهم يقول ابن خفاف :<sup>٣</sup> « دخل منهم محل الدعوى في الكلبوس ، ووقع منهم مواعج البشائر في النفوس ، وأقام بين مسرة توأمله ، ومسرة تخارجه » ويقول السلوي إنه « فريد عصره ووحيد دهره أدباً وخلقاً ورقة وطقاً »<sup>٤</sup> وقد وصف ابن زياد نفسه بالنظر والافتنان فيه كما وصف معارفه الواسعة وثقافته الشاملة وحلته ذهنية فقال :

لا افتنان كافتنانى      فى حلى المخرف الحسن  
خمنى بالأدب الشـه      فأعلى فيه شأنى  
خاطرى أنفلاً — معاً      قيس — من حلل الأسان<sup>٥</sup>

تتجلى سرعة بديهته فيما رواه ابن بسام والمعنى عن أنه وقف يتلقى الحذاء في ابنته فقبل أنه ما أعاد في ذلك الموقف عبارة خالها لئلا حـلـ قال المصطفى : « هذا من التوسع في العبارة والفتنة في التفنن على أساليب الكلام ، وهو وزير ألف رئيس ممن يتحين عليه أن يتشكر له . ولمن حـ إلى

١- الأخيرة ٢٩١/٢٩٠ ٢٠٥ ٢ أيضاً ٢٩٢/١  
٢- فلاندا العقيان ٧٤ ٣- الكوكب الثاقب ٢٧٨  
٤- ديوان ابن زياد ١٠٧

ذلك فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارة مضمونها الشكر. قالوا: وهذا كثير إلى الغاية، لا سيما من مخزون فقلا قطعة من كبده :  
ولكنه صوب الحقول ، إذ البتت سحائب منه أعقبت سحائب<sup>١</sup>  
وقلا وزن أهل زكي باشا موقت ابن زيدون بموقت مسيو جو الكارنيه  
الذي استقبل عشرين وقد أمد من لوائف الانجليز ورد على كل منهم بعبارة  
شكر تخالف ما أجاب به الأخرى ، مما جعله موضعاً لا عجاب الناقلين  
بمقدارته البلاغية .<sup>٢</sup> ومن الطبيعي أن كمنه ابن زيدون أرجح بكثير .  
وكثيراً ما تسعفه بديهته على الدردجال الشهري . يروى أن جارية  
سألته أن يزيد على بيت قالته :

يا معطشي من وصال كنت وارده حل منكر على علة إن صحت واعطشي  
وكانت تتعشق فتقرشياً وابن زيدون يعلم هذا فارتجل سبعة أبيات بالمؤر  
استعملها بقوله :

كسوتني من ثياب السقم أسبغها ظلماء وصيرت من لحف الضنى قرشي  
وختمها بقوله :

حباً إذا التذات الكجفان طعم كرى جفا المنام وصاح الليل يا قرشي .  
هذا وإن تلفت نفسي فلا عجب قلا كان موتى من تلك الجفون تحشى<sup>٣</sup>  
وكثيراً ما كان ابن زيدون يرتجل أبياتاً في الرد على المراسلات الشعرية في نفس  
عافيتها ووزنها كما كان يرتجل في شتى المناسبات .

**ولعه بالملاهي واللذات** :- قلا ذكرنا أن نشأته المترفة ولهبة عمره  
المتحررة وفكرته المرحية ونفسه الحساسة مالت به جميعاً إلى مباشرة اللهو  
ومقارنة اللذات . فكان يحاقر الراح ويستجيب للهو ويحشق الموسيقى والغناء .  
وقلا لا حظنا ما جالس الملهية مع صديقيه أبي الوليد بن جهور وأبي بكر بن  
ذكوان . ومع ذلك كانت له مع ولادة ليالى منغمسة في اللذات ولوعه

<sup>١</sup> نفح الطيب ٣٨٣/١ ، والذخيرة ٢٩٢/١

<sup>٢</sup> ابن زيدون : لمحمد زكي باشا ص ٧٦ - ٧٧

<sup>٣</sup> نفح الطيب ١٩٤/٢ ، ١٩٥ ، ديوان ابن زيدون ٢٨٠

الاستماع إلى غناء جارية جيبها عتبة . وأعانته على إشباع ميوله أن منظر  
من اتحل به من الملوك أو عاش في ليلاته كما نوا يستجيبون له النزعات  
مثل أبي الوليد بن جهور في مستهل حكمه و إدريس بن حمود والمعتضد بن عباد  
وابنه المعتضد بن عباد . وكثيراً ما يملك الراح ويستملحها . كما نجد ابن زيدون  
يرجى المعتضد على محاورة الشراب حيث يقول :

فجيب إلى اللذات مؤثر راحة      تجدها النفس النفيسة للكل  
ودال بها في لؤلؤ من حبابها      كجيلة الفتاة الردد في لؤلؤ العقدة  
وإن تدان لأش عن أرجحية      فتدانس المولى إذا ارتاح للعبد<sup>١</sup>  
ولم ندأ وصف ابن خاقان شعره بقوله . " إنه لم يعرفه إلا تدبين ريان وراح ،  
ولم يملحه إلا في سماء مؤانسات وأفراح . " . ولتنا مع هذا ابن زيدون  
يشيد بوقوف ابن جهور من كسره دنان الخمر<sup>٢</sup> وهو لا يهجر في هذا عن  
رأيه الخاص ولكنه يؤدى واجباً يقتضيه منصبه الرسمي ويحتمه المقام .  
وهذه حقيقة أنه لم يكن مجاهراً مستمراً مثل بشار وأبي نواس وغيرهما من  
الشعراء الماجنين . ولكنه يستجيب لبيوله إذا دانت الفرحة وأسعفته  
المناسبات . ولم يكن ابن زيدون منفرداً بالأنس بهذا بين محاسن مريه .  
فتلا كان الممر عسيرتدروترف وإنه للاق . ولقد وجدنا ابن زيدون يجمع  
بين الكياسة واللاهء والمباقة والخرف و لطف النادرة وسرعة  
البدلية ومجازاة الحكم في أهوائهم مع الأخذ من متع الحياة بنصيب .

**طبيعة ابن زيدون :** إن ابن زيدون كان منطوقاً على الحزة والاباء . وكانت  
طبيعته منفردة في كل ميدان . فتلا غالى بعض الرواة فرماه بالهيب والكبرياء .  
فنهت ابن حيان بانه " ذهب به العجب كل مذهب وهون عنده كل  
مطلب . " . ولتنا نستطيع أن نحلل هذه الصفة فنقول إنها إلى اباء  
لا الكبرياء وشتان بين الوصفين وإن تقارباً في المظهرين . غالى بقاء فضيلة

<sup>١</sup> ديوان ابن زيدون ٢٤٩      <sup>٢</sup> قلائد العقيان ٧٠ ، ٧١  
<sup>٣</sup> الرسالة ٢٢٠ - ٢٢٢      <sup>٤</sup> الخلافة ٢٩١/١

مشكورة ، قد تحمل صاحبها على التمدحية وإنكار النكاح والسمو عن اليهود ، وإن كان وراءه ربح أو إحسان . وأما الكبرياء فهو من نفس يستره صاحبها بهذا المنظر الزائف الخلاق . وابن زيادون كان محجبا بنفسه محضاً بمواهبه . ولا ضير عليه في هذا . فأنشأه نشأ في طفولته المتوفنة وبنو غله المبكر ومكانته التي أحرزها في مستهل الشباب حيث أسهم في إسقاط دولة وإقامة دولة وشرق ذكره وغرب . ونفت على قلوب الملوك والأمراء فتياً فتوا على طلبه ، فلما عجب إذا بشهر بالحزة والإباء لا بالملف والكبرياء .

ولقد تجلى إباء ابن زيادون وهو في سجنه تحت رحمة خصومه . فمما كاد يتضرع إلى الأمير حتى يتفقط فيه الإباء . فيمتن عليه حينئذ ويهدده باللجوء إلى غيره من الأمراء حينئذ آخر . ورسالة الجارية التي كتبها ابن زيادون لاستحقاق أبي الخرم بن جمهور ملوءة بأمثال إباءه .

أما شجاعته فتتجلى في أنه قضى حياته كلها كفاح وفضال في سبيل بلوغ القمة . فاذا صدمته الأحداث أو قهرته التوائب هبَّ إلى النضال ثانياً وأبى إلا أن يسترد مكانته ويسترجع منزلته . ولم ياضل خصوماً ألباء وكافح منافسين أقوياء من قضاة ووزراء وأمراء فلم يقل عزمه يأس ولم يثلم حله قنوط حتى تم له الانتصار . وقد صرنا ابن زيادون موقفه من الأحداث القاسية المتلاحمة وكيف قابلها بالكفاح والنضال :

فإن يحلب من الدنيا	جناب طالعنا أمرع
فما إن غاص لي صبر	وما إن غاص لي ملامح
وكائن رامت الأيام	مُ ترويهي فلم أرتع
إذا ضاقتني الحبال	تجلت عن فتى أروع
على ما فات لا يأسى	وما ناب لا يجزع <sup>١</sup>

**صفاته الجسمية :-** إن الصفات الجسمية بما أثير بالغ في الاتجاهات النفسية والملكات الفنية . يذكر المؤرخون أن ابن زيادون كان وسيه الوحده . وحلا وصفه ابن حيان بالجمال في أكثر من مناسبة حتى في كهولته حيث يقول في رثائه : " فتولى منه كمل لن يخلف الاهر مثله حبالاً وبياناً وبراءة ولساناً خرقاً . . . " له فوصف ابن حيان بجماله في كهولته فما ظننا به في شبابه . ولعل ابن زيادون أشار إلى هذا في رسالته لابن عبدوس على لسان و تادة " ولعلنا غرك من علمت صبوتى إليه ، وشملت مساعفتى له ، من أقمار الحمر وريحان المحمر ، اللذين هم أكلو أكس علوهم والرياض طيب شيم .<sup>٢</sup> ويظهر أنه كان قوي الجسم متين البنيان . ولعله يشير إلى هذا بقوله في الرسالة السابقة " وكلم بين من يحتملنى بالقوة الظاهرة ، والشهوة الوافرة . . . . . وبين آخرقلا لنضب عذيره ، ونزحت بيره . . . . . " .<sup>٣</sup>

وكان حسن الصوت رقيق النخمة جيد الانشاد . وفي هذا يقول منافسه ومحامره ابن حصن في وصف قصيدته معرضا بشعر ابن زيادون :

ولست بكاسيهاملاى الدهر حلة بنخمة إنشاد ولا بمكر<sup>٤</sup>  
والآن نكتفى على هذه الأقوال في صفات ابن زيادون الجسمية بحيث كتب التاريخ معلوءة بذكرها فليرجع طالب الاسهاب إليها .

١- الأخيرة ٢٩٠/١ و ٣٥٥ ، ٣١٥ ،<sup>٢</sup> شرح العيون ٢٢٢  
٣- أيضا ٢٤٨ ،<sup>٤</sup> الأخيرة ١٠/٢



## الباب السادس

- (١) ابن زيدون في ميادين العلوم والآداب
- (٢) آثاره وأدبه وفنونه النثرية (نثره الوصفى ،  
نثره النقدي ونثره في كتابة التاريخ )
- (٣) تحليل رسائله وامتونها (الرسالة الهزلية ،  
الرسالة المجدية وبقية رسائله )

## الباب السادس

### ابن زيدون في ميادين العلم والأدب

قلما نجد بأديب يحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر. فإن أغلب ما نشاهده أن يبذل الأديب في أحد النوعين إبداعاً يغلط على إبداعه في الآخر. ولكن ابن زيدون حينما نقرأ نثره فلا شك أن تضيق أن شعره يتساقط إلى مثل هذه المرتبة الحالية. وإذا عدنا إلى شعره ألسنا إبداعه روعة ما قرأنا من نثره. وهكذا لا شك أن نقرأ قطعة مختارة من شعره أو نقرأه حتى نملأ أنفسنا بهجة وسروراً وننسئنا سرورها كل شيء آخر. وليس من المضاف أن نقول إنه شاعر ممتاز فقط أو ناثر ممتاز فقط أو هو وزير وسيفر فقط أو هو رجل سياسي ممتاز فقط وما أجادنا أن ننصفه فنقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي. وقد عرفنا أن ابن زيدون قضى حياته بين الدرس والتدريس والتجارب والتجارب والاحتمال كبحار سياسة عمارة ودهائمه. ومهر قلبه حب ولادة وحنينه إلى وطنه وأثرته في نفسه الشاعرة الحساسة ما امتازت به الأندلس من جمال التربية وصفاء الجو ولقى من السعادة والفتح بالحسن أشهى وأعذب ما لقي محب. ثم لقي من لوعة المحل والمجون أشتى وأمر ما لقي إنسان. وكلما إذا درسنا أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأينا طليماً بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب .

ما عرفني هذه الدنيا بنور من إلا وعندي من أخبارهم طروف ولقد أرى في أدبه أمثلة من ثقافة المعرك وسحة إطلاعه وتمكنه في اللغة ومخاطبته على أساليبها كما نرى فيه أمثلة من مناعة أبي تمام ونظم البحتري واسترغال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي. وهنا نستطيع أن نقول على أنه قد مارس في كل ميادين العلوم

والآداب وقد نبخ فيها وسبق محامريه . حسناً أن نشير إلى أن آثاره متعلّدة فقلنا نظم الشعر ودبج الرسائل وألف في التاريخ وله آراء في النقل ومقطوعة في النثر الوصفية وله فلسفته في الحياة هذه كلها تدل على ثقافته العديدة الشاملة . وما كان له أن يلي مناصب النظر على أهل الدولة إلا إذا كان عالماً دينياً أو مناصب السفارة أو الوزارة إلا إذا كان من رجال السياسة الممتازين . والآن نستطيع أن نرى بعض الملامح لأبحاث العلمية شائعة في شعره ونثره ، سواء كانت عن قصص أم بخير قصص .

**القرآن الكريم :** إننا نجد تعمقاً في القرآن الكريم خائناً رجا في أشعاره ورسائله بعض الاستنباطات القرآن الكريم . حيث يقول :

إِنَّا قَوْمٌ نَاثِرُونَ	مَكُوبَةٌ وَأَخَذْنَا الْعَصِرَ بَلْقِينَا <sup>١</sup>
وَفِي إِمَامٍ مُّوسَىٰ عِبْرَةً	أَلَىٰ إِلِيمٍ فِي التَّابُوتِ فَاعْتَبِرُوا وَاسْلُوا <sup>٢</sup>
فَتَنَةً وَجَدِدتُ كَالْـ	مُفْتَنَةً فِي الْعَجَلِ الْحَسَنَةِ <sup>٣</sup>
أَأَنْتَ فَيَكُ الْمَلَحُ مِنْ جَدِّ قَوَّةٍ	وَلَا أَقْتَلُ إِلَّا بِنَاقِضَةٍ الْمُعْزَلِ <sup>٤</sup>
إِذْ خَتَمَ الرُّخْصَا الْمَسْوَغَ مَسْلُوكِ	وَمَزَاجَ الْوَمَالِ مِنْ تَسْنِينِ
نَارِ بَخِي سَرَىٰ إِلَىٰ جَنَّةِ الْأَمِ	مِنْ دَخَاها ، فَأَصْبَحَتْ كَالْمَصْرِيهِ
بِأَبِي أَنْتَ إِن تَشَاءُ تَكُ بَرْدًا	وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمَ <sup>٥</sup>
تَرَىٰ الْمُحِبِّينَ مَرَحِيًّا فِي عَرَاصِمِهِمْ	كَفْتِيهِ الْكَهْفِ لَا يَلِدُونَ مَا يَبْشَوَانِ <sup>٦</sup>
تَكُنِ الْوَشَاةُ وَقَلَامِيَّتْ بِإِفْكَهِمْ	أَسْيَاطُ يَعْقُوبَ وَكُنْتَ الذَّيْبَانِ
وَإِذَا الْمُنَىٰ لِقَبُولِكَ الْخُضْنُ الْجَنَىٰ	هَزَّتْ ذَوَابُّهَا فَلَا تَثْرِي بَالِ <sup>٧</sup>

وكذلك نجد الاقتباسات في نثره من القرآن الكريم مثلاً " مع اليوم غدا ولكل أجل كتاب " " وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لأدم فأبيت واستكبرت "

١	ديوان ابن زيدون	٧	٢	أَيْضًا	٣٠٩
٢	نَارِ بَخِي سَرَى				
٣	أَيْضًا	١١٣	٤	أَيْضًا	١١٦
٥	ديوان ابن زيدون	١٩٦	٦	أَيْضًا	٢٤٠
٧	أَيْضًا	٧٣			

" وقال لي نوح اركب معنا فقلت ساوى الى جبل يخلصني من الماء " وأمرت ببناء صرح لعلني أطلع إلى إله موسى " وعلفت على الحبل " واعتليت في السبت " وتهاطيت فحقرت " وشربت من النهر الذي ابتلى به بيوشا طالوت " وعلات الفيل لأبرهة ....<sup>١</sup> هذه الاقتباسات كلها مأخوذة من الرسالة الجديدة التي كتبها بسجنه. ونظن أنه ما كان بين يديه أحيا مصحف القرآن الكريم. وهذا يدل على حفظه للقرآن الكريم وعنايته به .

**الحديث الشريف :** اتخذ ابن زيدون كذلك من الأحاديث النبوية لتأثير البيان كما زين كلامه النثر والشعر بما بالقرآن الكريم. حيث يقول :

مليك يسوس الملك عنه مقلد <sup>٢</sup>	روى عن أبيه فيما سنه الجد <sup>٢</sup>
هيام أغر رويت الفخار	حلياً إلى سروره مسنداً <sup>٣</sup>
حلتنا عن سروره	ناهبك من قرب سندانج <sup>٤</sup>
هو الكريم الذي سن الكرام <sup>٥</sup>	زهر المساعي فلم تستهوه البدع <sup>٥</sup>
أشنانى التوبة من حبه	طلوعه شمساً من المخرّب <sup>٦</sup>
كانها جنة لي	خفت بمكروه الحسد <sup>٧</sup>

وكما في نثره " عرض من لا يؤهلها لا جارته إلا بال استجارة " <sup>٨</sup>

**الفتة :** كذا أنال بقرخند<sup>٩</sup> مالم أنل بشفاعة<sup>٩</sup> .  
مالك سلطان الهوى<sup>١٠</sup> آمنه من القود<sup>١٠</sup>  
كفى لوعة أن الومال ميسة<sup>١١</sup> يلهيل عناء المقتضى والهوى نفتد<sup>١١</sup>

له هذه الاقتباسات كلها مأخوذة من الرسالة الجديدة التي كتبها بسجنه.

٩ ديوان ابن زيدون ١٠٨	٣ أيضاً ٢٥٢
١٠ ديوانه ٥	٦ أيضاً ١٧٨
١١ أيضاً ٣٠٨	٨

والمناقشة الفقهية الطويلة في إجراءات محاكمته وسدجته في الرسالة  
التي وجهها لأستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد. له وكذلك قوله "ولو أن  
جرح الصبيان جبار" ٤

**احول الفتنة :** وودادك نص لم يخالفه القياس ٥

**العلوم الفلسفية :** إنني رأيت المنارين كليهما في كون ملك لم يحله فساد ٦

كان الرضا دأ عينه — أن يحقب أكون الفساد ٧

عمدت لشعري ولم تثب تعارض جوهره بالعرض ٨

ومهما هزرت إليك الغنا بظاهرت بين مروب العلل ٩

كانك ناوت أهل الكلام وأوتيت فيها بعلم الجدل ١٠

ولا تغمض ضلّة الحاج وسلم قرب احتجاج دحض ١١

"وأنتك النلا أقام البراهين ووضع القوانين، وحل الماحية، وبين

الكيفية والكمية وناظر في الجوهر والحرص وميز الصحة من المرض... ١٢

**الطب :** وأندر خليك من ماهر بطب الجنون إذا ما عرض

كفيل ببكاء خراج عسا جرحا على شق عرق نبض

يبادر بالكت قبل الضماد ويسطح بالشحم لا بالضمض ١٣

أنا حين أطرق ليس يفتأ طرقي شوق كما طرق السليم علا ١٤

ملا بجثاه ينفخ الأعضاء حين يجلو بلطفه السفناء

مبرد يطف المزاج إذا جا ش التهابا ويقع الصفراء ١٥

"وبجراط علم العلل والأمراض بلطف حسك، وجالينوس عرف

طبائع الحشائش بلا قته حسك وكلاهما قلداك في العلاج، وسألك

١٥ النخبة ١/٢٤٦ - ٢٥٤ ٢٥ سرح العيون ٢١١

٢٣ ديوانه ٢ ٢٥ أيضا ٢٠٠ ٢٣٩ أيضا ٢٣٩

٢٤ أيضا ٢٣٩ ٧ ديوانه ١٩٦ ٨ أيضا ٢٤٠

٩ أيضا ١٠ سرح العيون ١٤٢ ١٤٣ ١١ ديوانه ٢٤٠

١٢ أيضا ١٩٨ ١٣ أيضا ٢٦٠

عن المزاج واستو حيفك تركيب الث أعضاء واستشارك في الداء والدواء<sup>١</sup>

**العلوم التاريخية :** لا نرى داعياً للاستشهاد عليها. وإلا نقلنا ملاحظات من الديوان ونقلنا رسالتيه الجلمية واليهزلية بتمامهما. إننا نرى شغفه بالتاريخ يتجلى في كل حين. كل ما وجدنا أو حصل إلينا من مآثره رأيناها مملوءة بأمثال التواريخ. وحسبنا أنه ألف في التاريخ كتاباً عن بنو أمية بالأندلس. نوه به المقرئ في نفح الطيب .

**علوم اللغة والآداب :** لا حاجة لنا بالاستشهاد بدراساته اللغوية والأدبية. وبخاصة استيخابه للحكم والأمثال وحفظه لمآثور الشعر ومعرفته برجال اللغة والآداب. وهنا نستطيع أن نقرر أنه هو فن اللغة بزرقيه وميلانه الذي حل في فيه. كما أننا قد حفظنا لدراساته الدينية والفلسفية وأتينا بالاستشهاد. فكانه لم يقف لفته على أحداها ذلك اشتهارها. فقد لفت شهرته الأدبية على غيرها من الثقافات. ومن الطبيعي أن ثقافته المتحددة لم تكن متساوية في الحق والسعة، لأنه فتم حيايته أخيراً على الثقافة الأدبية والتاريخية والسياسية دون غيرها من الثقافات. وستحلبت عن رسالتيه الجلمية واليهزلية الصنفيتين اللتين على ثقافته العلمية المتنوعة .

فقد ومفنه ابن حيان أنه لسحة الذراع وتدفق الطبع وعذارة البيان ورقة حاشية اللسان. ويرى أن هذه الصفات هي المصباح الذي لا ينكر ولا يرد والرمز الذي لا يدع صر ولا يحل. وقد نعتته ابن دحية<sup>٢</sup> بأنه ذو المعارف والفنون. ويقول ابن نباتة<sup>٣</sup> " إنه اشتغل بالأدب وفنهم عن نكته ونقب عن دقائقه إلى أن برع وبلغ من صناعتهم النظر والنثر المبلغ الطائل<sup>٤</sup> كنه. ولهذا حقق له

<sup>١</sup> سرح العيون ١١٤-١١٨ <sup>٢</sup> الأخيرة ٢٩٢/١

<sup>٣</sup> المطرب ١١ <sup>٤</sup> سرح العيون ٤

أنا يقول :

ونجد في علم توالت فنونه كما يتوالى في النظام سحاب له  
وإذا انزعا ثقافته الواسعة المتعددة المتنوعة قد أعانته على يئس  
الصدارة في كل مكان وقد دت أمامه مغاليق الأبواب وأسلمته مقاليد  
الخلود . وقد غذاها طبع موهف ودكاء أميل .  
والآن نحب أن نلقى حنوًا موجزا على فلسفته في الحياة .

**فلسفته في الحياة :** لا بد لكل شاعر فحل من نظرة شاملة دقيقة في  
الحياة تكشف عن مذهب فلسفي يصدر عنه ابن زيدون فيما ينتج  
من آثار . ونحن لا نطلب من ابن زيدون فكرياً فلسفياً كالمعروف  
أبي نواس ولا مذهباً خلقياً كأبي المعتاضية أو القنبي أو ابن الرومي ، لأن  
البيئة الأسلامية تضيق بالمذاهب الفلسفية وما إليها من أفكار . ولكننا  
نرى لابن زيدون نظرة فلسفية تؤن به أحيائه وصدر عنها في تصرفاته  
هي إيمانه بالجبر ، وقد لعبت مسألة الجبر والإختيار دوراً هاماً في  
الفلسفة الإسلامية والمذاهب الكلامية ، وابن زيدون قد درس هذه  
الأمراض جميعها وتأثر بها ، ووجد لها في حياته أبلغ الآثار . فكم برت  
به من أحداث قاسية ومن متلاحقة غلرت مجرماً حياسته  
نقلته من حال إلى حال . فإذ سلان مطرد القارة أمام سلطة الأقدار  
وهو خارج لظروف بيئته وتكوينه ووراثته ، وإن نحن في نفسه  
الإختيار ، وكثيراً ما يحشد الإنسان قواه ويلا بر أموره لبلوغ هدف  
من الأهداف . فيخلعه التوفيق على حين يظفر به من لم يذخره على  
بال .

ويرد عليك أحتراس

ولكم أكلى التماس

عز ناس ذل ناس

ولقد ينبغيك إغفال

ولكم أجلى قهود

وكذا الدهر إذ ما

ولست هذه نظرة عابرة ، ولكنها حقيقة تتردد في شحره وتبرز في رسائله "وماتم واقح ، ولا خذر من قذر ، وسبق السيف الحدل ، وقدم من فحل ما جف به القلم ، حتى الحجب يذبح في نظرة لتصرف الأقدار .

ما كان حبك إلا فتنة قلارت      هل يستطيع الفتى أن يدفع القلارا ؟  
والإيمان بالجد إذا صادف النفوس المنحوية العنكشة ازدادت انقباضاً ولدت باليأس والقنوط ولكنه إذا صادف نفوساً منبسطة فإنها تزداد انبساطاً وتتخذ من تصرفات الأقدار عوناً ونصيراً .  
وابن زياد من النوع الأخير ، ولعل نشأته في بيته دينية أثرا في هذا الاتجاه ، فالقوة المهيمنة على الكون لا تفعل إلا خيراً ولا توصى إلا بخير . وأن ما نخطئه نحن شرّاً ليس إلا ستاراً يخفي وراءه أحسن الحواقب "وعسى أن تكرر هو شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" وكثيراً ما يشتد الإنسان نفعا فينال الضر أو يتقى ضرراً وفيه كل الخير :

وأن السعي فتديكدي      وأن النكن فتلايخداع

وكم ضرراً مرعاً كمر      توهم أنه ينمزع

وما دام الشأن كذلك فلا مبرر لليأس ولا داعي للقنوط .

ليأس ، رب دنو دار جامع      للشمل قلا أدى إليه بهلا

وهكذا فهو يقابل الأحداث بصبر وجلد حتى يتغلب عليها :

واصبر مستيقناً أسنه      سيخطئ بنيل الفنى من صبر

وهو في هذا الاتجاه يعبر عن النزعة الدينية التي رفع لبانها صغيراً :

والله فينا علم غيب وحسبنا      به عند جور الدهر من حكم عدل .

وإيمانه بالنتيجة المرجوة من وراء تصرفات القدار لم يدفعه إلى الكسل ، وإنما دفعه إلى العمل وحسنه على الكفاح والثقا من أنه إذا نجح فقد



نال ما يشتهي وإذا أوفق ففي إخفاقه خير مستور أو شر مدحوع.  
ولمذا اندفع إلى الفضال والكفاح واثقاً من أن قوة نفية ترعاه  
ولسدد خطاه :

ومن كان يجهل ما البليد فإنه من تطببه عن الخطوط بلاد  
وفتى الشهامة من إذا أمل سما فلات به شورك أو استبداد  
ومن غلبته العلمية أنه — على الرغم من نشأته في بيئة دينية —  
كان يستجيب لشهواته ويندفع إلى لذاته، ولعله كان واثقاً في الرحمة  
آملاً في الخزائن. وهذا نتيجة لنظرته المتفائلة في الحياة .

**آثار ابن زيدون الأدبية :** نحن نعرف أن ابن زيدون كان شاعراً  
وكاتباً ومؤرخاً وناقلاً وسياسياً. ولكن معظم آثاره عدا عظيم الزمان  
وما بقي اعتورته عوامل الاضطراب والتخريف. فرسائله الأدبية  
لم يبق منها إلا يضيح رسائل حفظتها لنا الخلافة وسرح العيون لابن نباتة  
وبرنامية الأرب للنويري. وحتى هذه الرسائل نقل إلينا بعضها ناقصاً  
كرسالته القيمة في استشفاه به أستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد، فإن  
الخلافة لم ترد منها إلا مقتطعات متفرقة وأما رسائله السياسية  
التي كتبها على السنة الملوك والأمراء فهي مفقودة تماماً. وأما آراءه —  
النفلية فلم يبق منها إلا مقتطوعة واحدة هي نقلة واحدة حفظها المقرئ  
صاحب الفتح الطيب. نحن نعلم أن ابن زيدون كان سفيراً والسفير يمشي  
إلى إلقاء بعض الخطب عند سفارته أمام الملوك والأمراء. ولكننا  
لا نجد آثاراً لهذه الخطب فيما بين أيدينا من مصادر التاريخ والآداب.  
وكذلك نحن نعلم أنه كان قوى البادرة حاضر البديهة غلب الطليق  
فكه المسامرة ولكننا لا نجد مثلاً واحداً حديث من أحاديثه العذبة  
ومسامرة الفكرة .

ولقد مرت حياته الفنية في ثلاثة أحوار. أولها كان تقليدياً محدثاً  
إمتداً إلى الثلاثين من عمره. ولم نجد من شعره في هذه الفترة إلا آثاراً قليلة.  
والحوار الثاني وهو أخصب فترة في حياته الفنية إمتداً من الثلاثين إلى الخمس.  
وفيه دبت ابن زيدون أعظم آثاره وظهرت شخصيته الفنية قوية طاغية.  
وفي هذه الفترة ذاق حلاوة الحب وأنه كان متكلماً على منصب الوزارة.  
ثم تجرع مرارة المدح وفيها ارتفع إلى أعلى المناصب ثم انحدر إلى قدرة  
السجن. وفيها نحم بالأمم والسعادة في ربوع وطنه العزيز ثم شقى  
بلوعة التشدد والبدع. وظهرت هذه الألوان جميعها في فنه.  
فملأت القلوب وبهرت العقول. وفي هذه الفترة صاغ جميع رسائله  
الباقية بين أدينا كما صاغ أبداع القصائد والمقطعات. وأما الحوار  
الثالث فقد إمتد من الخمس إلى نهاية حياته. وكان فيها شيخاً يراعى  
في إنتاجه الأدبي المقتضيات السياسية والواجبات الرسمية.  
وقد إختلفت شخصيته خلف أعباء منصبه وتوارت عاطفته وراء  
حسن صياغته التي بالغ فيها ليحوض ما ينقش فنه من حرارة الوجدان.  
لم يكن ابن زيدون الشاعر الملاحاة النواحة الذي يتكسب بالشعر  
طلباً للغنى وتصيداً للمال. وقد كان له من علو المنزلة وسعوا المكانة  
وطيب المحلة فخار النجار، وبالتالي ما هو عليه من بسطة الهيش  
مارفحه عن الخواف بشعره على اعتاب الوجباء والأثرياء. وقد اقتصر  
ملايحه على الملوك والأمراء الذين عاش في بلاطهم لا بصفتهم  
الشاعرو إنما بكونهم الوزراء والمشيرين بمر الملك وليسوس البلاد.  
يقال إن أولى قصائد المديح التي خلفها ابن زيدون هي ما زجها  
بملاح أبي الحزم بن جهور. كان في بعضهما ملتبساً لرفيع المناصب من الوزارة.  
ونحن نرى ديوانه خاضعة بأنواع من المداخل. نراه مادحاً في بلاط أبي  
الحزم لسمعوا أخلاق الممدوح وتحلية بسحة الدراك والحلم والتبصر

وحسن المعاملة والعفو عن المعتذرة والتسليم بأهذاب العدالة وفوق  
الله برعيته وغيرها من الذمائم الممتازة. ولكننا نرى إلى جانب  
آخر حينما انتقل إلى بلاط بني عباد بأشيلية فتتخير كلياً أنغام فيثار  
شعره المديح لأن بني عباد قوم يتحلون بمزايا وسجايا لا يتحل بها  
أما من ملوك الدنيا.

**من الخزل :** يستخرف هذا الفن من ديوان ابن زيدون الثلث  
تقريباً. سواء كان غزل تقليدياً في مقدمة المدايح أم غزل مستقلاً  
متموداً لذاته. وقد لا نخطئ في ترجمة ابن زيدون عن الحب الذي  
ألهب عواطفه وأثر في حياته كل التأثير. وهو ينفس في غزله عن  
حبه ويبث فيه عواطفه الحارة ويطلق لوجده العنان. وبهذا  
كان غزله يعبر تحييراً صادقا عن جذبات نفسه وومضات حسه  
ونفقات غرامه المشبوب. فاذا اخبر بلمعاء جيبه صور لنا  
هذا النهيد :

كم بات يدرى ليله الغريباً      لما إنشئ في سكره قنصياً  
تشد وحمام حليه تطرباً      همزته حلو الجنى رطيباً  
أرشف منه العيسه الشيباً

وإذا شقى بجيشه ودلاله هتف به :

أجلاً ومن أهواه في الحب عابث      وأوفى له بالعهد إذ هو ناكث  
تخلوت عن عهدى وما زالت وثاقاً      بعهدك لكن غيرتك الحوادث

وإذا يئس من وفائه وصل بجده صاحبه :

يا مستحقاً بجا شقيقه      وتتغشانا حد حبيه  
من أطاع الوشاة فينا      حتى ألحنا السلو فبيه  
المحمله إذ أرا نسي      تكذيب ما كنت تدعيه

وإذا غلبه الدخيل عاد إليه ضارعا مستغفرا .

يا بائعا دخله مني ، ولو بذلت  
رأته أحتفل ، واستطل أصبر وغراهن  
لي الحياة بدخل مني لم أبع  
دولاً أقبل ، وقل أسمع ومراطح

ويطالعنا ابن زيدون بنفحات من الخزل العذري فيقول :

لم أنس إذ باتت يداي ليلة  
ألمت بالألف منه ، ولم  
وشاحه اللاصق دون الوشاح  
أجنح إلى ما فيه بجف الجناح  
رب ظلام ليلى حباً فوقى  
فهل عدت الخفاف هناك نفس  
فليت أو جنحت إلى الجناح

ولكن هذه المعاني الخلدية الحفيفة لا تحل وخطرات شعوية عابرة .  
أما معظم غزله فحسبى ما دى فقد كان ينظر إلى امرأة نظرة الشهوة  
الحسية لا الفتحة اللاهنية . كما وصف لا حلا لياليه التي بات فيها  
كما يقول "يجب أن أفقوا الثخور ويتطفن رمان الملبور" وقل وصف  
لليلة أخرى حيث يقول :

زارني بجله هجعة ، والثريا  
فرشفت الرضاغ أغلاب رشف  
واحنما بقت جسم به جسم  
يا مالميلة تجلى دجا جها  
فتمر الومل عمرها ، ووجدى  
أن يلول القمير منها بجمدى

وفي أمثال هذه الليالي يقول :

ليالى نامت عيون الوشا  
ومالت علينا غصون الهوى  
وأيامنا ملاهيات البرود  
رفاق الدواشى حوافى الأدم  
ة عنا ، وعين الرضا لم تنم  
فأجنت ثمار المعنى من أمه

ونراه يندفع بفطرته إلى الاستمتاع بالحياة والاقبال على اللذات  
علا تلبوا لعقة في قنا ياسهره إله حين يئاس من اللقاء أو يلقى الشبهات

وحينئذ يهتف بمثل هؤلاء الأبيات :

لئن فأتني منك حظ النهر      لأكتفين بسماع الخبر  
وإن عرضت غفلة للرقيب      فحسبي تسليمة تختصر  
أحاذر أن تنلني الوشاة      وقد يستلأم الهوى بالخطر  
وأصلر مستيقناً أنه      سيخطئ بنيل المنى من مر

وتارة يخلن أنه استبدل حباً جديداً أسناه حبه القديم. ثم يرسل إلى جيبه من ينبئه أنه استبدل به خيراً منه وأنه سعيد بهذا التغيير والتبديل . و لك مجال هنا لتبج الخرائز جميعها في شعره . ومن شاء الد سقماء فخليه أن يرجع إلى شرح ديوانه .

ونراه يخلق في سماء فنون الشعر من المديح و الخوانيات والمطامير والاهلاء والاستهداء ومجالس الأندس والمناجاة والرياء وصف المناظر المنظرية المنتشرة في وطنه أو غيره . والشكوى والعتاب والغزو والاباء والشجاعة وغيرها من الفنون الشعرية فيحسن بنا أن نذكر شيئاً منها بالبيان لكي يتضح أمامنا صورة الشعرية .

نحن نعلم أن طبيعة الأندلس ساحرة خلابة وقادماً دفت من ابن زيدون إحساساً مشبوهاً وقلباً متفتحاً وموهبة مواتية . وهذه الروح شائكة عامة في ثنايا غزل ابن زيدون وحسبنا أن نشير إلى قصيدته التي كتبها إلى جيبته من الزهراء وقد استعمل ما يقوله .

إني ذكرك بالزهراء مشتاقاً      والأفق طلق ووجه الروض قد رافنا  
وللنسيم إعتلال في أمائله      كأنما رق لي فاعتل إشغافنا  
والروض عن مائة الفضى مبتسم      كما شققت عن اللغات ألحوافنا  
يوم كأيام لئالات لنا انصرفت      بتنا لها حين نام الاله سرافنا  
نكهو بما يستميل الحين من زهر      حال الندى فيه حتى مال أعناقنا  
كان أعينه إذ عانيت أرقى      بكبت لها بي وجمال اللمع رقراننا

ورد تالِق في منا حي منابته  
سرى ينافحه نيلوفر عبق  
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا  
لا سكن الله قلباً عن ذكركم  
وكم حن إلى الزهراء فمتف مثل هذا الحنين :-

أندهل إلى الزهراء أوبة نازح  
مقاصير ملئاً أشرفت جنباتها  
يمثل قرحها لي الوهم جمره  
محل إرتياح يذكروا الخلد لحيه  
ومن أروع ما صاغه في وصف قرطبة لابلنا أن نذكرها ، فهي قميدة  
مسيبة عن عشرين خمسة تدوى على مائة تشرط في الحسين إلى قرطبة  
يقول فيها

أقرطبة الغراء هل فيك مطمح ؟ وهل كبد حذى لبينك تنقح ؟  
وهل للياليك الجيدة مرحح ؟ إذا احسن مرأى فيك واليهوسمح .  
وإذا كنت الدنيا لايك مؤطاً

بهارك وضاح ولبلك منحيان  
وأرمنك تكسى حين جوك عريان  
ومسب الدمانى ظلك المتفياً

أأنسى زماناً بالحقاب مرقلاً  
ومغنى إزاء " الجفرية " أقبلاً  
ونعم محل الصبوة المتبواً

وبارب ملهى بالعقيق ومجلس  
بلحا ترعة تزهو بالحداف زرجلس  
مخيد ولكن من سنا الراح مشمش .  
إذا بدأت في كأسها تنلاً ٣

**فن الاخوانيات :** وهو عند ابن زيدون فن أصيل يكاد يساوي غزله في الرقة والروعة والجلال. وعاطفته فيه عميقة جياشه توشك أن تستحيل إلى نسيب. وهذا الفن قريب من فن الملائح ولكنه أحداق منه عاطفة وأقل مبالغة وأيسر كلفة لأنه يجري بين الأهل عشاء كما هو يتفق به مناجياً على الجدل.

أخواننا للواردين مصادر      ولا أقول إلا سئلوه آخر  
وإني لا عتاب الزمان لناظر      فقد يستقيل الجد والجد عاثر  
وتعمل عقيب الأمر مازال يثناً

ليضيق بأنواع الصيابة ملاهي      إلى كل رجب الصلار منكم منادب  
مفضل من كدائد الأسارى مذهب      ينافس منه البدر غرة كوكب  
درك أنها أبهى سناء وأمنوا

وكثيراً ما كان يرفع الكلفة بينه وبين المحتفل دد المعتمد. وهذا الفن فن الاخوانيات عند ابن زيدون يدور حول أربعة أغراض هي :

**المطارات الشعرية :** هي المراسلات الشعرية بأن يكتب الشاعر أبياتاً أو يزد عليها من قافيتها ووزنها وتتجلى فيه الرقة والحدوسية ووصف المتع والنعيم. حسناً أن نذكر منها مثلاً. وهو ما كتبته صديق ابن زيدون أبو عامر بن مسلمة من أبيات :

تباعدنا على قرب الحبور      كأننا صلدنا شدة المزار  
تطلع لي هلال الهدى بدار      وصار هلال وصلك في سرار  
وشاع شنيع وصلك لي وهجوي      فهذا كان ذلك في استتار  
أي بطل أن تتركنا عن مسبور      وأصبح مولحاً دون إصطبار

فأجابه ابن زيدون من هذه الأبيات :

هو كما وإن تناءت عنك داري      كمثل هواها في حال الحبور

رَأَيْتَكَ قَلْتِ إِنْ الْوَصْلَ مَبْدَرٌ  
وَهَلْ أُنْسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشِي  
وَسَاعَاتِي بِجَوْلِ اللَّهِ فِيهَا  
وَإِنْ بَلَكَ قَرٌّ عَنْكَ الْيَوْمَ بِسَمِي  
وَكُنْتُ عَلَى الْبَجَادِ أَجَلٌ عَلَى قَرٍّ  
مَتَى خَلَّتِ الْبُلُورُ مِنَ السَّرَارِ ؟  
كَوْشَى الْمَنْتَلِ لُحُوزَ بِالْحَنَادِ ؟  
مَدَّحِلَ الْبَطْلِ فِي حِلَاقِ الْبَهَارِ .  
خَلَّيْتُ فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَتَارِ  
لِلْحَقِّ ، فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحْتُ جَارِكًا ؟<sup>١</sup>

**الإهداء والاستهداء :** الأهداء والد استهداء كان من سجايا الأندلسيين ونرى ابن زيدون يهدى إلى أمه قاتله ويمدح صديقه بمقطوعة شعرية يصف الصداقة وسجايا المهدي والمهدي إليه . إنه أهلى إلى المعتضد تفاحاً وكتب معه .

يا من تزينت الوياسة دين ألبس ثوبها

جاءتلك جاملة الملام فخذ عليها دغيبها<sup>٢</sup>

**مجالس الأُنس :** تغلب على هذه المطارحة الرقة والحلاوة ووصف المنع والنعيم . وكثيراً ما يستلعي ابن زيدون أمه قاءه أو يقبل دعواته بهنداء المجالس ، لما يراه يلعو المعتضد إلى معاقرة الشراب :

فهب إلى اللذات فوثر راحة  
تجدهم بالنفس النفيسة للكد

ووالى بها في لؤلؤ من حبابها  
كجيلة الفتاة الرؤد في لؤلؤ العمد

وإن تدعنا للأُنس عن أريجية  
فقد يأنس العولى إذا ارتاح للحبل<sup>٣</sup>

**المناجاة :** هذا الفن عند ابن زيدون يكاد يكون أدمق بالسبب منها باباً خوانات . ومن أمثلة مناجاته قصيدته الدخالة صاغها في مناجاة صديقه أبي القاسم بن رفق<sup>٤</sup> . استهلها ابن زيدون بخذل رفيق وصف فيه حبيبه ثم إنتقل إلى وصف الدهر وكيف ما فرّق بينه وبين صديقه أبي القاسم . ثم أخذ يناجيه مناجاة تسيل رفته وغداوة . استهلها بقوله .

<sup>١</sup> له ديوانه ٥٩٠٥٨ <sup>٢</sup> أيضاً ٩١

<sup>٣</sup> أيضاً ٧٨ <sup>٤</sup> كتب التاريخ صامتة من هذا الاسم . يمكن أنه يكنى به جيسه



تجافى عن الوشاح بشطر

هز منه الصبا فقوم شطراً

وبعد أشجار ناجاه بقوله :

و ظهيري على الزمان وندري

يا أبا القاسم الذي كان ردي

أم لما خسرنا من مكر ؟

هل دخلنا زماناً من رجوع

كربا من لبس أوفان زهر ؟

أين أيامنا وأين ليال

يتخلطن في حلائق خضر

حين تخذل إلى جداول زرق

نتعالى الشبول مذهب السربال والجوفى مطارف غبر ثم فتها

بتلايه تهديداً رقيقاً لئلا يانه إذا أصر على تجاهله فسوف يقابله .

وإذا أنت لم تعجل جوابي كان هذا الكتاب بيضه عقر<sup>١</sup>

و أما حقيقة رثائه فيمكن القول على سبيل التفسير إن رثائيه لا تختلف

لبشئ عن ملأه . ونرى كثيراً ما يكرر مطامح بكاملها بنفسها من

قصيدة ليضعنها غيرها . ولهذا دلالات كثيرة نجد ها في رثاء أبي الحزم

والمحتمل وغيرهما . ومن أشهر رثائياته القصيدة التي رثاها المحتمل

لحاجة إلى ذكرها . وأما الشكوى والعتاب فيدوران في نسق واحد . نحن نعلم

أنه رجل مقبل على الحياة ينهل من لذاتها ويغمر بمسراته ما دام است

مواتيه . فإذا حالت بينه وبين لذاته الحوامل أو حلت به النكبات

جأ بالشكوى . وإذا انصلحت أحواله إنقطع عن الشكوى وعاد إلى

الانغماس في الترف والنعيم . نحن نراه يوجه شكواه وعته إلى أميره

أبي الحزم بن بهون الذي سجنه وإلى أبي حفص بن برد وإلى بكر مسلم

بن أحمد . ومع ذلك نراه شاكياً وعاتباً بالتهديداً في كثير من المواقف .

ومن شاء التفصيل فليرجع إلى ديوانه<sup>٢</sup>

وكما نقرأ أكثر غزله فيخيل إلينا لسهولة أننا نخلق

في أحواء الحباس بن الأحنف والشريف الرضى المبتون . ثم نقرأ إخوانيته

فيخيل إلينا لستوساله واغتسانه في مروب القول . ولا شك في أن

ابن زيدونا كان زعيم شعراء عصره ولنا لك قلا لقلب ببخترى المغرب

**مآثر ابن زيدون النثرية :** وقد فرغنا من ذكر شعره وآلان قد حان لنا أن نذكر مقامه ومآثره في النثر الفني. نحن نعلم بأن الأندلسيين كانوا ينظرون إلى المشاركة فكما خلقت المشاركة شيئاً تنافس الأندلسيون إليه . وقد ذكرنا بعض أمثلة ما ولا حاجة لنا إلى الإعادة . وكان النثر الفني قداماً على تطورات عديدة . وفي عهد ابن زيدون نرى ابن العميد وأضرابه بالمشرق إبتدعوا الطريقة في الكتابة . فلابد أن يوجب على انتشارها بين الشرق والمغرب . لأنها كانت تعتمد على القلام المصقول المرحح بالحبارات المنتقاة الغزير بالمقتبسات القرآنية والحديث النبوية والأشعار المشهورة والحكم المشهورة والأمثال المأثورة مع الالتزام السجج في أغلب الأعم والى فراط في المحسنات البلاغية والصور البيانية . فمما شغف الأندلسيون بهذه الطريقة فقلادوها وبرعوا فيها .

وقد جرى ابن زيدون مع طبيعة عصره . ولنا لك نرى نثره يشبه الشعر في سياقاته وموسيقاه . وقد تنبه القلماء إلى هذا فوصف ابن بسام له رسائله بأنها " بالنظم الخبيراً شبه منها بالمشهور ويقول على عبد العظيم<sup>٢</sup> " ولهم هذا المستطيع أن نصل نثره يوماً من ألوان شعره تترو فيه بعض التحرر من القوافي والأوزان . ولكنه يمتاز ببعض من المميزات الخاصة . ولكننا نرى ابن زيدون لم يلتزم السجج في جميع ما كتب ولم يبالغ في استعمال المحسنات البلاغية فسلمت آثاره من التكلف البغيض . ولكنه أفرط في الاقتباس من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف وقد بالغ في الاستشهاد بكثير من أبيات الشعرية المشهورة وليرجى بمغرب الأمثال والاستثناس

بإدراكه الماثورة . وغالى في سرد الأسماء والحوادث التاريخية مخالدة عظيمة في رسالتيه الهزلية والجدية وأولع بالجميل المتواذلة . وهذا راجع إلى وفرة ما وعته ذاكرته من أساليب الكلام وحروب العلوم والفنون ، وسنحادث عن رسالتيه بجد قليل . فلاحظ الأستاذ على عبد العظيم له الكتاب إلى طائفتين متميزتين أولاها طبقة الكتاب الباحثين الذين تنسج ثغافاتهم وتتدفق أفكارهم فيها الجون مشكلات الحياة الحامدة المحيطة بهم ناقدين وموجبين وحائذين ، وهم قليلون وبخامة في الأدب العربي القديم . ومن أشهرهم الجليلي وأبو حيان بالشرق وابن حزم بالأندلس وابن خلدون بالمغرب . فكل منهم أثره البالغ في عصره وماتلاه من عمور . والطائفة الثانية طائفة الكتاب المنشئ الذين تنصرف مواهبهم إلى إفتان وسائل التعبير وميائنة الأساليب اللفظية والمعنوية وعنايتهم بالعمور فوق عنايتهم بالأفكار . وهم كثيرون في الأدب العربي . ولست أستطيع أن نعتبر ابن زيدون من الطائفة الأولى وإنما نستطيع أن نعتله في الرعييل الأول من الطائفة الثانية وهي طائفة لها جلاها المستكور في التلوين والتصوير .

وما وصل إلينا من آثار ابن زيدون الكتابية إلا طائفة قليلة من رسائله الأدبية وسطور من كتابه في التاريخ لبني أمية بالأندلس ومقطوعة وصفية ونظرة لقلامة . وقد مناعت رسائله السياسية جميعها مع أنه قضى أكثر من عشر سنوات يشغل منصب الكاتب الأول للمعتضلا .

قبل أن نتحدث عن رسائله المشهورة يحسن بنا أن نذكر من أثره الوصفية والنقدية والتاريخية في ضوء ما كتب الأستاذ على عبد العظيم في

**النثر الوصفي :** بقيت لدينا مقطوعة وصفية صاغها ابن زيدون في تصوير ليلية لواءها في مدحبة جيبته و لآدة . ذاق فيها طعم السعادة والنعيم ، شه أبتجها بتصوير موقف مفا حنية وعناد ، ويظهر من سياق الوصف أنه مودّ موقفين متغايرين أو ليلتين مختلفتين . أو لاهما سحيلة حافلة بالمتج والذات وثأنتهما حافلة بالغيرة والغضب والملاحاة . وقد ذكرنا هذا الوصف عند حديثنا عن ترجمة ابن زيدون لاندري الحاحية إلى إعادته .

ولقد التزم الكاتب في وصفه الفقرات المسبوعة وحشد فيه ظلالاً من الاستعارات والتبنيات ورصعه بالمحسّنات البلاغية ومزج فيه بين وصف الطبيعة ووصف الجيبة . فتجلت في نثره خصائص شحرة في النسب . وتبدل في هذا الوصف من فن المقامات انداعاً انتشر بالمشرق وانتقل إلى المغرب وأخذ بالباب الكتاب والمفشرين . ويظهر من عباراتها أنه كتبها في كبره لسته ليصور فيها ذكريات عزيزة على نفسه وليسترجع بها صور الشباب كما يبداً بقوله : "كنت في أيام الشباب ..." على أننا نأخذ عليه فيما أنه تكلف كثيراً في صياغتها حتى كادت الزخارف المفلطحية تطغى على عاطفته المشبوبة وهواه الغلاب .

**النثر النفاذي :** حسبنا أن نذكر ما حفظ لنا المقرئ<sup>٢</sup> نصاً نقدياً لابن زيدون حيث يقول كتبته ولادة إلى ابن زيدون وقد حدثته على أن يبداً ما ما يبداً عليها فيه نقلاً وختمتها بقولها .  
سبقتني الشه أرمأ قلأ غلات لك منزلاً بكل سكوب ها حل الودق مخلاق

فرد عليها وكتب في أثناء كلامه بحد الشعر "كنت ربما حثتني على أن أبتعدك  
على ما أجد فيه عليك نقلاً وإني انتقلت عليك عليك قولك "سقى الله أرضاً  
قلا غدت لك منزلاً" فان ذا الرمة قلا انتقلت عليه قوله مع نقلا به الدعاء  
بالسلامة :

أد يا اسلمى يا بادارمى على البلا      ولذال منيلاً بجرعائك القطر  
مع أنه قلام الدعاء بالسلامة . وأن المستحسن قول الآخر :  
حسنى ديارك غير مفسلها      صوب الربيع وديمة تهمني هـ  
وخير الشعراء عنده ما وضحت معانيه ورقّت ألقاظه بحيث يتلفقه الخاطر  
بلا كل ولا عناء . وكذا لك ينبغى في صياغته أن تكون الألفاظ متجانسة  
متقاربة تسرى فيها روح واحدة . ومن سمات الشعر الجيد أنه ينفسد  
من السمع إلى القلب مباشرة في سياق مطرد منخود . فلهذه هي أقوال  
ابن زيدون في الفلا أدبى قلا أعرضت عن استلالاته خوفاً من  
الاطالة .

**النثر التاريخي :** نداء عيسى ابن زيدون بالتاريخ في آثاره الشعرية  
والنثرية . وقد لاحظنا أن المقري هـ ذكر بأنه ألف كتاباً جامعاً في تاريخ  
بن أمية بادئنا لس و "سماه اليقين" فقلا يمكن أن غرام ابن زيدون  
بالتاريخ وثقته بنفسه ومباراته للمشاركة حملته على أن يؤلف كتاباً  
جامعاً منافساً لكتاب المسعودي المسمى " بالتحعين" هـ فقلا مناح كتاب  
ابن زيدون في التاريخ . وليس أمامنا من مبرراته التاريخي إلا ما ذكره المقري  
من كتاب ابن زيدون إقتباسين وقد نقلهما الأستاذ علي عبد الحظية  
في كتابه .

**النص الأول :** خال المقري " وذكر ابن زيدون أن الملاحظ ألقى على قنساء

الجماعة لقرطبة يحيى بن يزيد الحمصي فأقره ديناً. ثم ولي بعده أباعمر ومهادية بن صالح الحمصي، ثم عمرو بن شراحيل ثم عبد الرحمن بن حريش، وكان جدار بن عمرو يقدح في الملكاكو وكان المداخل يرتاح لما استقر سلطانها بادئ نداء إلى أن يغدا عليه فل بيته بني مروان بها حتى يشاهدوا ما أنعم الله عليه وتظهر يده عليه، فوفا عليه من بني هشام بن عبد الملك أخوه الوليد بن مهادية وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام، هـ

**النص الثاني :** في وصف عبد الرحمن الداخل أنه كان أمهيب نفيس الحارفين بوجهه خالاً طويل القامة خفيف الجسم له منجرتان أعور أخشم - والأكشم الناحية اليسرى - وكان يلقب بصقر قريش لكونه تخرب وقطع البر والبو ذمام ملكاً قداماً ودبر وحده، هـ  
بعد الثامن في هذه السطور نلاحظ أن ابن زيدون إلترزم في كتابة تاريخه إلى يجاز مع إضمار ما يحتاج إلى الإيضاح. وهنا نستطيع أن نفر أن أسلوبه سهل وأخرج دقيق خال من السجع والمحسنات مع أن محامره ابن حيان كان يسجع في كتابة التاريخ. وابن زيدون حريص في كتابه على ذكر الصفات الجسمية وتتبع البواعث النفسية ومحاولة تحليل ما مما يجعل للكتابة قيمة عظيمة في نظر المؤرخين.

قد لا دخلنا نقره الوصف والنقاي والتاريخي، وما أحاديثه الشفوية فكتب التاريخ صامتة. نحن نعلم أن الأدب التعبيري له أهميته لأنه يمثل شخصية الأديب على فطنتها الطبيعية دون تزويق أو تهويل. فقد لا دخلنا أن ابن زيدون كان ظريفاً سريع المبادرة غلب الحدايت فلا بد أن يكون له أحاديثه الشفوية العلابة التي أسست له منزلاً بارزاً في قلب ولادة وأحدثه مكاناً شامخاً في نفوس ملوك

الطوائف حتى خفت على قلوبهم وتمكن منهم له ولكن الأسف لم يحفظ لنا المؤرخون جانباً من أحاديثه الشفوية الخلبية.

والآن قلنا أن نذكر رسائله المملوءة بالأدب وسعة الخوف وخامسة رسالتيه المشهورتين الهزلية والجدلية بترتيبها الزمني. ونحسن بنا هنا أن نذكرها بالترتيب. ثم سنأتي بها بالتفصيل.

١. الرسالة الهزلية - كتب ابن زيدون هذه الرسالة قبل سجنه على لسان ولادة إلى ابن عبدوس

٢. الرسالة الجدلية - كتبها من سجنه متوسلاً إلى ابن جهمود ليقتضه من حنته

٣. رسالته إلى استاذة أبي بكر مسلم بن أحمد بعد فراره من السجن مستشفحاً به لصلار العفو عنه.

٤. رسالته إلى العنقريين الأخطس في الشفاعة لحدائق.

٥. رسالته إلى صليقة أبي عامر بن مسلمة للرحيل إلى أشبيلية قبل نزوحه إليها.

٦. ورسالته إلى المعتضد بن عباد حاكم أشبيلية.

**الرسالة الهزلية :** إن الحديث عن الرسالة الهزلية لا يمكن في حال من الأحوال فصله عن الخوف السياسي الذي صيغت فيه. بل يمكن القول بأن كل حرف فيه يدل على ذلك الخوف، كتبها ابن زيدون على لسان ولادة إلى ابن عبدوس حينما بلغه أنه أرسل إليها امرأة لتستقبلها إليه. وقد سمع بأنهاردت وسيطة ابن عبدوس ردّاً غير مشرف. وقد استمل ابن زيدون رسالته هذه بالهدجاء المر لا ذبح في شخص مهادجوه كل النخوت القبيحة والصفات المزدولة حتى بلغ به قرار الهادوية من الديانة مجرداً إياه من كل صفات الإنسان

السوى. وقد أوسعها فيها تنكها وأشبعها سخرية.

نحن نعلم أن هناك كانت مناخسة شديدة بين ابن زيدون وابن عبدوس في التواء إلى ولد دة فزارسل ابن زيدون قصيدة عتاب مشوبة بالوعيد فلما لم تشعر هذه القصيدة ثمرتها وعلم نبال المرأة الموحدة من قبله إلى ولادة عجل بكتابة هذه الرسالة إليه فزغته كل تعزيق. ورسالته هذه ستدور حول سخرية ابن عبدوس بشأنه يظن ويدعي ما ليس فيه من صفات الكمال على لسان الرسول ثم ينحته بالمساوي والمقابح ضارباً به الأمثال ثم يزجره زجراً عنيفاً مذكراً إياه بأنه لا يصلح للادب والميام وأن غيره من الفتيان انعطاريف أليق منه بهذا المقام.

يرى الباحثون أن ابن زيدون كان متأثراً فيها برسالة التوبيخ والتلاوير التي صاغها الجاحظ في السخرية من أحمد بن عبد الوهاب الكاتب البغدادي، وأك غرض التي قصدها ابن زيدون في رسالته محدودة. ولكنه أسهب فيها إسهاباً مبالغياً ذكر الأسماء والحوادث التاريخية بمناسبة وغير مناسبة حتى جاوزت السبعين إسماً. وبعض هذه الأسماء وهمية وبعضها رمز إليه ولم يذكره. وبعضها مجهول غير معلومة. ولم يكتف به بذلك بل ألقى في رسالته من الإقتباس والتضمين. وباع في استعمال المترادفات مبالغته خرجت عن المألوف. وقد أقتلح في بعض عباراتها واندافع في هجومه فعمش جيبه مستأعيفاً بحيث أظهرها في حمولة البقي الهلوك دون مبرر لهذا الهجوم وجنى من وراء هذا الإضراف ما عنه إلى غيره وضيقها به وجاها إياه. ونجلا في بعض عبارات الرسالة غموض مثل قوله "وخصلي بين الإسد والمسمى وحرّاف وقسم وعدل وقوم وصنف الأسماء والأفعال" حتى إن نباله شارح هذه



الرسالة لم يعرف المصنوع من قوله " وصرف وقسه وعدله  
وقوم " فدلجاً إلى العلماء يستفتيهم ففسروها له تفسيراً فقهياً غير مقنع  
ونجامة لوقوعها بين إحاطة حين نحويين.

وتكن هذه الرسالة على الرغبة من هذه المآخذ تعتبر من مقامة  
الرسائل الدخالة في الأدب العربي لأن أسلوبها التكملي مشير إلى المضطد  
من جوانب عديدة

**تلخيصها** : قد استعمل ابن زيدون رسالته هذه بالهجاء المراد جمع  
في شخص مهجوه كل النحوت القبيحة والصفات المردولة حتى بلغ به  
قرار الهلالية من الدنيا - جرداً إياه من صفات الإنسان السوي.  
حتى إذا شعر بشقاء غليله منه والتكم عليه - علماً أسطورياً متعالياً  
فوق كل العصور ، إحاطة بكل علم وفن وفلسفة ، منتقلا به على لسان  
وسيطته بين أبطال الأمم وعابرة الشعوب ليخضع من أعتادهم  
ويخفض من جانبهم تدلاً له وإحتفاءً به وعندما أحس ابن زيدون  
أن خصومه غداً أضحوكة الأجيال وهو يتخير بهذه الرديئة المفضاة  
من أثواب الأبطال الحقيقيين أخذ برقبته من ذلك الشاهق ليرده  
إلى أحوال الدنيا ناعماً إياه من جديد على لسان و تددة بكل مستهجن  
من الصفات ومردول من السجاياء حتى إذا صار هو والعلم سواء.  
قارن اسمه هذه المرة بأسماء مشاهير الساقطين المردولين في التاريخ  
وبعد ذلك نراه قد وقف عند هذا الحد وإنما ظل منطلقاً في هذا  
التيار من الثورة النفسية والعواطف المستحرة التي عطلت لديه حاسة  
التبصر بمواضع الكلام . وظال برشائش لسانه شخص البجيلة التي كتب  
الرسالة على لسانها ، وأذا بها امرأة ثبقة هلولك يشبع ابن زيدون بهيم  
غرائزها على أن ابن عبدوس ليس إلا شيخاً متصانياً مجرداً من كل

طاقة جسمية. وقد ختمت هذه الرسالة بذكر بيتاً من شعر المتنبي مناسبة ما قبله. وكذلك من اذهب أكثر البلاء في مقاليج رسائلهم إمامية أمثال أديب من الشعر يتمثلون به في محنتهم ما هم فيه فيكون له مزية ظاهرة.

**العلام التي ذكرت في هذه الرسالة:** (١) امرأة الحزير (٢) يوسف عليه السلام (٣) قارون (٤) النطف (٥) كسرى (٦) قيصر (٧) الاسكندر (٨) دارا (٩) أردشير (١٠) المنحالك (١١) جديمة المدبرش (١٢) شيرين (١٣) بوران (١٤) بلقيس (١٥) مالك بن نويرة (١٦) عروة بن جعفر (١٧) كليب ابن ربيعة (١٨) حبثاس (١٩) مهمل (٢٠) السعوال (٢١) النخف (٢٢) حاتم (٢٣) زيد بن مهمل (٢٤) السليك بن السلكة (٢٥) عامر بن مالك (٢٦) قيس بن زهير (٢٧) إلياس بن محادية (٢٨) سحران بن وائل (٢٩) عمرو بن الأهتم (٣٠) هرم بن سنان (٣١) علقمة (٣٢) عامر (٣٣) عمر (٣٤) الدجاج بن يوسف الثقفي (٣٥) قتيبة (٣٦) المهلب (٣٧) هرمس (٣٨) بليئوس (٣٩) أفلاطون (٤٠) أرسططاليس (٤١) بطليموس (٤٢) لبقراط (٤٣) جالينوس (٤٤) أبو معشر (٤٥) جابر بن حيان (٤٦) الكندي (٤٧) عبد الحميد بن يحيى (٤٨) سهل بن هرون (٤٩) عمر بن بحر (٥٠) مالك بن أنس (٥١) ماني (٥٢) غيلان (٥٣) بشر بن برد (٥٤) باقر بن عمر (٥٥) هبنقة (٥٦) طويس (٥٧) القلمس (٥٨) عقيل بن علفنة (٥٩) إبنة النخس له (٦٠) همام بن مرة (٦١) مارية (٦٢) عمرو الصمصامة (٦٣) الحارث (٦٤) الحزب (٦٥) عمرو بن معاوية نرى ابن زيادون يستعمل في هذه الرسالة أقوال الخطباء والأدباء وأشعار الشعراء مثلاً استعمل مثل أكثم بن صيفي وهو "فإن الحبيب أكادب ومعرفة المرء نفسه أحب" وبيت المتنبي

« ولست بأول ذي همة » وبيت للفضل ابن الحباس بن عتبة بن أبي لهب  
« والنحل حاضرة أن عادت الحقيب » فهذا مثل يهله به من عوقب  
وقول المجنون « أهابلك إجلالاً وما بلك قدرة وشعرا مرثا القيس وقول  
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المذوق في وأشعار القنبي. وشعر حريش  
بن قحطان التميمي وبيت ومثل للمزودق وبيت لأبي العتاهية. وبيت  
لبشار بن برد والشعر أبي نواس له فقلذين إبلان يذون رسالته  
هذه بأقوال هؤلاء الشعراء والأدباء.

ويحسن بنا أن نخرج أمثالاً وردت في هذه الرسالة.

- (١) « وإنك المقول فيه كل الصيد في خوف الفراء » هذا مثل يضرب في  
وصف الشئ العربي على غيره. وأصله أن قومًا خرجوا للصيد فصاد أحدهم  
ظبيًا وآخرًا رنبًا وهو الحمار الوحشي فقال لأصحابه كل الصيد في خوف  
الفراء يعني أن جميع صيادكم يسير في جنب ما ملأته له
- (٢) « فكلمت في غير مكلم وستسمنن داورم ونفخت في غير ضرم »  
يضرب لمن يطلب شيئًا لا يتمكن منه<sup>٣</sup>
- (٣) « بل رضيت من الغنيمة بالياب » مثل يضرب لمن قنع بسلامة  
نفسه في مطلبه<sup>٤</sup>
- (٤) « خال النار ولا تعارو الغنية ولا الليفة والحررة تتجوع ولا تاكل  
بتدبيرها » هذه الأمثال تضرب لمن يختار التلف على قبج اللذات<sup>٥</sup>
- (٥) « نحن قلاح ليس منما أنت وجهه وانى قمع منهم » مثل يضرب  
لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه<sup>٦</sup>
- (٦) « وأخطأت أسنك الحصرة » هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرًا  
فيخطئه ولا يناله<sup>٧</sup>
- (٧) « وهلى يجمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة » هذا مثل يضرب  
في الدخنين السيئين يجمعان<sup>٨</sup>

١ المتوفى ٢٠٠ هـ	٢ سرح العيون	٣ أيضًا	٤ أيضًا
٥ أيضًا ٢٨٨	٦ أيضًا ٢٩٤	٧ سوح العيون ٣٠٢	٨ أيضًا ٣١٩

- (١) «ويقترون على بك إلى العدة و الموت في بيت سلولية» هذا مثل آخر في معنى الدول ه
- (٩) «ما كان أخلقك بأن تمطر بدارك و تربح بذلك على طالعك، يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه ه
- (١٠) «ولا تكن براقش الدالة على أهلها» هذا مثل يضرب لمن يحمل عملاً يرجع ضرره عليه. ه
- (١١) «عنز السوء المستشيلة لحتفها»، هذا أيضاً يضرب لمن أراد أمراً فوقع على حتمه. ه
- (١٢) «خفا أراك الد سقط بك الحشاء على سرحان» مثل يضرب لمن أراد أمراً فوقع على حتمه. ه
- (١٣) «وبك لا ينطبي أعصر» مثل يضرب للشعامة بالرجل ه
- (١٤) «إن العصا قرعت لأي الحطم» مثل يضرب لمن يندمج وينبذ على ما هو أصلح. ه
- (١٥) «وإن قلت جع حجة ولا طعن ورتب صلف تحت الراعدة» يضرب لمن يتوعد ولا يفعل ه

---

ه سرح العيون ٣٢٠ ه أيضاً ٣٢٧ ه أيضاً ٣٢٤  
ه أيضاً ٣٢٥ ه أيضاً ه أيضاً ٣٢٧  
ه أيضاً ٣٣٠

## شرح الرسالة الهزلية المشهورة وشارحها .:

إهتم كثير من الشارحين والباحثين بشرح هذه الرسالة . فجميع هؤلاء الشارحين والباحثين اتخذوا الشرح منهج الشرح والتحقيق وهو شرح ابن نباتة المسمى لسرح العيون . فلما بد لنا أن نذكر خصائص هذا الشرح وشارحها .

يقول الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم " كتاب سرح العيون من الكتب الفريدة التي جمعت من شتات الفوائد ومتشعب التراحيم والطرف والنوادر ومحفلى الشعر ومنقول الكلام ماله يجمع في كتاب ألفه ابن نباتة مشرحاً لرسالة ابن زيادون الهزلية <sup>١</sup> له يقول ابن نباتة " وكنت أعرف ببعض خزائن ومشق الوقفية أسفاراً فيها لطالب منجع ، وللأخفام الناشئة ذكرى تنفع ، فلم أتهيباً أن أعار منها كتاباً ، ولما أراجع من السنة حروفها خطاباً فقلت هذا عذراً آخر لم يكن في الحساب ، وهذا قميلاً قد تخطقت دونه الكتب فانهادات أبواب ، ولم يبق إلا صياغة لحاصل التي أبقتها نوب الدهر ، واستنباط التمثيل إذا عجز ورود البحر ، فأملت شرح هذه الرسالة عن فكر قدامس القرح ، وشرحت إذا أننى مقصود ما أطيل الشرح ، بيد أننى لم أعتد إلا على نفل خبر صريح ، ونسب قول مريح ، ولم أخل بترجمة كل مذكور من خاملة سارة ، ونادرة حارة ، وأقوال سديدة ، وأبيات مشيدة ، وفقر ما أخطأتها فطنة سعيادة ، ولم آل في اختيارها جهلاً ، ولما ازددت مع مدروف الزمان إلى الفتلاء ، هذا مع تجنب الإلتئان وتروك إلى خلال بنظائر الأشعار ، والتخفيف مما لعل المباحث لتفتسيه من العشار . <sup>٢</sup>

فهذا هو منهج شرحه النحوي أتي به في سرح العيون . ولما عجب

<sup>١</sup> سرح العيون : لابن نباتة بتحقيق كامل كيلاني ١٤

<sup>٢</sup> " " ص ١٤ - ١٥

إن مكنّا إن هذا الشرح موسوعة علمية وأدبية وتاريخية . فإن الشرح متلّاحم فيه كل ما يمكن من الشرح وأتى بتراجم مائة علم قريّا . وفتح أمام قارئه غفوة تلك الرسالة وفتح فيه الخطب والوصاية تحت تراجم الأعلام . مثلاً (١) خطبة الأحنف بن قيس له (٢) خطبة أكثم بن صيفي له (٣) خطبة الدجاج بن يوسف الثقفي له (٤) خطبة سحران واسل له (٥) خطبة المطلب بن أبي صفرة له (٦) ووصية يعقوب الكندي ولده له

وكذلك جمع رسائل الأعلام المذكورين في الرسالة مثلاً

- (١) رسالة أرسطاطاليس إلى الاسكندر له
- (٢) رسائل الجاذظ إلى ابن أبي داؤد له وإلى قليب المخربى له
- (٣) رسالة الأندلسيين فيليبس إلى أرسطاطاليس له
- (٤) رسائل الدجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الملك بن مروان له وإلى قتيبة بن مسلم له
- (٥) رسائل سهل بن هرون إلى صديق له له
- (٦) رسالة عبد الحميد الكاتب إلى هشام بن عبد الملك له
- (٧) رسالة القتيبي إلى صديق له له
- (٨) رسالة المطلب إلى الدجاج له

---

له شرح العيون ١٠٥ له أيضاً ٣٢ و ٣٣ له أيضاً ١٧٦ / ١٨١ / ١٨٣  
 له أيضاً ١٤٨ له أيضاً ١٤٨ له أيضاً ٢٣٣ له أيضاً ٦٧ / ٦٨  
 له أيضاً ٦٦ / ٦٧ له أيضاً ٢٥٥ / ٢٥٦ له أيضاً ٢٥٦ / ٢٥٥  
 له أيضاً ١٧٩ له أيضاً ١٨٥ له أيضاً ٢٣٥ / ٢٤٦  
 له أيضاً ٢٣٩ / ٢٤٠ له أيضاً ٤٢ له أيضاً ٢٠ / ٢٠٢

**ابن نباتة :** يهمن بن أُنْ من ذكر ترجمة شارح الرسالة الهزلية  
ابن نباتة باليد يجاز . عرف باسم ابن نباتة أرجعة من أعيان العربية  
وفضلائها . أولهم ابن نباتة المارقى<sup>١</sup> له خطيب احلب وثانيهم ابن  
نباتة السحلي<sup>٢</sup> شاعر سيف الدولة ببغداد . وثالثهم ابن نباتة  
المحدث شمس الدين بل مشق<sup>٣</sup> ورابعهم ابن نباتة المصري الناحي  
هو ابن آخر المذكر شمس الدين ابن نباتة . اسم ابن نباتة المصري الكامل  
جمال الدين محمد بن شمس محمد بن شرف الدين محمد بن أبي  
الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن الخطيب عبد الرحيم بن  
محمد بن إسماعيل بن نباتة المارقى الجلامي<sup>٤</sup> فمكانه من  
الأسرة الدينية التي زكا أهلها وطابت فروعها . ولذلك نراه يفتخر  
بالإنتساب إليها . هو يقول .

بآل نباتة الغرّ السّـرّة

ورثت اللفظ عن سلفي وأكرم

فهذا القهر من ذاك النبات<sup>٥</sup>

فلا عجب للفظي حين يحلو

قد ولد ابن نباتة المصري سنة ست وثمانين وست مائة . ولم يك  
يجاوز سن الحفاضة حتى توجه للدرس والتدصيل والتخذ بأسياب  
العلوم والآداب . فتلقى على أبيه علوم القرآن . وكثيراً ما كان إلى زيارة  
أعلامائه من الفضلاء منهم ابن دقيق العيد وشهاب الدين الحلوي  
وعبد العزيز الحموي وغير هؤلاء من علماء عصره . يدلون على نفائس  
الكتب ويبحثون على قراءتها وهكذا قد جرت حياة ابن نباتة بتدصيل  
العلوم والمعارف . وعاش أسعد أيام حياته في ظلال الملوك والأمراء  
وتمكن على مناصب خطيرة سياسية . ولكنه في آخر حياته ذاق مرارة  
الحيش حتى توفي سنة ٧٦١ هـ . بعد أن ملأ الدنيا تنحراً ونقراً وزهراً وعلماً .  
كتبه وأثاره كثيرة ستلج عددها إلى اثنين وثلاثين كتاباً من أراء التفصيل  
فليراجع إلى كتاب سرح العيون لجمال الدين ابن نباتة<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> المتوفى سنة ٣٧٤ هـ <sup>٢</sup> المتوفى سنة ٤٠٥ هـ <sup>٣</sup> المتوفى سنة ٧٥٠

<sup>٤</sup> سرح العيون : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦ .

<sup>٥</sup> ديوان ابن نباتة ٨١ . <sup>٦</sup> سرح العيون .

**الرسالة الجديدة :** كتب ابن زيدون هذه الرسالة في أواخر أيامه سجنه حينما يئس من استشفاع أمه قاتله المظلمين. يستعطف فيها أميره أبا الحزم بن جهور آملاً أن يشير في نفسه عوامل الحنان ويذكر أيامه بخدا ماته السابقة في تأسيس ملكه وقصائده السابقة في الإشادة بذكوره . وقد أفرغ الكاتب في هذه الرسالة جملة أودعها أقوى وسائله في التأثير وشفعها بقميدة عاطفية صارخاً مؤملاً أن تنفذ إلى قلب الأمير .

وقد رأينا رسالته السابقة كيف تسربت بثوب التهكم والتهجيه فلهذه الرسالة هي كذلك وليدة مناسبة. فمقد نهج فيها من حشلة الأسماء والأحداث والمبالغة في الاقتباس والتضمين وكثرة العتراءات فهي أوثق وشيجة بذاتية بلاعها وأفصح تعبيراً عن واقعها الفكري والنفسي. ونحن نعلم أنه ليس لديه في السجن من أدوات المعرفة سوى وسيلتي الكتابة جبر وورق. فلهذه هي من خير الأدلة على فنية الكتابة في التعبير عن المضطرب النفسي.

قد أخذ على هذه الرسالة على عبد العظيم من الأدل على الأمير بما يشبه المن عليه وهو أسلوب غير موفق في مخاطبة الحكام. وكذلك نجد فيها اتهاماً بالبدوء إلى خصوم الأمير من ملوك الطوائف المجاورين، كما أن فيها منراً خفياً من التأنيب. وإن كان هذا يموغح كله في أساليب لينة وعبارات رقيقة. وهو على تمكنه من دراسة الأحداث التاريخية وقع في بعض الأخطاء مثل قوله " وتأولت في بيعة الحقبة " ولم يتأول فيها أحداً. وقوله " وتخلفت عن المملاة في بني قريظة " وليس هذا من الذنوب . وقوله " وكتبت إلى عمر بن سعد أن يهجع بالحسين " والمكتوب

---



إليه هو الحربن يزيد التميمي لا عمر بن سعد . ولكننا نظن أن هذه  
 إلى عتراضات التي أخذها على عبد العزيم على هذه الرسالة ليست  
 كلها بصحيحة . ونظن أن ابن زيادون ما أخطأ في هذه الرسالة  
 كلها . أدلة أنه كان في حالة السجن يذوق مرارة العيش ويعمل الاضطراب  
 النفسي . وثانياً أن ابن زيادون كان مفطوئاً على الإباء وأنفته وغيرته  
 لا تجبره الخضوع والتضرع أمام أحد . ثالثاً أنه لم يقل إن التأويل  
 في بيعة العقبة قلا وقح والتخلف في بني قريظة ذنب يؤخذ عليه .  
 إنما أتى بهذه الأمثال أن يعلم الأمير وعامة الناس أنه لم يرتكب  
 أي تقصير عملاً أو ظناً . رابعاً ليس بين يديه مراجع تاريخية  
 ومثلاً عن أنه كتبها وهو في حالة نفسية سيئة .

وكذلك أعلا على عبد العزيم مميزات حيث يقول "فاننا نرى  
 الرسالة تسجد نحو الهمف قوية عنيفة تشيرون من الشجان ، وهي  
 إلى جانب عو الهمف القوية تنبض بالآفكار المنطيقته وإن كانت  
 أقيستها مقلاة من الوجدان . ولقد تنوعت معانيها وتعددت أساليبها  
 بين غيبة وخطاب ومنزب أمثال واستشهاد بمأثور ، وتردبت بين  
 الصراعة والاعتذار واليأس والرجاء والتقرب والتلجج بالابتعاد  
 في عبارات جزله منتقاة ومجان نابضة بالحياة وانتقاله  
 بين هذه المخايل انتقال طبيعي .

**تدخي من الرسالة الجديدة:** عمداً ابن زيادون إلى استلال سخائم الخضب  
 من نفس الأمير وذلك بتصوير لطيف يرمي فيه بحجب الجزيرة  
 التي دفعت إلى سجنه على كاهل الأيام ومفارقات الظروف الحسية  
 ومنطق الظروف التي من محايها الصروف .

وأحسن الشاعرة الاعتماد على رواية البيت ليمضى في طريقة مع هؤلاء  
 المحساد الذين يتعاسك تجاههم أمام زعازع تلك الممببة الحامنة  
 بكيانه . والتي يبورها لسبب وقوعها عن أميره وكأنها نعمة من  
 النعم ، محتذراً عن وقوعه في فتار وهدايا ، بأن ذلك ليس سوى  
 إمتحان عليه هو أن يصمد له . ليحرف مخبته فوائده ، لأنه  
 واثق من النتيجة . وثالثاً ابن زيدون سميت المنطق ، منطق  
 الحالة الذي هو نقطة الارتكاز لساعدي قاسون الرحمة  
 من جهة ، وسنة الرجولة والفصل من جهة ثانية ، ليحاسب  
 على أساسه ذلك القابض على مقاليد السجن بخير حق ، استناداً  
 لتلك القاعدة الصارمة التي لابد أن يتخلق بها الحاكم إن  
 أراد أن يتمم بالسجاية الإنسانية . وليستل أنه ليس له  
 ذنب بالاصل إلا فريضة مفتر وسعائية واثق وكذبة أفعال  
 واختلاق كذاب أيثه مقام . ذلك الذنب الذي ألحق به  
 إصافاً ليس له حقيقة . ويذكر على ماله من يده في خلق  
 الدولة الجمهورية ورفع شأنها ويدا بيضاء على مؤسسيها .  
 ويوجد ابن زيدون بعد ذلك للاستجماع ذات نفسه وقد  
 شاركت فيه ما حصة الأباء مخاطب أميره مهلاً بمزاياه  
 ومفارقة بلده . وينعطف راجعاً إلى المنطلق الذي افتتح به  
 رسالته تدطناً واستعطافاً وإفضاخاً عن شدة تعلقه بالأمير  
 لأن وجوده إن زایل الأمير معناه الحلام .

ويتبين لنا أن ابن زيدون قلا حشيداً في هذه الرسالة - توسلاً  
 إلى هدفه وهو الفوز بحريته - كافة طاقاته الفكرية بوصفه  
 للأحداث التاريخية وذكره شهير الشخصيات العالمية ، داعراً  
 بها في سلسلة طويلة من الأخبار والحكم والأمثال لينفذ  
 منها إلى فكرة الأميلة .

## الموازنة بين الرسالة الهزلية والجدية :

قلوا زن على عبد العظيم<sup>١</sup> هـ بين رسالتى ابن زيدون الهزلية والجدية هو يقول " قلوا زنا بيننا وبين الرسالة الهزلية وجدنا الأولى - على قصرها عن الثانية - أقل استطراداً وأقل إملاً وأمنز سجعاً، ومن الممكن أن نوازن بينهما في أرقام محبرة كما يلي .

الرسالة الهزلية	الرسالة الجدية	المشتملات
١٤٠ سطرًا	١١٦ سطرًا	علا السطور " لتمثيل الدجوم "
١٤ بيتًا	١٧ بيتًا	أبيات شعرية مستشهد بها
٦٠ إسمًا	١٤ إسمًا	أسماء تاريخية متمثل بها
٢٩ حادثة	٢٠ حادثة	حوادث تاريخية مضروبة
الأغلب الأعم	قليل غير مستكره	السبج

وهي بهذا أقرب إلى الطبع وأبعد عن التكلف ونلاحظ أن ابن زيدون استعمل فيه ما ظلالاً من التلميحات أو كسبتها حيوية طبيعية، ففيها تصريح وتلميح واستكانة ووعيد . وبهذا جمعت من الألوان والظنوء والظلال صوره أقرب إلى طبيعة الحياة الحافلة بشتى الصور والألوان . وكلتا الرسالتين تحت برداءة محارف مضرة وتصلح نواة لدراسات متنوعة ولهمذا عني بهما الشراح وأفاضوا في التحليق عليهما . وأشهر من شرح الرسالة الهزلية ابن نباتة المصري في كتاب سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون . وأشهر من شرح الرسالة الجدية صلاح الدين الصفدي في كتاب سماه تمام الفتون إلى شرح رسالة ابن زيدون .

## رسالة إلى استاذ هـ : كتب ابن زيدون رسالته هذه

إلى استأذنه أبي بكر مسلم بن أحمد حينما فر من سجنه ودجأ إلى أشبيلية  
وكن ذكريات ولحنه وجيبته أمليته على القيام بأشيلية . فراجع  
إلى فتر حلبة واختفى بها خائفاً يترقب ، راجياً من استأذنه أن يبذل  
شفا عنه لدى أبي الحزم بن جهور . ولكن هذه الرسالة لم تنل  
الشهرة التي حظرت بها الرسائلان الهزلية والجمالية . ثلثهما لفتت  
الناس بما تحويانه من محارف وفنون متنوعة . يقال إن رسالته  
هذه ألقى رسائله جميعاً من الناحية الفنية . وهي إلى هذا ألهول  
أثر منقذ ككتبه ابن زيدون عدا كتابه التاريخي . مع أنه لم تصلنا  
كاملته . وقد نفخ الكاتب فيها عنه الاستطرادات الطويلة  
المملة كما تنطص من الاستشهاد بالحوادث التاريخية التي كان  
يحشد بها كتابته لمناسبة أو غير مناسبة . وتخل من قيود السجع  
إلا في الأقل المنادر . وقد أسلم الكاتب فيها نفسه لحواله دون تحمل  
أو تكلف وصور كل ما ينبض به قلبه من أحاسيس مختلفة .

وقد بدأ ابن زيدون رسالته هذه بعجاب على استأذنه لأنه  
أشفق من إتهامه فتتميل من مشاركتة في تهمة ولأنه أصغى  
إلى من يحيب على الكاتب فراره من سجنه وأكافيه أثبات التهمة  
ثم أخذ يبرد فتره بأدلة منطقية محقولة ثم حاول أن يشير  
فيه عوالم عميقة وأحاسيس قليلة . فلأكره بأنه كان تلميذاً  
لوالده ثم يخبره أنه حل محل والده فكان له أبا واستأذا . ومن  
حمته أن يلتمس منه العطف . ثم إنتمت لإجراعات محاكمته  
خير نقداً . وعلام وثيقة تاريخية هامة عما كان سائداً من نظم  
القضاء في هذا العصر . وكيف تولف هذا النظام بالنسبة إليه .  
وكان في هذه الصورة فيلسوفاً منطقياً وعالمًا فقيهاً وكاتباً موهوباً و  
شاعراً عاطفياً . هذا أخذاً على القاصي مسالكه وسلا عليه السبل . فالحمه

---

وأظهر تعنته وعناده وكذابه وشأثره بالسُلطان .

ثم صور ما لاقاه في سجنه من عنف وسوء معاملة لا تليق بأمثاله من عليّة القوم وأخيراً يفتل ما دسه عليه الحساد وما زيعه السامون . ثم فزع إلى استأذه متوسلاً أن يتوسط له عند الأمير بشفاعة تطمئنه . وحتلنجحت هذه الوسالة في بلوغ هذا فيما المنشود وبخامسة بعد أن تضاعفت جهود استأذه مع جهود ولي العهد في استعطاف الأمير .

### رسالة ابن زيدون إلى المظفر بن الأفطس :

حفظ لنا على عبد العظيم بقية رسائله الموجزة فتألفنا من الأخيرة . صاغ ابن زيدون رسالته إلى المظفر صاحب بطليوس في فترة اعتزاله من عمله بعد أن صرفه أبو الوليد بن جهور عنه لظول إقامته عند إدريس بن حمود له . ويتضح من هذه الرسالة أنه استشفع للأحد أمداقائه عند الأمير المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس . ولكننا نراه لم يرد إليه مدياقته في هذه الرسالة . ولذلك نحن المؤرخون له أن الحادثة التي ذكرها ابن زيدون تنطبق على ابن زيدون تمام الانطباق حتى يسبق الناهن أنه جعل هذا الصديق ستاراً لنفسه حتى إذ لقي صداراً رحباً وصادفت شفاعته محلاً عند الأمير كشفت عن نفسه الستار . يمكن أن يكون هذا الرأي صحيحاً على أنه قمتل بمدياقته نفسه . نحن نجل في هذه الرسالة عاطفة قوية كأنها حالت الكاتب نفسه . كما يقول : " فتى نام جده ، واستيقظ خله ، فتكر الزمان له ، وعلرت الأيام به ، بين دباب سحابة عوت عليه ، وعقارب وشاية دبّت إليه ، وأصلى بنا حروب لم يجبها ، وأعلامته مبارك حروب إلى القبس بهما ، وآل به الأمر إلى فراق أحبته والبعد عن مستطرا رأسه ... " ٣٢

٣٢ ابن زيدون : لحن عبد العظيم ٤٢٠

٣٣ أيضاً ٣٣٤/١

٣٤ أيضاً

ويظهر أن الشفاعة نجحت عند الأمير. فقد لحق ابن زيدون وملاحه بقصيدة أخرى رفعه فيها إلى أسمى المقامات .  
ورسالتة هذه قليل الدقتباس . ولكن ما سجعة حسب فخرسته وتلحن عباراته في هذه الرسالة ناصحة مشرفة أفترب إلى الشكر منها إلى المنثر .

**رسالتة إلى صديقه عامر بن مسلمة:** كتب ابن زيدون هذه الرسالة إلى صديقه عامر بن مسلمة بعد أن أحس أن موطنه يضيق عليه .  
وقد ذاق مرارة عزله من السفارة بأبي الوليد بن جهور . توصل ليحبه على الاستحاق بخدمة المعتضد له وقد ذكرني هذه الرسالة صديقه بصديقه بما يرب لهم من مالات المودة الأكيلا التي ورثاها عن أسلافها ، فخلع عن المشاركة في الميادين الأدبية . ثم شكاه " ما تقتضيه الحظية من إظلام الخاطر ومدأ النفس ، ويجنيه طول المقام من إخلاق الديباجة وإرخاص المتر ، ثم ذكر أنه اختار المعتضد وأشره على غيره من الأمراء ، وعرض ما يستطيع أن يعتاده في خلاسته " من ودية أخدمها ونصيحة أمحضها ، وشكراً جنيه المخفض من زهراته ، وثناء أهلها إليه العطر من لفحاته ،  
والرسالة على إيجازها قوية أرسل الكاتب فيها نفسه على فطرتها فقل سجهه ونذر استشماده أو إقتباسه وهي خالصة من التكلف مليئة بالحالفة<sup>٢</sup> ويظهر أنه وجد مراده وحلفه .

**رسالتاه إلى صاحب أشبيلية:** كتب ابن زيدون هاتين الرسالتين بعد أن نجح باستشفاع صديقه أبي عامر بن مسلمة لدى المعتضد . وقلاما فيها الكاتب في التودد إلى المعتضد بن عباد ومفاوضة في الرحيل إليه من قلاطية . وقد لاحظنا أن ابن زيدون حينما يؤسس من أقامته بقراطية

وعزاه عن السفارة لدى مدينته الحميمه أبي الوليد بن جهور صاحب  
قرطبة جعل يرسل من ملوك الطوائف المجاورين. ولذلك وجه  
رسالة إلى صاحب بطليوس ورسالة إلى مدينته أبي عامر بن مسلمة  
وسيطه لدى المعتضد وقد ذكرناهما وبجداً أن نجدت وساطته  
لدى المعتضد وجه إليه مباشرة الرسالتين. فلا سلك فيما  
منهجاً سياسياً عما كسبه من خبرة لوليد في مباشرة الملوك. فاعتذر  
من أنه لم يكتب إليه مباشرة بل توسل إليه بأبي عامر بن مسلمة  
لأنه "قلما استغنت أوائل ملوك الأتباع لدخوة الملوك عن وسائط  
تهملها وتحتد أوقات الامكان بها" ويشكره في هاتين الرسالتين  
على ما فنيه لديه من حفاوة بالخلة ونعم سابغة ثم اعتذر  
عن البطائه في العودة إلى انشيليه وطلب إيداعه في العودة. ثم عاد  
إلى تسجيل ما تلقاه منه من دعود.

أما أسلوب هاتين الرسالتين فقليل السجع بعيد عن التكلف.  
وإن كانت عباراتهما جيدة السبك جزلة الرصف رقيقة العرض.  
وقد آثرنهما الإيجاز على الاستطراد. وقد نجدت هاتان  
الرسالتين في توثيق صلاته بالأمير فحاش في كنفه بفتية حياته  
متمتعاً بأكرم محل وأقوى سلطان.

**مكانته الأدبية :** نرى ابن زيدون كمحامريه مولعاً بالسجع  
ولكن إلى حد محدود. فلما تقدم به الزمن وتعرض بفنون الأدب  
وأساليب الكتاب بدأ يتخلص قليلاً قليلاً مما التزمه من  
قيود وأغلال. وقد كان بدأ حياته الكتابية مسهباً في رسائله مولعاً  
بالاستشهاد بالحوادث التاريخية إلى درجة غير مألوفة،  
مشغوفاً بالاعتباس. ولكن مع مرور الأيام أقلع عن الاستشهاد

بالحوادث التاريخية بعد رسالتيه الهزلية والجدية إلا فيما نادر . وقليل من الاقتباس والتضمين إلا فيما اقتضته المناسبات واستلاعته المواقف وتخلد من من ضرب الدمثال إلا في فقرات متباينات و أشوا لا يجاز و التركيز على المدس تطواد والتكرار . نحن نظن أن باعث اللطائف في الوسائل وغيره من التكلمات هو كان شبابيه المفتون لبهر الناس بمحاروفه الواضحة وثقافته الشاملة ، ولما برزت شخصيته واحتلت مكانتها بين الناس انطلق مع طبيعته الفنية ومواهبه الفطرية .

**مفرلته بين الكتاب :** قسمه على عبد الخطيب الكتاب إلى طبعين متميزتين . اولهما الكتاب الباحثون الذين تتسع ثقافتهم وتنشط مداركهم وتتلاق أفكارهم فيها لجون مشكلات الحياة المحيطة بهم ناقلين موجهين ويقودون المثقفين إلى أهذا ان سامية . وهم قليلون . وبخاصة في الأدب العربي القديم . ومن أشهرهم الجاحظ الذي عالج فنون الأدب والسياسة والأخلاق والدين ومنهم أبو حيان التوحيدي وابن حزم الأندلسي وابن خلدون . وهؤلاء يعنون باللمعة أكثر من عنايتهم بالصور .

وثانيهما طائفة الكتاب المنشئين الذين ينصرفون إلى اقتان وسائل التعبير وصياغة الأساليب اللفظية والمعنوية ومخاطبة آثارهم تدور حول الرساميل أو المقامات ، وهم كثيرون . ومما يشك فيه أن ابن زيدون كان من الطائفة الثانية . إنه لم يحالج مشكلات عامة .

نرجح ابن زيدون أنه كثيراً ما يضرب المثل في روعة الكتابة بالجاحظ وسهل بن هارون فيقول في قصيدته لابن رفق .



شدا في حلبة البلاغة حتى . بأن فيها عن شأ وسهل وعمرو له  
ويقول في إحدى رسائله «ولو أني أدتيت في النثر غزارة عمرو وبراعة  
سهل» له فكان ابن زيدون يتمنى بلبلوغ إلى ما كان عليه عمرو وسهل  
من المحرفة والأدب .

**تأثر ابن زيدون برسالة الجاحظ:** إن ابن زيدون قد تأثر  
باجاحظ وإن لم يبلغ مبلغه أو يقترب منه . وأكثر ما تأثر به ابن  
زيدون من آثار الجاحظ يبدو في رسالة التربيح والتلاوير التي صاغها  
في أحمد بن عبد الوهاب الكاتب البخلاء<sup>١٠</sup> إلى خلق الجاحظ في السخرية  
به . فخلق عليه صفات التكمال ثم قلّاب به من خالق فمزجه  
شدة تزيق<sup>١١</sup> . وإذا درسنا هذه الرسالة الخالدة وجدنا لها آثاراً  
في الرسالة الهزلية لابن زيدون . ومن أبرز هذه الآثار التي ابتلعها  
الجاحظ فظهر منها ما عند ابن زيدون .

كانت رسالة الجاحظ هذه تخص بالمصطلحات العلمية  
والفلسفية<sup>١٢</sup> ثم تمعن في سرد الأعلام والأحداث<sup>١٣</sup> وتوغل  
في الزمزية<sup>١٤</sup> واستخفاف<sup>١٥</sup> وتعمد إلى المبالغة في الظراء  
والإغراب فيه إلى مرتبة الاستهزاء<sup>١٦</sup>

ومن خصائص رسالة الجاحظ الاستهزاء والولع بالمتراذفات  
والميل إلى الاستقصاء والإسهاب والتنقل بين الرفق والحنف والتهويل  
والتملأ والتظاهر بالظراء والمبالغة في الاستهزاء .  
قد وازن على عبد الحليم بين رسالة الجاحظ ورسالة ابن زيدون  
قاصلاً إن رسالة الجاحظ تتميز عن رسالة ابن زيدون على أن  
رسالة الجاحظ أعمق سخرية وهي مع هذا أقل إفحاشاً وكثيراً ما  
يحتار الجاحظ فيها عن سخريته ويحملها على الفكاهة والدعابة .

له ديوان ابن زيدون ١٧٣ ٢ النادرة ٣٢٨/١  
٣ ثلاث رسائل لاجاحظ ٩ له أيضاً ٩١ ٥ ١٠١/١١٥ ١٣٤ .  
٦ أيضاً ١٢٨/١٢٩

وأعظم التهم التي يلصقها بأحمد بن عبد الوهاب هي . الجهل والقصر  
والغلظ والتقدم في السن والعجب وأما ابن زيدون فحشد النفوس  
المقبوحة مجتمعة والصقها بابن عبدوس ، فالجاذظ يصيب ولا يصيب  
وابن زيدون يرمي فيميت .

ورسالة الجاذظ تنبث عن روح فنية موهبة بالسفورية  
والنكاهة ورسالة ابن زيدون تنبث عن حملة غيظ وانداغاع إلى  
المتشفي والشماتة .

الجاذظ أجزل لفظاً وأعمق معنى وألثرتلو غاوأطول ملأ ومع  
هذا رسالته تكاد تخلو من الاقتباس والتضمين على الحس من  
رسالة ابن زيدون .

ورسالة الجاذظ مملوءة من التحليل الفلسفي والمشاكل العلمية و  
الفلسفية والمسائل الأدبية والفنية مما يدل على ذهنيته ثقافية  
شاملة عميقة منقطعة النظير ورسالة ابن زيدون تقفز بانها  
أعمق عاطفة وأعذب تنغيماً .

نجد ابن زيدون متأثراً من ابن العميد والمصادب بن عباد  
من كتاب الرسائل في المشرق أو من ابن شهيد وابن برد من كتاب  
المغرب .

وهنا نستطيع أن نفترض أن ابن زيدون قد تأثر بقول الشعراء و  
الكتاب السابقين أو المعاصرين له بالشرق والمغرب .

## شروح رسائل ابن زيدون

قد إهتم بشرح رسالتى ابن زيدون كثيرون من الشراح . فقد  
إهتم بشرح الرسالة الجلية .

(١) صلاح الدين الصفدي سمي شرحه " تمام المعون " وقد طبع بالعراق

- سنة ١٣٢٧ هـ ولكن طبعته رديئة ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية وهي مخطوطة جيدة ٤
- (٢) عميد القادر البخداي قد اختصر تمام المتن في نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ٥
- (٣) الشيخ حمزة فتح الشه استأنس بشرح المصفاي . وهذا الشرح موجز الاستطواد أدقته بكتابه المواهب الفتحية " ٣
- (٤) مصطفى عناني شرحها شرحاً موجزاً سماه إظهار المكنون من الرسالة الجلية لابن زيدون . مطبعة المعارف الأهلية بمصر سنة ١٣١٧ هـ ٦
- (٥) أبو بكر محمد عليه : أنه شرحها سنة ١١٨٨ هـ في كتاب سماه المذر المخزون في شرح رسالة ابن زيدون . وهو شرح مسهب طبعه بمطبعة المشرق سنة ١٩٢٦ م . وروى كاتبه أنه لم يطلع على شرح المصفاي وأنه إطلع على شرح الشيخ حمزة فتح الشه ٥
- (٦) جمال الدين بن نباتة المصري شارح الرسالة الهزلية مسهباً في كتاب سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وقد ذكرناه بالتفصيل . ٦
- (٧) محمد بن البنا المصري - روى صاحب كشف الظنون أنه شرحها في كتاب سماه العيون ٧
- (٨) نصر المهوريني : عقب على شرح ابن نباتة بكتاب سماه مسودة التحويلات المصرية على شرح الرسالة الزيلونية . ومنه نسخة مخطوطة . بدار الكتب المصرية . ٨

---

٤ ابن زيدون ٥٤١ ٢ أيضاً ٣ أيضاً ٤ أيضاً  
 ٥ أيضاً ٦ أيضاً ٥٤٢ ٧ أيضاً  
 ٨ أيضاً:

## من الرسالة الهزلية

أما بعد، أيها المصائب بعقله، المورط بجهله؛ البين سقطه، الفاخس  
 غلطه العاثر في ذيل اغترار لا، الا عي عن شمس زيار لا؛ المساقط سقوط  
 الذباب على الشراب، المتراففت الفراش في التشراب؛ فان العجب الكذب، ومعرفة  
 المرء نفسه اصوب<sup>١</sup>. وانك راسلتني مستهديا من صلتى ما صفت منه  
 ايدي امثالك<sup>٢</sup> متصديا من خلتي لما قرعت دونه انوف اشكالك<sup>٣</sup>،  
 مرسل خليلتك مراد لا، مستعملا عشيقتك قوار لا<sup>٤</sup>، كان بانفسك  
 انك ستفزل عنرا الى وتخلف بعد ها على<sup>٥</sup>

ولست باول زى همة رعته لما ليس بالنائل

ولا شك انرا ملتاك اذله تضمن بك<sup>٦</sup>، وملتك اذلم تغر عليا<sup>٧</sup>،

فانرا اعذرت في السفارة لك<sup>٨</sup>، وما قصرت في النياحة عنك<sup>٩</sup>، زاعمة

١- يعني ان معرفة الانسان مقداره لا حتى لا يتعدى الحوار الا صوب وهو مما لو يد قوله العجب الكذب.  
 ٢- يعني انك تتعرض من صلتى لما تخلو منه يد مرادك.  
 ٣- يعني انك تخطب من موردى ما لا يصلح له امثالك واشكالك.  
 ٤- يعني الخليفة والحيلة التي هي محل الغيرة على الرجل لا تغار على مثله حتى تمشي بينه وبين النساء.  
 ٥- يعني انك وعدت نفسك ان تترك الاتصال بهذه المرأة التي هي خليلتك وتتعرض منها بحصولي وهذا امر لا يتبع.  
 ٦- هذا البيت للمتنبي... ههنا لمطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد.

ان المروءة لفظ انت معناه ، والانسانية اسم انت جسمه وهيولاء ، قاطعة انك  
 انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على  
 بحاسن الجلال ، حتى خلت ان يوسف - عليه السلام - حاسنك فغضضت  
 منه ، وان امرأة العزيز بك انت فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض ما كنزت ، وانطف  
 عثر على فضل ما كنزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصصرعى ماشيتك ، والاسكندر قتل دار  
 في طاعتك ، وادرسير جاهد ملوك الطوائف لحرورهم عن جماعتك ، والضحاك  
 استدعى مسامتك ، وجذيمة الابريش تمنى منادمتك ، وشيرين قد نافست

كـ يعني ابغضك لانها لم تبخل بك على من تصعبه دونها .  
 هـ يعني بلغت عذرا لاجتهار لك في الصلة بيني وبينك .  
 ٩٩ يعني باراك في الحسن نأ مجلته

٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

لوران فيك، وبقيس غايرت الزيار عليك، وان مالك بن نورية انار دن لك،  
 وعروة ابن جعفر انار حل ايك، وكليب بن ربيعة انما حي المري بعزتك، وجاساً  
 انما قتله بانفتك، ومهله انما طلب ثاراه بهمتك، والسورل انما في عن  
 عهدك، والاحنف انما احتبى في بردك، وحام انما جار بوفره، ولقى الاضياف  
 ببشره، وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك، والسيد ابن السلكة انما عدا  
 على رجليك، وعامر بن مالك انما اصب الاسنة بيديك، وقيس بن زهير انما استغنى

---

٥١	راجع ترجمته في شرح العيون	٥١
٥٢	" " " " "	٥٢
٥٢	" " " " "	٥٢
٥٤	" " " " "	٥٤
٥٥	" " " " "	٥٥
٥٦	" " " " "	٥٦
٥٦	" " " " "	٥٦
٨٩	" " " " "	٨٩
٦١	" " " " "	٦١
٦٥	" " " " "	٦٥
٦٧	" " " " "	٦٧
٦٣	" " " " "	٦٣
٧٦	" " " " "	٧٦
٨٠	" " " " "	٨٠
١٣	" " " " "	١٣
٨٧	" " " " "	٨٧

بدمائك ، وياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان انما تكلم بلسانك ،  
 ٥ وعمر بن الاشم انما سحر ببيانك ، وان الصلح بين بكر وتغلب تمر بلسانك ، و  
 الحالات بين عبس وزبيان اسندت الى كفالك ، وان احياتال هرم لعاقمة  
 وعامر حتى رميا كان ذاك عن اشارتك ، وجوابه لعمر - وقد سألته عن ايهما  
 كان ينفر - وقع عن ارادتك ، وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدارك ، وقتيبة فتح  
 ما وراء النهر بسعدك ، والمهلب او هن شوكة الازارقة بايدك ، وفرق ذات بينهم  
 بكيدك ، وان هرمش اعطى بلينوس ما اخذ منك ، وافلاطون اور على  
 ١٣ ارسطاطليس ما نقل عندك ، وبطييموس سوى الاسطرلاب بيدك ، وصور

---

٩١	١٤	راجع ترجمته في شرح العيون
٩٥	١٥	" " " "
١٠١	١٦	راجع قصة الحرب
١٠٦	١٧	راجع ترجمته في شرح العيون
١٠٦	١٨	" " " "
١٠٦	١٩	" " " "
١١١	٢٠	" " " "
١٢٢	٢١	" " " "
١٢٩	٢٢	" " " "
١٣٨	٢٣	" " " "
١٤٠	٢٤	" " " "
١٤٤	٢٥	" " " "
١٤٤	٢٦	١٤٤ في شرح العيون ١٤٦ في شرح العيون ١٤٨

الكرة على قدره، ويقرا طاعله العلل والأمراض بلطف حسنه، وجالينوس<sup>ك</sup>  
عرف طبائع الحشائش بدقة حدسه، وملاهما ملده في العلاج، وسالده  
عن المزاج، واستوصفه تركيب الأعضاء، واستشاره في الداء والدواء، وإنه  
نهجت لابي معشر طريق القضاء، وظهرت جابر بن حيان<sup>ج</sup> على سرايكمياء، وأعطيت  
النظام أصلا دره به الحقائق، وجعلت للكندي<sup>س</sup> رسما استخرج به الدقائق،  
وإن صناعة اللحان اختراعده، وتاليف الأوتار والافتقار توليدده، وأبتداعده،  
وإن عبد الحميد بن يحيى<sup>ت</sup> يرى أقلامده، وسهل بن هارون<sup>ص</sup> مدون كلامده،  
وعمرق بن بحر<sup>ع</sup> مستمليده، ومالك بن انس<sup>ب</sup> مستفتيده، وإنه الذي أقام البراهين،  
ووضع القوانين، وحد الماهية، وبين الكيفية والكمية، وناظر في الجوهر والعرض،  
وميز الصحة من المرض، وفك المعنى، وفصل بين الأسم والمسمى، ومن وقسم،

---

١٥٠	١	راجع ترجمته في شرح العيون
١٥١	٢	„ „ „ „
١٥٣	٣	„ „ „ „
١٥٣	٤	„ „ „ „
١٦٩	٥	„ „ „ „
١٦٥	٦	„ „ „ „
١٦٥	٧	„ „ „ „
١٦٦	٨	راجع ترجمته في شرح العيون
١٦٦	٩	راجع ترجمته في شرح العيون



وعدل وقوم، وصنف الاسماء والافعال، ولوب الطرف والحال، وبنى واعرب،  
ونفى وتعجب، ووصل وقطع، وثنى وجمع، واظهر واختم، واستفهم واغتر واكمل و  
قيد، وارسل واسند، وبحث ونظر، وتصفح الاديان، ورجع بين مذهبي ما ف  
وعيلان، وأشار بذبح الجعد<sup>١</sup>، وقتل بشار بن برد<sup>٢</sup>، وانك لو شئت خرت  
العارات، وخالفت المعهورات<sup>٣</sup>، فاحلت البحار عذبة، واعدت السلام  
رطبة، ونقلت عذافصار امسا، وزادت في العناصر كانت خمسا، وانك  
المقول فيه: «كل الصيد في خوف الفرا»<sup>٤</sup>.

و: ليس على الله يستنكر أن يجمع العالم في واحد<sup>٥</sup>

والمعنى بقول الی تمام :

فلو صورت نفسك لم تردها على ما فيك من كرم الطباع

١- مراجع ترجمته في شرح العيون ٣٠٣

٢- " " " " ٢٠٦

٣- يعني انك لو شئت قلبت الاشياء اما قد رآه واما تسميته

٤- هذا مثال قد يم يضرب في وصف الشئ المرئي على غير

٥- هذا البيت لابي نواس من جملة ابیات يقولها في الفضل بن يحيى

والمراد بقول أبي الطيب<sup>له</sup>

ذكر الإناث لنا فكان قصيدة كنت المبدع الغزير من أبياتها

تقدمت في غير مقدم، واستسمت ذات ررم، ونفخت في غير ضرر، ولم تجد لرمح

مهزرا، ولا لشفرة محزرا، بل رضيت من الغنمة بالأياب<sup>كله</sup>، وتمنت الرجوع بخفي

حين، لا في قلت: \* لقد هان من بالت عليه الثعالب<sup>عه</sup> \*

وانشأت:

على أنها الأيام قد صرت كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب<sup>عه</sup>

ونفرت وكفرت، وعبت وسبرت، وأبدت وأعدت، وأبرقت وأمرعدت.

و: \* هميت ولم اغل وكدت وليتني \*

ولول أن للحوار ذمة، وللضيانة حرفة، لكان الجواب في قذال الدمستق، والغل

حاضرة أن عادت العقرب<sup>ته</sup> والمعقوبة ممكنة أن اصرا المذنب.

١هـ هو حبيب بن اوس بن الحرث الطائي الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة.

٢هـ التكرم: العن والمكرم؛ موضع العن يضرب مثلاً لمن يطلب شيئاً لا يتمكن منه.

٣هـ صدام مثل يضرب لمن قنع بلامه لنفسه في مطلبه.

٤هـ هذا الضف بيت لرجل من العرب يسمى غاوي بن ظالم الساعى.

٥هـ هذا البيت لأبي تمام في أبيات يرقى بها غالب بن الشعرى.

٦هـ وهو مثل يحدد به من موقب.

وهي لم تلاحظك بعين كليله عن عيونك، ملؤها جديها، حسن نرجا  
 من نوع، وكانت انما حدثك بحلاذك، وسمتك بسيماك، ولم تعرفك شهارة،  
 ولا تكلفت لك زيادة، بل صدقت من بكرها فيها نكرته عندك، ووضعت المنار  
 مواضع النقب بما نسبته اليك، ولم تكن كاذبة فيما ائذنت به عليك، فالمعدي  
 تسمح به خير من ان تراه<sup>٢٣</sup>.

هجين القذال، ارفع السبال، طوي العنق والعلالة، مفرط الحمق و  
 الغباوة، جافي الطبع، سيى الراحبة والسمع، بغيض الحميئة، سخييف الذهاب  
 والجيفة، ظاهر الرسواس، منتن الانفاس، كثير المعائب، مشهور المثالب،  
 سحلامك تسمية، وحديثك تمخمة، وبياتك نهقهة، وضحكك نهقهة،  
 ومشيائك هرولة، وغناك مسالة، وزيك زندقة، وعلمك مفارقة<sup>٢٤</sup>

- 
- ١ هذا مثل يضرب في الصدق  
 ٢ هذا مثل يضرب لمن يضع الأمور في محلها  
 ٣ هذا مثل يضرب لمن يكون خبيرة خبيرا من متطورة  
 ٤ يعني ان هذا الرؤية تسمحاعندك الاوصاف الجملة ما ان نظرت واخشبرت فانت على  
 هذا الاوصاف الذميمة

مساو لو قسمن على الغواني لما امهرن الا بالطلاق<sup>١</sup>

حتى ان باقلا من صوف بالبلاغة اذا قرن بك<sup>٢</sup>، وهبقة<sup>٣</sup> مستحق لاسم

العقل اذا اضيف اليك<sup>٤</sup>، وطوي<sup>٥</sup> يساماً ثور عنه يمن الطائر ان اقبس عليك<sup>٦</sup>، فوجودك

عدم، والاعتباط بك<sup>٧</sup> ندم، والحبيبة منك<sup>٨</sup> ظفر، والجنة معك<sup>٩</sup> سفر.

كيف رايت لو منك<sup>١٠</sup> نكر في كفاء، وضعتك<sup>١١</sup> لسرى وفاد! والى جعلت

ان الاشياء انما تنجذب الى اشكالها، والطير انما تقع على الانها! وصلا علمت<sup>١٢</sup>

ان الشرق والغرب لا يجتمعان، وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان، وقلت:

الحبيث والطيب لا يستويان، وتمثلت:

ايها المنكح الثريا سهيلاً عمره الله كيف يلتقيان<sup>١٣</sup>

له هذا البيت لابي تمام الطائي من أبيات يمجوبها الا عمنش - يعني ان صفاته لو قسمت على الغواني ومن النساء اللواتي تمسكن بأشروا بمعنى لم يعطهن الا زواج مهر غير الطلاق بعضا منهن عراحة منهن لما اكتسبن من المساوىء والقبائح.

١٢ راجع ترجمته في شرح العيون ٢٦٣

١٣ " " " " ٢٦٥

١٤ " " " " ٢٦٦

١٥ يعني كيف تكون كفوا الى على شرفي وضعتك

١٦ يعني كيف جعلت الى انما اميل الى شكلي والفي ولست من اشكال والاني

١٧ هذا البيت لعمر بن ابي ربيعة الخزرمي لقوله في الثريا بنت عبد الله

وذكرت اني علق لا يباع فيمن زاد، وطائر لا يصيد لا من اراد، وغرض لا يصيد الا

من اجار، ما احسبك الا كنت قد نهيت للتهنئة، وترشعت للترفلة. <sup>١٥</sup> ولولا ان جرح

العجماء جبار، للقيت من الكواعب مالا في يسار، <sup>١٦</sup> فما هم الا يدون ما هممت به، ولا تعرض

الا لا يسر ما تعرضت. <sup>١٧</sup>

ابن ارماء ورواية الاشعار، ويعايطك حفظ السير والافكار. <sup>١٨</sup> اما تاب

في قول الشاعر:

بنو ارماء كفؤهم ال مسبح وتنكح في اكفائها الحبطات

وهلا عشت ولم تغتر! وما اشك انك تكون وافدا البراجم. <sup>١٩</sup> او ترجع

بصحيفة المتامس، <sup>٢٠</sup> او اقل بك ما فعله عذيل بن علفة <sup>٢١</sup> بالجرهني

١٥ يعني طمعت بحصول العقد فانتظرت الهاء به .

١٦ هذا مثل معروف راجع شرح العيون ٢٧٠

١٧ يعني ما طلب يسار من مولاه وتعرض له الاوردون ما تعرضت اليه مني لاني اشرف من ذلك وانت آمل من ذلك

١٨ وهذا البيت للفرزدق

١٩ ترجمته في شرح العيون ٢٧٣

٢٠ " " " " ٢٧٧

٢١ مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع

٢٢ ترجمته المتامس وعذيل في شرح العيون ٢٧٨ - ٢٨١

حين أتالا خاطبا، فذهن استه بزيت، وإن ناله من قربة النمل.

ومتى كثر تلاقينا، وأصل ترائينا؛ فبدعوني اليك مادما ابنة الحس

إلى عبد حام من طول السواد، وقرب الرساد!

وصل فقدت الأرقامنا لك في جنب، أو عضلني صام من مرة فاقول: نروح

من عود، خير من قعود! ولعمري لو بلغت هذا المبلغ، لارتفعت، عن هذه الحطة

ولا رضيت بهذا الحطة، فالنار ولا الحار، والمنية ولا الدنية، والحرمة تجوع ولا تاكل

بشديها

تليف وفي أبناء قومي منكح وفتيان هزان الطوال الغرائقة

ما كنت لا تخطي المسك إلى الرمان، ولا امتطي الثور بعد الجران، فأنما

تسيم من لم يجد ماء، ويرعى الحيش من عدم الجميم، ويركب الصعب من لا ذلول له،

أه راجع ترجمته في شرح العيون ٦٨٦

أه هذه أمثال تضرب لمن يختار السلف على قبح الوحدة وثلة

أه يعني كيف أصر من هذا وفي قومي كثير من الكفائي

أه يعني ما كنت لأرعى الفتیان من قومي لأرغب اليك وأنت بالنسبة اليهم كالرمان إلى المسك

ولعلك إنما غررك من علمت صبوق اليه وشهدت مساعفتي له، من أقمار العصر،

وريجان مصر، الذين هم الكواكب علوهم، والرياح طيب شيم

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى<sup>١</sup>

فحق قدح ليس منها، ما أنت وهم؟ وابن تقع منهم؟ وهل أنت إلا راعهم<sup>٢</sup>

وكا لو شيطنة في العظم بينهم !

وإن كنت إنما بلغت تعرا بالبراك، وتجافيت عن بعض قوتك، وعطرت اهداك،

وجبرت هميانك، واخلفت في مشيتك، وحذفت فضول لحيتك، واصلحت شاربك،

ومططت حاجبك، ورفعت خط عذارك، واستأنفت عقد انزارك، رجا د الإكثان

فيهم، وطمعا في الاعتدال منهم، فظننت عجزا واخطأت استك<sup>٣</sup> الحفرة .

حكه والله لو كساك معرق البردني، وملتك مارية بالقرطين، وقلدك عمر والصمامة

وحملك الحارث على النعام، ما شككت يلك، ولا ستورت اباك، ولا كنت الا فاك .

١- هذا البيت من جملة أبيات مسنوبة لرجل من العرب يسمى العرندس

٢- هذا مثل يضرب لمن يطلب امرأ فيخطئه ولا يناله

٣- ترجمته في شرح العيون . ٣٠٦

وهيك ساميتهم في ذروة المجد والحسب، وماريتهم في غاية الظرف والارب،

الست تاوي الى بيت قعيدته ككاع، ان كلهم غرب خالي الدراع !

واين من الفرد به ممن لا اعذب الى على الاقل الارض منه اركم بين من

يعتمد في بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة الى، واللذة المرفقة

على وبين اخر قد نصب غديرة، ونزمت بيرة، وذهب نشاطه، ولم يبق الا ضراطه !

وحل يجتمع في فيه الاخشف وسوء الكيلة؛ ويقترن على بابك الافدة

والموت في بيت سالولية !

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

ما كان اخلفك بان تعذر، بذرعك، وتربع على ظلفك، ولا تكن برافس

الدالة على اهلها، وعز السوء المستتيرة لحفنزنا فما اراك الاستقط احسا وبك

١هـ كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المعجب للنساء

٢هـ يعني لو وصلتك لا جتمع على لسوء منظره وسوء منظره وسوء منظره وهذا مثل العرب يضرب في الخلتين السيئتين يجتمعان

٣هـ هذا مثل آخر في معنى الاول

٤هـ هذا البيت لاجل العنايه

٥هـ مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه

٦هـ هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه

٧هـ هذا ايضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه



على سرجان<sup>١</sup>، وبك لا بظبي اعقر<sup>٢</sup>، اعذرت إن اغنيت شيئاً<sup>٣</sup> واسمعت لو ناديت<sup>٤</sup> حياً

ان العاقرة<sup>٥</sup> لذى الحلد<sup>٦</sup> والشئ تحقرة<sup>٧</sup> وقد ينهى<sup>٨</sup>

وان بادرت بالندامة<sup>٩</sup>، ورجعت على نفسك بالملامة<sup>١٠</sup>، كنت قد اشتريت

العافية لك<sup>١١</sup> بالعافية منك<sup>١٢</sup>، وان قلت: «(جحجة بلا طعن)»<sup>١٣</sup> و«(رب صلف تحت الراعدة)»<sup>١٤</sup>

وانشدت<sup>١٥</sup>: لا يؤيسنك من مخدرة<sup>١٦</sup> قول تغلظه وان جرحاه<sup>١٧</sup>

فعدت لما نهيت عنه<sup>١٨</sup>، وراجعت ما استعفيت منه<sup>١٩</sup>، بعثت من يزعم بك الى الحضراء<sup>٢٠</sup>

دمعاً<sup>٢١</sup>، وليستعذك<sup>٢٢</sup> نحوها وكزا وصفها<sup>٢٣</sup>.

فاذا صرت اليها عبت<sup>٢٤</sup> اكمار وهابك<sup>٢٥</sup>، وتسلط نواظيرها عليك<sup>٢٦</sup>، فمن قرعة معوجة<sup>٢٧</sup>

تقوم في ثفالك<sup>٢٨</sup>، ومن فجلة<sup>٢٩</sup> منته يري بها تحت خصالك<sup>٣٠</sup>، ذلك بما قدمت

يلالك<sup>٣١</sup> لتذوق وبال امره<sup>٣٢</sup>، وترى ميزان قدره<sup>٣٣</sup> فمن جهلت نفسه قدرة<sup>٣٤</sup> رأى غيره منه ما لا يرى<sup>٣٥</sup>

١ مثل هو يضرب للفرس لمن اراد امراقه على رفه

٢ هو مثل يضرب للشاة بالرجل

٣ يعني بلغت الغد في نصيحتك ان قبلت مني وتركت التعرض الي واسمعتك ان كنت حياً تسمع

٤ مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو اصلح

٥ يعني ان ندمت على ما قدمت عليه وتركته وملت لنفسك ارجت لنفسك بالقطاع عنا وارقتنا مناه

٦ مثلاً ان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجمع صرة الرمح والطنى اترعد ولا تفعل فسترى ما يكون

٧ هذا البيت لبشار بن برد<sup>٣٦</sup> يعني انك ان لم تقال بتوعدى ولم تصدقه ... الا علاج عدم الاستقرار

٨ هذا بيت من شعر المتنبى . يعني من جعل قدر نفسه عرفه غيره بارتكابه لثباته التى لا ينتبه لها .

## متن الرسالة الجديدة

«كتبها ابن جرير»

يا مولاي وسيدي الذي ودا دى له ، و انتماري عليه و انتد اري به و انتد اري  
 منه ، ومن القاه الله ماضي حدة و اري زنده ،<sup>(١)</sup> الأمل ، ثابت عهد الغفلة  
 إن سألني - اعزك الله - لباس نعمائك ، وعظمتي من حاي يناسيك ،  
 و انتماتي الى برود<sup>(٢)</sup> ، إشعائك ، ولغفت لج كفت حبا لثيك وعظمت<sup>(٣)</sup>  
 عن طرف<sup>(٤)</sup> ، حمايتك ، بعد أن نظرا لامني الى ناسيبي لك وسبح  
 الا ضم ثنائك مديك<sup>(٥)</sup> ، واحسن الجاد باس نعمادي إليك . ملا غزو  
 قد ليعض بالماء شارب ، ولتلقى الة واد المستشفي به ، ولوثق الحذر  
 من ماميه ، وتكون سنة المتقي في امينية<sup>(٦)</sup> ، والحين قد يسبق به  
 المحرل<sup>(٧)</sup>

كل المصائب قد نمر على النقي      و تهون غير شمانه الحساد

واني لا تجله و اري الشايشين اثنى لربب الدهور لا تضعع<sup>(٨)</sup> ما قول

(١) الذند = الذناد ، و دى الذند هو انتد احه و خروج النار منه .

(٢) برود = بار

(٣) غفقت = حفقت ، حرف : عين

(٤) بشر الى قول المشي : اما الذي نظرا لامني الى اربي و اسمعت كلاني من به صم

(٥) نيا يومله و تيمناه .

(٦) الحين : الهلاك والجهد : الطامة

(٨) بشر الى قول ابي ذؤيب الهذلي . « و تجلذي للشايشين اربيم اني لربب الدهور - لا تضعع »

هَلْ أُنَايِدُ أَدَمًا مَاصِيًا مَآ " وَحَبِيبٌ مَغْضًى بِهِ إِعْلِيلَةٌ " (٣) وَفَشْرِي (٣) الصَّعَّةُ بِالْأَرْضِ مَآئِلَةٌ  
وَسَمْعَرِي (٤) مَرَضُهُ عَلَى النَّاسِ مُثَقَّفَةٌ وَعَبْدٌ ذَمَبٌ بِهِ سَيَّارُهُ مَذْمُوبٌ الذَّرِي يَقُولُ :

فَتَسَالِيزُ رَهْرُوا وَمَنْ يَأْكُ حَازِمًا تَلْبِيسُ أَحْيَانًا مِنْ بَرَحِهِ (٥)

هَذَا الْقَتَبُ نَدْمٌ وَمُؤَامَلَةٌ وَمَعْدَةُ الْفِتْوَةِ (٦) عَفْوَةٌ (٧) ثُمَّ تَتَجَاوَى وَمَعْدَةُ النَّبَةِ سَحَابَةٌ

صَبِيفٌ مِنْ تَلِيلٍ لَقَشَعٌ (٨) وَلَنْ يَرِيحِي مِنْ سَيَّارِي أَنْ أَلْبَأْسِيهِ (٩) أَدْتَأَخَّرَ غَيْرُ ضَمِيمٍ .

غَنَازُهُ (١٠) نَالِجُ الدَّلَالَةِ فَيَضْأِمَلُوهُمَا (١١) وَلَقَدْ السَّحَابُ مَشْبَاً أَفْلَسُجَا (١٢) وَالْفَجْءُ النَّبَا

صَادَفَ " حَبِيبًا " وَالذَّالِثُ الرَّابِ مَا أَصَابَ غَلِيظًا (١٣) وَمَعَ النَّبُوءِ غَدٌ وَلِكُلِّ أَجَلٍ لَنَابٌ لَهُ الْحَمْدُ

(١) السَّوَار : نَزَعٌ مِنَ الْحَيِّ يَلْبِسُ فِي السَّاعِدِ

(٢) الْأَكْلِيل : النَّاحِ

(٣) الْفَشْرِيُّ : السَّيْفُ

(٤) السَّمْعَرِيُّ : الرَّمَحُ

(٥) الْبَيْتُ لَا يَتِمُّ وَمَنْ يَرِيحُ مِنْ مَعْدَةِ الْحَقِّ قَوْلُ الْعَرَبِ

أَضْرَبَ وَلِيَدُ تَادِيْبَا عَلَى رَشَدٍ

وَلَا تَقْلُ مَعُ لُطْفٍ مِمَّنْ مَحْتَلَمٍ

فَوَبَّ شَقُّ بَرَأْسٍ جَرِيْعَةٍ

وَتَسَّ عَلَى شَقِّ رَأْسِ السَّيْفِ الْقَلَمِ

(٦) السَّبْرَةُ : الْحَفْوةُ

(٧) الْخَمْرَةُ : الشَّرَفُ

(٨) ثَلَّ عَرَبِيٌّ : يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعَرَبَ سَيَنْجِيهِ الْبَسْرُ لِقَوْلِهِ

(٩) سَيَّارُهُ : جَوْرُهُ أَوْ عَطَاؤُهُ

(١٠) غَنَازُهُ : خَيْرُهُ أَوْ لَنَعُهُ

(١١) نَالِجُ الدَّلَالَةِ : مَحَاطَةُ الْإِلَهِ فِي الصَّحْرِ عَلَى الْإِلَهِ الْمُحْتَلَّةِ بِالْمَاءِ

(١٢) أَفْلَسُجَا : أَكْثَرُ مَا مَاءٌ

(١٣) الْحَمِيَا : الْغَيْثُ أَوْ الْمَطَرُ

(١٤) الْغَلِيلُ : شِدَّةُ الْعَطَشِ

عَمَى اَمْتَبَالِه<sup>١١</sup> وَلَا شَبَّ عَلَيْهِ فِي اِنْعَالِه<sup>١٢</sup> « يَا نَ الْيَلُ الْفَعْلُ الَّذِي سَاءَ :

«لَعَنَ الْيَلُ الْفَعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاجِدًا، مَا فَعَالُهُ - اللَّامُ فِي سَرَرَتَ - الْوَفُ »

وَالْعَوْدُ مَا قَوْلُ :

مَا عُدَّ الذَّنْبُ الَّذِي لَهُ لِيَسْحَهُ مَقُولُ، وَالْجَعْلُ الَّذِي لَهُ يَاتٍ مِنْ رَأْيِهِ جَانِكُ وَالْتِطَاوُلُ<sup>١٣</sup>

الَّذِي لَهُ - لِيَسْتَغْفِرَهُ تَطَوَّلَ، وَالْتِطَاوُلُ الَّذِي لَهُ لِيَعْبَ بِهِ اخْتِمَالُكُ، وَلَا تَغْلُو مِنْ أَنَّ الْكُلَّ

بَرِيئًا، مَا بَيْنَ الْعَدَلِ ؟ أَوْ سُبَيْتًا، مَا بَيْنَ الْفَضْلِ ؟ »

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبًا نَحْدُكَ وَاسْحَ أَذَمَانَ لِي ذَنْبًا مَفْعَلًا أَوْ سَحَ<sup>١٤</sup>

حَنَانِيكَ<sup>١٥</sup> « قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الرَّبِّي<sup>١٦</sup> » وَنَالَنِي مَا عَسَيْتُ بِهِ وَلَقِي، رَمَا أُرَانِي إِلَّا ابْنَتْ بِالشُّجُورِ

يَلَاؤُهُ<sup>١٧</sup> مَا بَيَّتَ مَا اسْتَلْبَرْتُ، وَمَالِي لِي لَوْحٌ<sup>١٨</sup> « أَرَكَبُ نَحْنًا » نَقَلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ

لِيَصِيْفِي مِنَ الْمَاءِ » وَأَبْرَتْ يَبْنَاءُ الصَّرْحِ لِحَالِي أَطْلَعَ إِلَى الْهَ سَوْسَى رَعَلَفْتُ

١، اَمْتَبَالِه : اِنْتِصَامُهُ

٢، اِنْعَالِه : اِنْعَاظُهُ

٣، اَلْتِطَاوُلُ : اَلتَّكْبُرُ وَالتَّطَوُّلُ : اَلتَّفَضُّلُ وَالتَّوَامُلُ : اَلتَّكْلِيفُ بِاَلْإِطْلَاقِ، وَاَلْاِخْتِمَالُ : مَوْجِبُ اَلْحُلِّ

٤، اَلْبَيْتُ اَلْأَوَّلُ لِلْجَعْرِ وَاَلثَّانِي مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ . رَاجِعْ دُرِّيَّانَ ابْنَ زُرَيْبٍ صَفْحَةُ ٣٣٥

٥، حَنَانِيكَ : رَحْمَتِكَ وَمَوْجِبَتِي كُلُّهُ حَانَ .

٦، الرَّبِّي : بِمَجْزِيَةِ رَمَى اَلْفَرَسِ فِي مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ لَا يَجْلُوهُ اَلْمَاءُ مَحْضًا لِصِدِّ اَلْأَسَدِ . وَشَلَّ لِيَنْزِلَ اَللَّيْلُ يَرِي عَلَى يَأْيَةٍ .

٧، لِيَشِيرَ إِلَى اسْتِظْلَالِ اَلْجَبَسِ مِنْهُ لَاسْجُودَ لِرَأْسِ حِينَ اَمْرِهِ اَللَّهُ بِذَلِكَ اَلْخَصَاةِ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ اَللَّغْثَةُ .

٨، لِيَشِيرَ إِلَى نَصَةِ لَوْحٍ مِثْلِ اَلْهَوَانِ

٩، اَلصَّرْحُ : اَلْقَصْرُ . لِيَشِيرَ إِلَى نَصَةِ قَوْمِي

عَلَى الْعَجَلِ<sup>(١)</sup> وَأَعْتَدْتِ فِي السَّبْتِ<sup>(٢)</sup> وَتَحَايَيْتِ<sup>(٣)</sup> نَعَقْتُ<sup>(٤)</sup> وَشَرِبْتَ مِنَ الْبَحْرِ الْمَذِي  
 ابَّأَيَّ بِهِ جُيُوشَ «طَالُوتَ»<sup>(٥)</sup> وَقَذَتْ النِّيلَ بِرَسَمَةٍ<sup>(٦)</sup> وَمَا عَدَّتْ تُرَيْثًا عَلَى مَا فِي الصَّيْفَةِ<sup>(٧)</sup>  
 رَمًا وَلَتْ فِي بَيْعَةِ الْحَقْبَةِ<sup>(٨)</sup> وَنَفَرَتْ إِلَى الْعَيْرِ بِبَدْرٍ وَأَخَذَلَتْ ثُلُثَ النَّاسِ لَيَوْمٍ أُخَرٍ<sup>(٩)</sup>  
 وَنَحَلَّتْ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي مَوَظِعَةٍ<sup>(١٠)</sup> وَجِثُ بِإِخْلَافٍ<sup>(١١)</sup> عَلَى عَائِلَتِهِ الصَّدِيقَةِ  
 وَكَلَّفَتْ مِنْ إِمْرَةِ أَسَامَةَ<sup>(١٢)</sup> وَرَفَعَتْ أَنْ بَيْعَةَ الْبَلَرِ كَانَتْ نَلْنَةً وَرَوَيْتُ رُحَى  
 مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ<sup>(١٣)</sup> وَمَوَظِعُ الْأَدِيمِ<sup>(١٤)</sup> الَّذِي بَايَلَتْ بِهِ اللَّهُ عَمَلِيَّةً وَضُتِّتْ بِالْأَسْمَطِ<sup>(١٥)</sup>

١. لبشر الى علي بن اسرائيل الذي عبره
٢. لبشر الى قصه بني اسرائيل حين نهوا عن الصيد في يوم السبت فحالوا ما آمنوا منه فحق بهم العذاب
٣. تحايطت : اي تمت على المرات اصابع رفعت يدك وضربت
٤. نعت : قتلت لئلا يغفر البعير بالسيوف اي ضربت قوائم به ومولى لبشر يرددك الى ثالثة صالح
٥. لبشر الى الذئب الذي اقترنه جيش «طالوت» عليه السلام .
٦. لبشر الى قصه ارملة ملال اليمن من قبل العباسي حين ذهب لسم اللبنة معه النيلة لخصه عليها اذ بنى لبيته في صنعاء اليمن ليبيع اليها بركه اللبنة فلم يخرها بها ونحوه رجل فيها واحرقها بعض حبار اليمن
٧. لبشر الى الصفيحة التي كتبها قوريش وعلقوها في اللبنة ليعرفوا فيها شالحة النبي . وعارضة الاسد .
٨. لغض ببيعة الغنبة : مائة لا جاء والشدة ودين محبة العرب .
٩. لبشر الى طاعة «احد» حين انزل ابن سلول سر من سمه من المنافقين ورجعوا خلت الجيش .
١٠. موقع موزيفة : طائفة من اليهود
١١. لبشر الى جريمة سطج وحسان في حادثة اذ لك . وهي اتهام عائشة بنوم النبي - ثم برأها القواك ، والمظور لمجارتها والمجر اصل الانك واليهما
١٢. لبشر الى تولية النبي . اسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب الى الشام
١٣. لبشر الى راي الشيعة في ان ماي بن ابي طالب كان احبوا بالخلافة من ابي بكر وعمر وان ابا بكر قد اختلسها لنفسه اختلاساً
١٤. لبشر الى مثل ابي سبوة السلمي في بعض حروب الردة . مجيش خالد بن الوليد .

الَّذِي نُنَوِّنُ الشُّجُورَ بِهِ ، وَبَدَلْتُ لِنَظَامٍ <sup>(١)</sup>

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَبْدًا وَثِيئَةً وَخَرَّبَ عَائِي بِالْحُسَامِ الْمَسْتَقِيمِ

وَلَتَبَّتْ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ « أَنْ بَعِجَ » <sup>(٢)</sup> بِالْحُسَيْنِ « وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَمَا بَلَغَنِي مِنْ رَحْمَةِ الْحَرَّةِ » <sup>(٣)</sup>

لَيْتَ أَشْيَاخِي - بَبْدَرٍ - عَلِمُوا خَزَاءَ الْخُرُوجِ مِنْ وَفْعِ الْأَسْلِ «

وَرَحِمْتُ اللَّحْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْحَائِذَ عَائِي الثُّلِيَّةَ <sup>(٤)</sup> ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَائِي مَا يَحْتَمِلُ

أَنْ لِيَسْمَى نَكْلًا ، وَدَيْحِي - وَلَوْ عَلَى الْحَبَارِ - عِقَابًا

« وَحَسِبْتُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِبًا بِهِ لَهَ رَاحِمِينَ »

تَلَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَفِيَّةً اصْدَامًا كَمَا شِئْتَ <sup>(٥)</sup> وَمُبَاجَاءَةً بِهَ فَاسِقٍ وَكُمُ الْحَقَّارِ ذَنْ

الْمَشَاوِدِ <sup>(٦)</sup> يَلْمِئِمِ ، وَالرَّاسْتُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا ، وَالْخَوَاةَ <sup>(٧)</sup> الَّذِينَ

لَا يَتَذَكَّرُونَ أَرْبَمَا <sup>(٨)</sup> صَحِيحَاءُ السَّعَاةِ <sup>(٩)</sup> ، الَّذِي ذَكَرَهُ الْإِخْتَفَافُ بْنُ قُتَيْبٍ مَقَالَ

١، نظام : اسم امرأة انور بن الرحان بن بلم قبل على وتوفيت مكرراً لها ، ما جابها الى ما طلبت .

٢، ليشير الى قولين سير الله بن زياد على قتل الحسين ارسل عمر بن سعد لقتله والقبه ليشير الى عبيد الله بن عمر بن سعد ان يجع به الحسين

٣، رحمة الحره : ليشير ما فعله يزيد بن معاوية حين ارسل غنبة بن مسلم لمحاربة اهل الدنية واما حنها ثلثة ايام

٤، ليشير الى جمع الدجاج اللحية بالنعيق و صلبه سباله بن الذهيري وهو لحيه بالانكسار الى اللجج والشمه طوليغ الحبة

٥، الكاشح : العدو .

٦، المشاؤون : الذين كثيرا من المروصا الحية والمشاؤون : الذين كثيرا من السعي بين الناس بالنميمة .

٧، الخواة : جمع غاصر المصل

٨، الادله : الجله

٩، السعاة : الذين ليعون بين الناس بالنفار .

«مَا خَلَّفْتُ لِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ مُحَمَّدٌ إِلَّا سَهْفٌ»

«خَلَّفْتُ فَلَمَّا أَتَرْتُ لِقَوْمِكَ رَيْبَةً وَلَيْسَ - وَرَأَى اللَّهَ - فَلَمَّا رَزَمْتُ»

وَأَنَّهُ ، مَا عَشَّشْتُكَ لِحَدِّ الصُّبْحَةِ ، وَلَا انْحَدَمْتُ عَنْكَ لِحَدِّ الصَّاعِغَةِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا لَصَبْتُ لَكَ<sup>(٢)</sup> لِحَدِّ

النَّشِيعِ ، وَلَا أَرَزَعْتُ بِأَسَانِيكَ مَعَ ضَانٍ تَلَفْتُ بِهِ النِّقَمَةَ عَنْكَ وَمَعُودٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ

عَلَيْكَ . نَفِيمٌ عَنَبَ الْجَبَاءِ مَا ذِئْبِي<sup>(٣)</sup> ، وَمَاتَ الْعُقُوفُ فِي مَرَاتِي ، رَتَلْتُ الصِّيَاغَ

مِنْ وَسَائِي<sup>(٤)</sup> ؟ وَلَيْمَ ضَامَتْ مَدَارِجِي ، وَأَلَدْتُ مَطَالِي<sup>(٥)</sup> ؟ سَلَامٌ رَضِيتُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّعْلِي

بَلْ مِنْ النِّصْفَةِ بِالْإِيَابِ<sup>(٦)</sup> ؟ رِبَابٌ تَلَبَّى الْخَلْبُ<sup>(٧)</sup> ، وَفَخَرَعَانِي الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ ، وَلَطَفَنِي غَيْرُ

ذَاتِ سِوَابٍ<sup>(٨)</sup> ؟ وَمَالِكٌ لَمْ تَفْخَ مِنْ تَبَلٍ إِنْ اقْتَرَسَ ، وَتَدَلَّنِي وَلَمَّا امْتَرَقَ<sup>(٩)</sup> ؟ أَمْ كُنْتُ

لَا تَنْتَضِرُ جَوَالِحَ الْأَكْمَادِ<sup>(١٠)</sup> حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوفِ بِلَعٍ ؟ وَتَتَقَطِّعُ النَّاسَ النَّظَارَ

سَانِسُهُ فِي الْكِرَافَةِ عَلَيْكَ ، تَكُنْتُ وَمَنْ رَأَيْتِي قَدِيرُهُ خِدْمَتِكَ ، وَرَمَانِي دَسَمَ لِحَصْبِكَ

(١) الصاعغة : صاعغة الرجل خاصته الذين صغروا اليه ولجشوا بجلسه

(٢) ولا لصبْتُ لك : عاديتك .

(٣) الازمة : العجز والحزات

(٤) رضى من النسيمة بالاياب : مثل يضرب في القناعة بالسلامة

(٥) الملب : أى الضعيف

(٦) فى المثل «لوزان سوار لطنى» يشير الى ضعف المعركة وضارته والعاركة ان السوار لا تلبس الا الحره

(٧) تدلكنى ولا اترق : يشير الى قول الملقب العبرى ، دند استشهد به عثمان بن ميان فى كتابه (الى على

(٨) الاكماء : جمع كفت ومنه النداى المثل .

وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ <sup>(١)</sup> وَتَقَّتُ الْمَقَامَ الْمُحْصَرَّ عَلَى بِسَامَتِكَ ؟

أَلَسْتُ الْمَدَّالِي نَيْكَ غَرَضًا نِيْدِي هِيَ الْأُنْجَبَةُ اقْتَارَتْ مَعَ اللَّيْلِ - الْجُمَا

تَنَاءً نَيْطَكَ الرُّومُ مِنْهُ مَنَوْرًا ضَحًا وَبُجَالُ الْمَوْتَى مِنْهُ مَنَمَحًا <sup>(٢)</sup>

وَمَلَكَ لَبِيبَ الصَّبَاحِ إِلَّا بُرْدًا طَرَزَهُ لِيَغْضَايِكَ وَتَقَلَّدَتْ الْخُورَاءُ إِلَّا عِضًا أَفْصَلَتْهُ بِمَا تَرِيكَ

وَأَسْتَمَلَى الرَّبِيعُ إِلَّا تَنَاءً مَلَأَتْهُ بِحَاسِنِكَ وَبَثَّ <sup>(٣)</sup> الْمَيْسُ إِلَّا حَدِيثًا أَرَعَتْهُ

فِي حَامِدِكَ ؟ مَا لَيْزَمَ « حَلِيمَةً » لِبَثِّهِ وَإِنْ لَمْ كُنْتُ لَمْ أُنْسُ سَلِيبًا <sup>(٤)</sup> وَلَا حَلِيمَةً عَطَلًا <sup>(٥)</sup>

وَلَا دَسَقْتُكَ غَفْلًا بَلْ مَحَبَّتُ الْبُجُودِ أَرْجَا <sup>(٦)</sup> فَبَنَيْتُ . كَانَ الْقَوْلُ ذَا سَعَةٍ فَتَقَلَّتْ حَبَشُ

ذَلِكَ أَنَّ الْمَدَّالِيَّةَ النَّاصِيئَةَ <sup>(٧)</sup> وَالْوَنَ مَا لَمْ يَبَالِغْ <sup>(٨)</sup> الْمَنْصُوبَةُ لَفْظِي لِبَاسٍ وَتَحَرَّفُ

ذَلِكَ التَّلُّ الْأَمَلَى ، وَفَدَّ بَلْ وَبِي - فِيلَاوَلِي ، وَلَعَمْرِي إِنَّ صَدِيقَ الْوَرَى أَنْ أُنْجُولَ <sup>(٩)</sup> إِذَا

بِأَخْتَنِي الشَّمْسُ رُشَايَ الْمَنْزِلِ وَاصْفَحَ عَنِ الْمَطَالِجِ الَّتِي تَقَطَّحُ أَغْنَانُ الرَّحَابِ .

١- السلام : الصف ، وقد وردت قول ابن زبيرون في ص ( ١٤٤ )

٢- بَثَّ : نُشِرَ « مَا لَيْزَمَ حَلِيمَةً لِسَر » مَثَلٌ لِيُغْرِبَ فِي كُلِّ أَوْنَعَالٍ مُشْهُرٍ ، وَاصْلُهُ أَنَّ الْخَارِثَ مِنْ أَبِي شَمْرَةَ وَجْهَ جَيْشًا إِلَى التَّنْدَرُغِ مَعَ الْمَدَّالِيَّةِ فِي الْفَرَةِ الَّتِي تَمَلُّ لَهَا .

٣- السَّيْبُ : السُّلْبُ

٤- الْمَطْلُ : الْعَامِلُ

٥- الْآخِرُ : الْطَبَنُ وَالْجَبُّ : الْجَبَرُ وَتَنَادَكَ الْكَلَابُ وَالشُّطْرُ صَدَافَتِي .

٦- لِشِيرِ أَبِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَجِدَ بِرُشْدٍ حَاشِمَةً عَامِلَةً مَاصِيَةً لِقَوْلِ أَرَامِيَّةٍ

٧- لِشِيرِ إِلَى قَوْلِ مَابَسَ بْنِ الْأَصْنَفِ : « صَوْنٌ كَمَا فِي ذِبَالَةِ لُصْبٍ لَفْظِي لِلْبَاسِ وَمِنْ تَحَرُّفٍ . »

٨- فِي التَّلُّ « إِذَا لَمْ يَبَالِغْ الشَّمْسُ تَحُولُ . »



فَلَا أَسْتَوْطِنُ الْحَجَرَ ، وَلَا أَطْمِئْتُ إِلَى الْغُرُورِ ، دَيْنُ الْإِسْثَالِ الْمَصْرُوبَةِ : «خَايِرِي أُمُّ عَائِشٍ»<sup>٥</sup> ،

وَالَّتِي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ الْحَبْلَاءَ<sup>٦</sup> سِيَاءٌ<sup>٧</sup> ، وَالْمَثَلَةُ ثُلَّةٌ<sup>٨</sup> ،

رَمَنْ يَنْتَرِبَ عَنْ قُرْبِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَائِدَ تَطْلُومٍ نَحْبَرًا وَمَسْرَحًا

وَتَرْتَمَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ لَيْسَتْ بَلَكِنْ مَا أَسَاءَ النَّاسُ فِي رَأْسِ قَلْبِي<sup>٩</sup> ،

عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطْنَ لَا يُخْشَى مِرَانَةٌ ، وَالْفَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ نِيَالُهُ<sup>١٠</sup> ، وَالنَّسِيبُ لَا يُجَنَى

وَالْحِمَالُ لَا يُخْفَى ، ثُمَّ سَافِرَانُ السَّعْدِ بِالْمُلُوكِ أَبْهَى أَثَرًا ، وَلَا أَسَى خَطَرًا مِنْ أَثَرِ أَنْ غِنَى

النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتَظَرِهَا نَسَقًا<sup>١١</sup> ، مَحْهَ فَإِنَّ الْحَاضِرَ لِمَا ، الْفَارِيقَ لِبَسْمِهِمْ فَيُهِمَّا - تَبْدِيلُ مَا هُوَ

أَيْنَمَا لَدَيْهِ ، وَرَأَى مَرْحَلَةَ بَرٍّ وَحَطَّ فِي خَنَابٍ مَبْعُولٍ وَمُوحِلَةٍ فَبَلَكَ إِنْزَالٍ رَغْلُهُ وَأَنْطَهَى

حَلَقَةَ الْعَبَّيِّ عَلَى أَمَلِهِ

«وَقِيلَ لَهُ» «أَمَلًا وَسُجْلًا وَمَرْحَبًا» فَمِنْهَا نَبِيْتُ حَالِجٍ وَمَقِيلٌ

غَيْرَانِ الْوَطْنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمُنْشَأُ بِالْوَفْ ، وَاللَّبِيبُ يَجِيءُ إِلَى وَطْنِهِ ، خَلِيقُ النَّجِيبِ<sup>١٢</sup> ، إِلَى عَطْنِهِ<sup>١٣</sup> ،

١، خاوي أم عايش : مثل لغريب أن موت الدنيا فطباتها ولم تمنحه بعفته أن يميل إليها ولا يغتر بها .

٢، الحبلاء : المفرداء عن الوطن

٣، السباء : الأسر

٤، والثلثة : النكال

٥، كَلْبَب : الجبل

٦، النزال : المارئة

٧، المنى : ما كان على نظام واحد

٨، الذيب : الدخيل الكليل من الأبل

٩، العطن : سرك الأمل حول الماء

وَاللَّيْلُ لَا يَجْفُو أَرْضًا نَبْهًا تَوَابِلُهُ <sup>(١)</sup> زَلَّ يَنْسَى لَبْدًا فِيهَا سِرَافِيحُهُ تَالِ الْأَذَلُ

أحب يلازم الله ما بين سجع ، إلى رسلتي . ان ليصوب سحابة بها

يبدؤ بها حل الشبَابُ ثَمَانِي <sup>(٢)</sup> دَاوَلُ أَرْضٍ مَسَّنْ جِلْدِي تَوَابِلُهُ

هذا إلى مخالفتي لحقه جَوَارِكُ ، وَنَا نَسْنِي لِحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ ، وَاعْتِقَادِي ان الطَّمَحَ فِي عَيْدِكَ .

لَمُخَ ، وَالتَّبَيُّ - مِنْ سَوَالِكُ - مَعْنَا ، وَالتَّبَلُّ ذَلِكَ الْمَوَدَّ وَالْحَوْضُ لَفَاذُ <sup>(٣)</sup>

« دَاوَلْتُ إِلَى اسِيرِي زَادَنِي خَنَابِي - نَلْهِي إِلَى الْأَسْوَادِ »

وَمَلَّ الصَّبْرُ فِي جِوْفِ الْفَرَادِ <sup>(٤)</sup> وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ وَاسْتَمَجَبَ الْمَرْخُ وَالْحَفَارُ <sup>(٥)</sup> فَجَا هَذِهِ الْبَرَادَةُ

مَنْ يَتَذَلَّكَ ، وَالْمِيلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ وَفَلَا كَانَ مَوَالِكُ نَيْمَنْ مَعَوَاهُ نَيْكَ وَخَالَكَ لِيْنِي نِيَاهُ لَكَ :

يَا سَتَّ يَحْزَنُ عَلَيْنَا أَنْ لَفَاءَ قَهْمٍ وَنَبْدَانَا كُلُّ شَيْءٍ لِحْدَكَ عَدَمٌ »

اعْيُذْكَ وَلِنَفْسٍ مِنْ اَلْأَشْيِيمِ <sup>(٦)</sup> خُلْبًا <sup>(٧)</sup> وَاسْتَمَطَّرَ حَبَامًا <sup>(٨)</sup> وَالْكَرْمَ <sup>(٩)</sup> وَغَيْرَ مَكْلَمٍ ، وَاشْكُرُوا شُكْرًا

١- التَّوَابِلُ : جمع قاطبة وصلى التي تنلفى الولود عند مجروحه

٢- وفي رواية : « مَعَى الْبَابِ » وفي أخرى : « شَقُّ الشَّبَابِ » وفي رواية اللسان « فَبَطَّنَ عَلَى ثَمَانِي » والثَّامُ ثَمَانِي لَطْفًا لِيُشِيرَ

٣- لَفَاءٌ : خَسْفٌ

٤- مَلَّ الصَّبْرُ فِي جِوْفِ الْفَرَادِ : انظر ص ١٢

٥- الْمَرْخُ وَالْحَفَارُ : لَوْحَانِ مِنَ الشَّجَرِ سَرْدَا الْوَلَدُادِ وَفَرِيبٍ مِنْ هَذَا

٦- أَشْيِيمٌ : الرُّقْبُ السَّوَابُ لَوْرِي أَيْ يَمُودُ

٧- الْخُلْبُ : الْبَرْقُ الَّذِي لَا يَصْبِيهِ غَيْفٌ

٨- الْحَبَامُ : السَّوَابُ الَّذِي لَا مَادَنِيهِ

٩- الْكَرْمُ : الْعَمَلُ وَالْمَلُ الْعَرَبِي « كَرَمْتُ فِي غَيْرِ مَكْلَمٍ » وهو ليفرب لمن يورث الشيء من غير أصله .

الجريح الى العقبان<sup>(١)</sup> ، والترخم ، فما البست<sup>(٢)</sup> لك ، ولا لغيرك ، وما حركت لك الحوار<sup>(٣)</sup> ، ولا لغيرك<sup>(٤)</sup> ،  
وما تمججت<sup>(٥)</sup> إلا لنام<sup>(٦)</sup> ، وما سريت<sup>(٧)</sup> اليك إلا لجمعة المشري<sup>(٨)</sup> ، لديك رائت<sup>(٩)</sup> ان سسيت<sup>(١٠)</sup> ،  
عقد اسرى قيسر<sup>(١١)</sup> ، متى اعذرت<sup>(١٢)</sup> في نك اسرى لم يتحذر ويملك سيط بان المحرمات<sup>(١٣)</sup>  
نصره النعمة ، ونشاعة زكاة الروضة ، وفصل الجاه - كعوديه - صدقة<sup>(١٤)</sup>  
« اذا اسرر احدى اليك صنعة من حاسه فكانها من ماله<sup>(١٥)</sup> »  
لعلنا اليك العصا نيك<sup>(١٦)</sup> ، ولستفريج النوى في فلاك<sup>(١٧)</sup> ، ما سالف النارب باريت ولاحتمال<sup>(١٨)</sup>  
على من سبكت فلا اوجه للحاسد مجال لحظ<sup>(١٩)</sup> ، ولا أدع للمقارح ساءة لفتة وللتة<sup>(٢٠)</sup>  
لبشرك من اهلاد بنيه الطلبة<sup>(٢١)</sup> ، واشكائي<sup>(٢٢)</sup> من نعمة الشكوى ، لضيعة تصيب منها<sup>(٢٣)</sup>  
كان المصنع - ولستفريجها اخف مستردع<sup>(٢٤)</sup> ، كسبها انت خليف له ، وأنا نيك حيرى به<sup>(٢٥)</sup>  
وذلك بنيه وصين عليه

١، ليشير الى قول السبي : ولا تشك الى نوم تشبه شكوى الجرح الى العقبان الرخم «

٢، البست : رفعت من الرنق

٣، الحوار : والمرئاة

٤، ليشير الى قول ليشاء من برد

٥، ليشير الى اثل الشهرة : « عند الصباح الغوم السرى » ليشير الى قرب الفرج لجد المصنق .

٦، سسيت : ليرت وسهلت

٧، اعذرت : طلبت العذر

٨، زالك : كنتك وطلاك

٩، الطلبة : المطلوب

١٠، اشكائي : ازاله شلوى

١١، البست الى نام

١٢، لحظ : نظر

ولما نزلت عند هذا النثر، والسنن زررة، ثم عطف ملوؤه، وحذر ذلك حيلته عاقبة  
النظم مباحياً، بل كاتبة مدحياً، حين اشفق ان يستعطفك استعطافه، وميل بميل  
الطامة<sup>(١)</sup> فاستعن العائدة<sup>(٢)</sup> منه واعدت بالفائدة له، فما زال بسنلة الذهن العليل  
والخالو الكليل حتى زنت إليك عروساً تجرئة، في التوايما سفينة<sup>(٣)</sup> يحلبها ملاها<sup>(٤)</sup>

الهوى في طلوع تلك النجوم والى في صوب ذاك النسيم<sup>(٥)</sup>

سرتنا عيشنا الرقيق العواشي لو بدوم السرو المستديم

دعنا ما التقى الى ان تقضى زمن ما زياطة بالذميم

اذ ختام الرضا المرسى سك مزاج الوصال من تسنيم

ونلجئ الدلال غصن العسيرة لشوان من سلام النسيم

طالما نأثرا الهوى - منه نثر - لعل مجرة جية التميم

ايها الموزن بطلو الليالي ليس كروي لواجب من تلوام

تعمد الافق - ان تأملت - الشمس مما يكسنان دوت النجم

وصو المرسلين نيفك ننجو بالصاب العظيم - نحو العظيم

١، الطامة : بئره وجره

٢، العائدة : الجبل ارضي

٣، منسوخة : منوعة على المنفعة ليلة الزمان

٤، الاب : الزعفران

٥، انظر شرح هذه القصيدة في « ص » ٥٠ « من هذا الدليلان

لَبَّ اللَّهُ «جَهْرًا» شَرَفَ الشُّرُوكِ      دُرِّي الثَّرْوِ وَاللَّابِ الصَّمِيمِ  
وَاحِدُ سَلَفِ الْجَمِيعِ لَهُ الْأَسْرُ      فَكَانَ الْخُصُومُ رَفَقَ الْعُمْدِ  
تَلَدَ الْخَمْرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ      وَالتَّقَى حَاجِلَ بَعْلِهِ الْحَلِيمِ  
خَطَرُ يَفْتِي الْكَمَالِ بِنُورِ      خَلَقَ بَارِعٍ وَخَلَقَ دَسَائِمِ  
أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: مَا أَنَا أَشَلُّو      وَالْعَمَابِدَةُ قَرَعِيهَا لِلْحَلِيمِ  
مَا عَنَانَا أَنْ يَأْتِيَ السَّالِقُ الْمُرُ      لَبَّ فِي الْحَقِّ مِنْهُ وَالتَّطْوِيمِ  
وَلِجَاءِ الْحَمَامِ - فِي الْحَقِّ - يَتِي      مِنْهُ لَعِبَ الْمُنَادِ وَالتَّصْمِيمِ  
اَفْضَرُ شَيْئُ خُصَامِنِ الْأَيَّ      كَرِي نَاسِكَ مِنْ عَذَابِ الْبَرِ  
وَمَعْنَى - مِنَ الْقَتْلِ - بِهِنَاتِ      لَكَاتِ بِالْكَوْمِ قَرُوحَ الْكَلَامِ  
سَفَهٌ لَا أَمَادَ فِيهِ فِي الْحَا      بَدِ الشَّيْءِ يَفِي بِبِرِّ السَّقِيمِ  
نَا لِعَبِي سَرَى - إِلَى خَبَةِ الْأَرْضِ -      لَظَامَاءَ نَاصَبَتُ كَالْمُتَرَدِّمِ  
بِالْيَاسِ - أَنْ تَشَأْ - تَأْتُ بَرْدًا      وَسَلَامًا لَنَا - أَبْرَاصِهِ  
لِلشَّيْءِ الشَّادُ ، وَالْحَمْدُ فِي سَو      بِالْحَيَا - الْمَرَا حِ - لَلشَّيْءِ  
وَزَعِيمٌ مَابَنُ نَيْلٍ - فِي الصَّعْبِ -      تَأَلَّى إِلَى الْجَمَامِ الْمَذْمُومِ  
وَدَاذ - لِيخِرَ الدَّمَرُ مَا شَأْ      وَ - وَيَبْقَى لِفَاءِ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
وَسَاءَ أَرْسَلَتْهُ سَلْوَةُ الظَّ      عَنِ عَيْنِ شَوْقِهِ - دَلْهُوَ الْمُتَعِيمِ

نحو رِيَانَةِ الْجَلِيسِ - وَلَا نَحَرَ      وَنَبِهَ رَا حَمَاسِ النَّزِيلِ

لَمْ يَزَلْ نَفِيًّا - عَلَى مَعْوَةِ الْحَبَا      نِي - سَيِّحًا إِلَى اعْتِزَالِ الْكَرْبِ

وَمَتَى تَبَدُّ الصَّنِيعَةِ لِرُؤُوسِ      تَقَامُ الْخِصَالِ بِالتَّنْمِيمِ

وَمَا لَ الْأَخْفَافِ بْنِ تَمَسِّ :

« لَسَ دَعْوَى لِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ      رَجَزٌ مِنْ حَادِثٍ وَفَدْلِهِ

لَيْسَ يَسْتَنْكِرُ الْخَوَلُ لِيَتَأَيَّ      جَسَارَى سُبَايَ لِقَدَبِ شَوْمِ »

مَا كَلِمَا - اَعَزَّكَ اَللهُ - يَبْسُطُهَا اِلَاسَى وَيَقْتَصِرُهَا الْخَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ، وَحُرْمَةُ الْاِزْجَارِ

زَهَبَ ذَنْبًا لِحُرْمَةٍ ، وَاشْتَفَعَ لِعِمَّةٍ يَنْعَمُ ، لِيَتَأَيَّ ذَكَ الْاِحْسَانِ مِنْ جِرْحَانِيهِ وَتُسُكِّ

إِلَى الْفُضْلِ مِنْ لُحْمَانِيهِ ، اِنْ شَاءَ اَللهُ تَعَالَى

## متن رسالته إلى المظفر

وكتب الحالمظفر سيف الدولة أبي بكر بن الانطس، صاحب بطليس، وضمنها

قصيدة أدلها : لبيض الطلي ، ولسود اللعم لبعقلها - مدين غنى - لعم »

لَمَّا لَيْسَ الْحَاجِبُ - الْحَزَّةُ الْتَمَّ - رَدَاءُ الْجَدِّ حَمَاءُ وَحَمَلُ لِيَوَاءُ الْحَمْرِ مَعْنَاءُ ، نَاسْتِظَاءُ بَارِقُ  
فَخِرِهِ ، وَاسْتِظَاءُ نَاطِحُ ذِكْرِهِ وَشُرُجُوتُ حَاسِنُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَآثِرُهُ سَيْرُ  
لِبَلِّ كَانَ ، يَا سَوْغَ مِنْ كَرَمِهِ وَأَسْبَغَ مِنْ لُغَمِهِ وَوَلَّحَا - بِلَامِلِينَ - مِنْ النَّاسِ  
وَصَرَّ - إِلَى الرَّائِغِينَ - مِنْ أَمْطَانِهِ ، وَفَرَّغْتُ أَحْبَبَةَ الْأَعْوَادِ إِلَيْهِ وَاعْتَرَتْ حَوَائِجُ  
الْأَمَالِ إِلَيْهِ وَكَثُرَ التَّخَانُ عَلَى لَفِيؤُ ظِلِّهِ - وَالنَّاسُ فِي الْأَعْيَالِ بِجَبَلِهِ ، وَكُلُّ سَنَفَةٍ

١. كان المظفر من اعظم ملوك الطوائف . وكان احسن الناس - كالبقرلون - على جميع علوم الادب ولذا ورد الاخبار و  
عبود التاريخ ، وقد الف كتابا كبيرا - في الادب في عشرة اجزاء ضخمة ، وتدعى «بطليس» بعد موت اليه  
«عبد المدين مسلمة» العروث بابن الانطس وقد استبد (الامير المدين) فصار بالملك سنة ٤٣١ هـ - بعد سنة  
بني اميه بالندلس - فلما مات اعتبه ابنه «البركبر المظفر» وغازمه وبنيه ثمانية ، وما زال يراحمهم حتى سنة ٤٤٦ هـ  
وخلفه عليها ابنه التوكل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ وقد كان ابن عباد يغريه بقتله -  
فيما يقرلون - وكان للتوكل ترم راسه في ضامة النظم والنثر مع شعاعة بفرطة ومروسية تارة  
وقد رشاه ابن مبروك لقصيدة المشهور وصي استهلها بقوله  
الدمر لينج - بعد الحين - بالشر  
نما البكاد على الاشباح والصور  
راجع نصيدة في ذرأته .

جَهْدَهُ وَتُرْسِلُ عَلَى حَسَبِ مَا يَنْهَى، وَلَا تَعْرِضُ أَنْ يَسْتَمُطِرَ الْخَمَامُ، وَيَكْثُرَ فِي الْمَشْرِبِ  
الْحَذَبِ - الرَّحَامُ <sup>(١)</sup> وَمَا نِلْتُ - الْبَقَى إِلَهُ الْحَاجِبِ - اتْلَقَى مِنْ سَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ،  
وَلِيَقْرَعَ سَمْعِي بِأَثَرِهِ الْمَأْثُورَةِ، وَمَا عَوَّضَنِي مِنْ لَبُوغِ الْإِنْسِ، وَاشْتَهَى مِنْ اخْتِلَاسِ الْقَبْلِ  
وَأَخْضَ مِنْ جَنِّي الزَّمَرِ، وَمَا عَوَّضَنِي مِنْ لَسِيمِ السَّحَرِ، حَتَّى الْقَادَتْ لِنَفْسِي فِي زَمَامِ  
التَّامِيلِ وَالْمُودَةِ، وَمَا زَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظِّ بْنِ الْأَعْيَلَةِ، وَالْمَازِجِ، وَلَنَظَرْتُ إِلَى مَا رَوَيْتُ  
ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْجُودِ الْمَالِحَةِ، وَاسْتَدَارَ التَّائِي الْعَرْضُ، فَخَضَعْتُ طُورَ الْخَيْبَةِ،  
وَلَحُوتُ لَشَمَاعِ الْيَاسِ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْنِيِّ، إِلَى أَنْ تَدْبِي الْأَدِيبُ «الْبَرْهَانُ» إِلَى نَحَائِطِهِ  
وَحَرَضَنِي عَلَى مَا تَبَيَّنَ، وَتَبَيَّنَ، عَلَى مَا فِي التَّشَامُلِ - مِنْ مَدْخَلَتِهِ - مِنَ التَّصْيِغِ الصَّرِيحِ  
وَالْتَنْصِيرِ الْبَيِّنِ الصَّحِيحِ، إِذْ هُوَ اشْتَرَى عَلَيَّ غَوْلِي فِيهِ، وَالْفُسُ زُحُولُوسَ فِيهِ، فَطَرَبْتُ - إِلَى -  
ذَلِكَ - كَمَا حَرَبَ الشَّوَانُ مَالَتِ بِهِ الزَّمَرُ، وَاسْتَرْزْتُ كَمَا اسْتَرْزْتُ - تَحْتَ الْبَارِحِ <sup>(٢)</sup> الْخَصْ  
الرَّحْبُ، وَمَا أُيْتُ شَارَ بَدِ الْعُلَيَّا نِيْمَا حَتَّى إِلَيْهِ، وَخَضَعْتُ عَلَيْهِ، مَا نِيَهُ جِلْيَةُ الْفَخْرِ، وَكَلِمَةُ  
الدُّمْرِ، أَنْ أُسْتَفْعَ بِابِ الْكَاتِبَةِ بِالشَّمَاعَةِ، وَالْفَجَّ لِحَرْقِ الْخَاطِبَةِ فِي الْمَنَابِقِ بِهِ، وَبَيَّنْتُ  
لِجَدِّ زَمَامِ الطَّلَبِ، وَحَرَمَةِ الْوَدِّ وَالْإِدْبِ - مَا اسْتَفْعَرْتُ لِنَفْسِي بِهِ أَنْ أَعْدَمْتُ فِي خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ نَلْمِي،  
مَقْدَمًا خَرَقْتُ بِهِ - دَلْبَةً الْإِسْتِصَارِ لِجَيْهِ لِيَأْبِي، وَدَنْ أَنْ أَرْمُ إِلَيْهِ كَلَامِي، وَمَعُونَتِي نَامَ حَبْدُهُ

١. يُشِيرُ إِلَى أَشْأَلِ الْمَشْهُورِ      الْمُرَادُ الْحَذَبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ

٢. زَمَامُ الْبَارِحِ      رَجْعُ شِدِيدَةٍ



وَأَسْتَيْتَظَّ حَبَّةً تَتَسَكَّرُ الزَّمَانُ لَهُ وَأَشْرَبَ الْإِيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ زَيْتَابٍ سِحَايَةٍ عَمَتْ عَلَيْهِ ، وَ  
عَقَابٍ بِرَشَايَةٍ دَسَتْ إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَاءٍ حَرْبٍ لَهُ يُجَنِّوُهَا ، وَآلٌ فِي الْأُمُومِيَّاتِ أَحَبُّبَتِهِ  
وَالْجَدِيدِ عَنْ مَسْقَطٍ ، أَسَهِ ، وَمَحَلِّقٍ نَمَائِطِهِ ، عَلَى ضَيْقٍ حَالِيٍّ وَضَعْفٍ احْسَانِيٍّ  
وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَهُ خَيْرُ الْحَاجِبِ إِلَّا مَوْلَدًا ، وَعَلَيْهِ إِلَّا نَشَاءً ، وَأَنَّهُ مَوْلَا يُحْيِدُ شُكْرَهُ  
رَبِّهِ بِهِ ، وَنَشْرُ حَمْدِهِ وَلِطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَاهُ اللَّهُ انْزَارَةً - وَفِي بَاعِدَائِهِ مَلَكٌ  
نَامِيهِ الْخَشَمُ ، وَأَتَايَ بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَمْعِهِ الظُّلُومِ ، بِالْبَاسِيَةِ مِنْ جَمِيلٍ ، أَيْهِ بِمَعْرِكَ مَنَّهُ  
وَأَيُّوَاهُ مِنْ شَرِيعَةٍ رِضَاءٍ مَا حُتَّى عَنْهُ وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُنْفِ الَّذِي لَهُ يَرْكُوكَبُ سَحَابُ  
الْأَمْنِ ، وَلَا تَلْقَى لِنِسْبَةِ حَيَاةٍ الْإِنْسَانِ ، فَإِنَّهُ سَمَا بِدَلْفَتِهِ مِنْ احْسَانِيٍّ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي  
شَأْنِهِ مُسْتَجِرِلٌ تُشْكِرُ مِنْ انْفِوضِهِ لِسَانٌ وَاسْتَقْلَّ بِهِ بَيَانٌ وَدَعَا إِلَى الْفَضْلِ وَالْحَبْرَةِ  
سَنَهُ كَرَمِ الْفِعْلِ ، وَاللَّهُ بِبَقِيَّتِهِ وَيُتْلِيهِ ، دَمْعُ حَسْبَةٍ وَخَسْبِي فِيهِ . وَلَمَّا الْهَرَدَ هَذَا الشَّرُّ  
لِحُسْنِ النَّسَانِ ، وَلَدَيْهِ مَذَاقِهِ ، فَزَتْ النِّظْمُ رَاحِيَةً جُذِبَ لَهَا بِعَيْنَاتِهِ ، وَمَا رَضَتْ بِهَا فِي بَيْدَانِهِ  
وَأَبَتْ أَنْ يَفْزَعَ الشَّرُّ لِيَفَادَ الْحَاجِبِ دُشَانُونَهُ ، وَلَسْتُ بِدَّ بِأَنْ نَاسَجَ غُرَّتَهُ وَتَحَدَّمَ بِالْحَضُونِ  
كَحُضْرَتِهِ نَأْتَبْتُ سَنَهُ مَا أَنْ أَلْعَمَ عَنْهُ لَتَصْنَعِهِ بِالْقَصْفِ مِنَ الزَّلْزَلِ الَّذِي لِحُضْرَتِهِ فِيهِ وَالْخَلَلِ الَّذِي  
يَسْبُدُ مِنْهُ ، وَصَلَّ السَّخْمَةُ بِمَثَلِهَا وَتَرَكَ الْعَارِفَةَ بِسُكْرِهَا

لِبَقَايَ - مَذِينٌ عَنَى - لَمَعُ //

لِبَيْضِ الطَّيِّ وَلسُودِ اللَّفَمِ

فَغِي نَاهِرِي - عَنْ شَارٍ - عَمِّي      وَفِي أَدْنَى - عَنْ مَلَامٍ - صَمَمٌ "

تَضَتُّ لِشِمَاسِي - عَمَى الْعَادِلِينَ      شَمُوسٌ مَكَالَّةٌ بِالظُّلَمِ

مِمَّا سَنِعْتُ لَحَطَاتُ الْحُبِّ      نِ الْاَلْتُخْرِي بِالشَّفَةِ

لِمَوْمِ الْخَلَى عَمَى أَنْ أُحِبُّ      وَمَعْدُ نَوْجِ الشُّوقِ رُبْعِي بِدَمٍ

وَمَا زُوِ التَّذَكُّرُ مِنْ يُلَامٍ      وَلَا لَوْمُ الْعَوْدِ مَا يُدْمُ

وَإِنِّي إِذَا مَا الْحَبْسُ      بِي رَاحَتِ بِرَبِّاً جَنُوبِ الْحَلَمِ

وَاصْبُو لِحْزَانِ عَيْنِ الصَّبَا      وَاصْبِي السَّلَامُ إِلَى «زِي سَلَم»

مِنْ طَرَبٍ مَا دَ لِحْوِ «الْبُرْدِ»      قِي «أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ انْبَسَمَ

إِذَا وَرَمَانٍ - نَضَى عَهْدُهُ      تَمِيداً - لِقَدَمَاءَ لَمَّا حَلَمَ

نَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ الْقَفَى      رَمَا الثَّمَلَ الْإِلْسُ حَتَّى انْقَرَدَ

لِيَالِي نَامَتْ عَيْنُ الْوَشَا      فَرَمْنَا رَسْمُ الرَضَى لَمْ تَنْهَ

وَمَالَتْ عَلَيَّ غُصُونُ الْعَمَى      فَاحْتَبَتْ ثَمَارَ الْمُنَى مِنْ أُمِّهِ

دَايَا مَا مَدَّ صِبَاتُ الْبُرْدِ      رَمَى الْخَوَاشِي صَوَاحِبِ الْإِدْمِ

كَأَنَّ «أَبَابِر» الْإِسَامِي أَخْبَرِي      عَلَيَّهَا فِرْنَدُ الْكَرْمِ

وَرَسَّحَ رَسْمُهُ ذَاكَ الزَّمَانِ      لَهَا حَاءٌ مِنْ رُسْمِ ذَلِكَ الشَّيْخِ

مع الحبيب المعالي لعل  
 شمعاً يخب كل منيف أشم  
 ملك - إذا سالتته الملوك  
 حوى الخصى أو سافه سهم  
 ناطولهم - لا يارى - بدأ  
 ما أثبتهم - فى المعالي - قدم  
 وأردع، لا معنى فيه  
 كخب، ولا حارة ليخضم  
 ذلوك الدماثة صعب الإباء  
 ثقيف العزم إذا ما انترم  
 سما لمعبرة - فى أمورها -  
 نبراً ملبجاً ذلوك الهمة  
 رماست - إذا خن بك العجاج  
 سرى منه فى كنجيه بدوتيه  
 نشام السيوف بهام العفاة  
 دروى المناهى لغوا البهمة  
 جواد زراه سطات العفاة  
 ديناة تكن الندى السنالم  
 يرحج التزال به والسوا  
 ل لبنا مصوراً وجرأ خضم  
 شيعتنا، لا فى مصل الخطار  
 وحق لفضل النوى والجلد  
 وصل نأت شئ من المكرام  
 حوى السيف لطلبه والعلم  
 مستحمر بآريم الفعا  
 ل يغوا - إذا ما اللهم استده  
 شعايل تهجر منها الشمول  
 دىفى لحامشجيات النعم  
 على الرضى رراه بروق  
 وفى الميال لبيب ارجح ليشم

البؤة الذي غرّب الضلالِ      ولأدم شعب الهدى ناناؤه  
 ولا ذبّة الذنب مستحصياً      بدمه أبلج داحخ الذمه  
 وحامد - في الله - حق المجها      دمن دان - من دونه - بالقنه  
 فلا ساي الطرف إلا أذك      لا شايخ الألف إلا عنم  
 ثقيل في العز - من حبير      نقارل عزوا كبيع الأمم  
 دعه لحسنو الملك متى استقل      دعه اظلموا الخطب حتى اظلم  
 لجوم صدى - د المعالي بروج      وأسد ونح والحوالي أحيم  
 «أبا بكر» اسلم معي الحارثات      ولا زلت - من ربها - في حرم  
 ناديك - من ميقه - عهدما      كما دشن الروض أبدي الرصف  
 وان بعدني عنك شحط النوى      فحظي اخسن ونفسي ظلم  
 وإني لا صفيك تحض المرحوى      وأخني - ليحديك - بروج الألم  
 ونيرك أخفر روح الذمام      إذا مسن ظني عليه اذم  
 ومستشفع بي ، لبشرته      - على ثقه - بالمفاج الألم  
 وفيه ما اقلت السي الخيار      وحسنت - بالصفع - كما اخبرم  
 وعندي - ليشرك لظم العفور      تناسق فيها الاكي السوم

تَجِدُ لَفْخْرِكَ بُرْدَ الشَّابِ إِذَا لَبِسَ الدُّمُورُ بُرْدَ الْحَرِّ مُ

فَعِشْ نُعْصَمًا يَفْغَاغِ السَّعُورِ دُمٌّ نَاعِمًا فِي حِلَالِ النَّعَمِ

وَلَا يَرِلُ الدَّمُورُ أَبَامَهُ تَلَقَّ حَشَمٌ وَالشَّيَالِي نَدَمٌ

هَذَا الْمَرْثَاءُ الْحَاجِبَ مَا أَتَتْهُ الْقَوْلِيَّةُ مَعَ اقْتِضَائِهَا، وَأَخَابَتْهَا بِهِيَ الْبِدِيعَةُ  
عِنْدَ اسْتِغْنَائِهَا، وَالذَّمُّ "عَدِيلٌ"، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ، وَالرَّوْيَةُ مَاسِيَةٌ وَسُوفِ الْأَدَبِ  
إِلَاسِيَّةٌ - كَاسِيَّةٌ، وَلَوْ أَنَّ أَرْنَبُ - فِي النَّثْرِ - غَزَارَةَ عَمْرٍو، وَبَرَاعَةَ ابْنِ سَهْلٍ  
وَأَمَدَتْ - فِي النَّظْمِ - بِنَظْمِ الْبُخَيْرِيِّ، وَصِنَاعَةَ الطَّائِي (١٣) لَمَا دَرَّتْ - إِلَى  
الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا اخَذَتْ مِنْهُ، وَلَا ارْدَتْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا صَدَرَ عَنْهُ، وَلَا انْفَذَتْ مَا  
أَلْفَذَتْ أُولَئِكَ أَمْلَى بِنَبْطُ، وَكَحَلٍ يُغِيضُ، مَوَازِيَهُ مُوَفَّقٌ فِي أَنْ يَمْتَنِعَ مَا لَبَثَ  
الْأَمَلُ إِسْعَافًا، وَأَمَا ارْتَبَبَ الْخَبَلُ إِنْضَادًا، لِجَالِي الْأَحْسَانِ مِنْ جِهَاتِهِ، وَسَلَّكَ  
إِلَى الْفَقْلِ - طَرْمَانِيَةً - وَمَرَا جَعَلَتْهُ لِي مِنْ نَابِي لِبَهْدٍ كَرِيمٍ كَيُونُ كَحَلٍّ لَحِينِ الرِّضَا  
لَوْ حَيَّةَ الْقَوْلِ، أَقْبَى بِهِ مِنْ تَوَالِي النَّعَمِ عَلَيْهِ، وَاسْتِظَامِ الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ لَدَيْهِ  
عَلَى مَا تَبَرَّجْتُ لَهُ نَفْسِي، وَبِاسْتِظَامِ مَعَهُ عَقْدُ الشَّيْءِ، بِعِنْدِي خَبَأَ شَهْدًا، وَشَدَّ أَمَّا  
مُعَبَّرٌ وَمَوَادٌّ، دَرَدَا وَصَالًا الشَّكْرُ الْخَبْلُ، وَاتَّبَعْنَا الشَّاءَ الْجَمِيلَ، إِنْ شَاءَ الشَّاءُ

١. فِي الْأَمَلِ : « وَالصَّر »

٢. لَيْفِي الْإِسْمَامِ .

وَلِيَبْلَغْ مِنْ سَلَامٍ يُهْدَى إِلَيْهِ نَذَرٌ<sup>(١)</sup>  
 وَنَحْيَةٌ أَوْ لَهَا يُعْرَى دَاخِرٌ مَا عِنْدَهُ

---

١. النذر بالفتح دَكِيسٌ: الطَّيِّبُ أَوِ الْخَبِيرُ، وَفِي الْأَصْلِ: «يُهْدَى إِلَيْهِ لِنَفْسِهِ»

## متن رسالته إلى مدينته أبي عامر بن مسلمة

« دُكْتُبُ مِنْ تَرْجُمِهِ إِلَى ابْنِ مُسْلِمَةَ بِأَشْبِيلِيَّةٍ قَبْلَ

تَحْوَلِهِ إِلَيْهَا »

يَا سَيِّدِي دَائِمَ مَعْدِي ، وَأَوَّلَ الدَّخَائِرِ فِي مَعْدِي ، وَخَطَرَ عِلْقِي مَلَاتُ مِنْ إِيْتِنَائِهِ  
يَرَى ، وَمَنْ الْبَاهِ الْهَى فِي عَيْشَةٍ بِأَرْدَةِ الظَّلَالِ ، وَلَيْعَمَ سَاخِجَةِ الْأَرْبَابِ ، وَقَدْ تَقَاعَصَرَ  
الْتِّئَاءُ عَلَيْكَ ، وَأَوَّلَى الْحَرِيبِ الْحَسَنُ مِنْكَ ، حَتَّى حَلَلْتَ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ، وَكُنْتُ مُرِيدَ  
تَغْلِيهِ الْوَلَدِ ، وَتَبَاتِ الطَّوْفِ ، وَاللَّهُ بِمُتَعَلِّكَ بِهَا حَاذِرٌ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ ، وَنُفُوْهُ عَلَيْكَ  
مِنْ لُجْبِ الذُّرِّ .

فِي عِلْمِكَ - اَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا لَتَقْضِيهِ الْعُطْلَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَالِجِ ، رَصَدًا  
النَّفْسِ وَلِجْنِيهِ لِحَوْلِ الْمُنَامِ مِنْ اخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِرْحَاصِ الْمَدْرِ ، وَقَدْ أَنْ أَتَجَنَّبَ  
ثَمَرَةً مِنْ آدَابِ الْهَلْتِ الْإِسْنَاءِ بِهَا ، وَاخْلَاقِ أَدْنَتْ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، لَمَّا  
نَحَضْتُ الْمُلُوكَ وَحَبِثْتُ مُبِيرِمَهُ الَّذِي الشَّى " السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاعِي  
مَعَهُ دَالِغُ الْغَايِرِ لَبْدَهُ ، الْحَاسِبَ نَحْرَ الدُّوَلَةِ مَوْلَى أَلْهَالِ اللَّهِ بِقَادَةٍ وَكَلَبَتْ  
اِعْدَادَهُ ، وَمَا نَصَّهُ إِلَهُ بِهَيْئِ سِنِيَّ الْهَيْمِ ، وَسَمَاحَةِ الشَّيْمِ ، وَانْظَامِ  
اَسْبَابِ الرِّيَاسَةِ ، رَلَالِ آخِرِ الشَّيْخَةِ ، وَاجْتِنَاعِ الْمُنَاقِبِ الَّتِي اُنْرَدْتُ عَنْ التَّطَوُّرِ

وَأَعْلَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، نَرَايْتُ - قَبْلَ أَنْ أَهْتَمَّ لِغَيْرِهِ لَعْمَةً ، أَوْ أَدَسَ مَيْتَ  
سِوَاهُ بِصُنْعَةٍ - أَنَّ الْمَرْضَى لَنْفُسِي سَلَوَةً عَلَيْهِ ، عَرْضَ مَنْ لَا يُؤْمَلُهَا - لِجَارَتِهِ - إِلَّا  
بِالْمُسْحَابَةِ - وَلَا يُطْعَمُ لَهَا - فِي قَبُولِهِ - إِلَّا بِالسَّامَةِ ، فَلَوْ كُنْتُ الدَّالِيَةَ بِنُحْبَيْدِ  
بَرَامَةَ ، وَتَجَفَّرَ ابْنُ بَحِيٍّ بِرَغَةِ ثَرٍّ ، وَابْرَاصِيْمُ ابْنُ مُهْدِيٍّ طَيْبٌ مَحَالِسُهُ  
وَأَيْتَاءُ شَامِدَةٍ ، ثُمَّ حَقَرْتُ نُحْبَيْهَ الْعَالِي ، مَا كُنْتُ لِبَعَةِ إِحَاْلَتِهِ - إِلَّا فِي حَائِبِ  
التَّفْصِيْرِ ، وَكُنْتُ غَمْرَةَ النُّصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي نَجَابَتِهِ غَرَسُ الْبِدْ ، وَإِصَابَةُ  
حَرْقِ الْمَضْغِ ، مِنْ رَأْيَةِ إِنْخِلَاصِهَا وَلُصِغَةِ احْفَظْهَا ، وَشَكَرِ اجْنِبِ الْفَضْ مِنْ زُرْعَانِهِ  
وَتَنَاوَدَ اِمْهَدِي إِلَيْهِ الْعَطْرُ مِنْ لَفْعَانِهِ ، شَهْمَا مَا سَوَّلَتْ لِي مِنَ الْمَرْمِيَةِ فِي ذَالِكِ  
وَأَلْهَضْتُ بِإِعْبَادِ الشُّكْرِ لَهَا ، وَشَرَبَا اسْتِجَابِي وَلَا اسْتَدْعَا مَا يَثَلُ اسْبَابِي ، مِنْ تَدَلِّي  
الْمَبَادِرِ وَلَقَاءِ السَّكْفِ ، وَلَا تَنَادٍ إِلَى اسْرَةِ الْإِدْبِ ، فَإِنْ وَانْقَبَتِ الْمَسَاعِفَةُ الْإِرَادَةَ  
فَحِطَّ أَتْبَلُ ، وَنَبَذَ بَلْعٌ مِنْ قُبُولِ سَيِّدِهِ مَا اسْتَلَّ

وَلَمْ اَمْلُ - عَمِلْتُ لِي - كَمَا تَمَلُّ فِي النِّخْمِينَ ، لَمْ تَلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ إِلَهُ الشَّيْئَتَيْنِ »  
وَأِنْ مَأَى حِرْمَانٍ مَادَّةً أَنْ لُجُوقَ عَنِ الظُّفْرِ ، وَلِيَتَرَفَّعَ رَدْنُ الْأَمَلِ ، مَا نَلِمُهُ - آيَةُ اللَّهِ -  
إِنِّي فِي عَالِي الْعَطْلَةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالنُّصُوفِ - وَلِيَوْمِي الْإِنْقِطَاعَ وَالتَّصُوفِ « كَمَا لِمُهْدِيٍّ بِالْجَنِّمِ  
حِينَ تَمِيمُ زَمَاءَ رَسِيْمٍ الصَّخِيْدِ بَيْنَ لَوْ يَجِيءُ الْمَاءُ



فَإِنَّ الْغَشَّ قَوْمًا غَيْرَهُ أَوْ أَرَاهُ رَقْمَهُ      نَكَالُ غَشٍّ يَدْنِيهِ مِنَ الْإِلَاسِ الْمَحَلُّ

واللهُ يُبَوِّلُهُ بِالْفَسْحَةِ فِي عُصْمِهِ ، وَلاَ مَلَأَ دِرْإَمِهِ ، وَليَصْرِفُ الْإِمْدَارَ مَعَ ابْتِغَائِهِ وَ .

ليَصْرِفُ رُحْبَةَ التَّرْمِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَلكَ - يَا سَيِّدِي - فِي انْتِدَائِكَ مَا انْتَدَبُكَ

لَهُ مَا لَلَسَّائِ السَّجِّحِ مِنَ النُّكْرِ ، وَ لِمَجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْعَذَبِ ، يَلَاكُ الْأَمْرِ

تَقْدِيرِ الْمَرَاخِجَةِ بِالْجَوَابِ ، مَا سَكُنُ إِلَيْهِ ، وَالْجَوَابِ مَا عَنِيهِ عَلَيْهِ دَامَ دِي

الْبَيْتُ نَدَى الْخُفَّةِ النَّاصِرِ مِنْ سَلَايِ وَالْأَرْبَعِ الْعَالِمِينَ تَحِيَّتِي

## متن رسالته إلى المحتضد بن عباد

« وكتب إثر ذلك إلى المحتضد رقة يقول فيها : »

أطال الله بقاء الحبيب فخر الدولة - مولاي دسائدي دسولي المنايب الجيلة  
والضرائب النفيسة - في أكمل ما تملل له به من ملو القدر ونفاذ الأسر وأخطاه  
من النعم بإسجها سريلاً ، وأبرديها ظيلاً ، وأحمد صاملاً .

كنت - انزاله الحبيب - مولاي قد كتبت إلى الوزير أبي عامر عبده باليقنت  
أنه استرجى إليه ، واشتمل عليه . فكتب الوزير أبي لبض أسابه بالقوم مقام الراجعة  
لي بها يرفع من قدره ولا تتسبح له ساعة شكر لي على أنه من الحبيب . أيد الله  
صدراً ، ولعبه إزنيه . « كنهه والذي عداني عن أن يكون الكنايب في ذلك إلى الحبيب  
ألقاه الله - التأذب بأدب خفيان العبيد في الإجلال والإعظام ذلك الشبط و  
الامدام . ولما استغنت أدائك مطالب الانباغ كحضرة الملوك عن دسائط تهمة  
لها ولتحمده أوقات إركان بها ، لأن ما اتحدت إلى الحبيب - أدام الله علوه  
غير سيادته ذليلاً ، ادا التمس إليه إلا من نفاسة نفسه شفاعته ، وأنى عدنى  
ليثاي عن تقيو ظلاله ، والاعتصام بعبليه . وصناعة الآداب كاسدة إلا  
عليه ، وطريق الأسر ولا سوء ظن لبساحة شيمه ، بل لزوم الطريقة في التوطئة

يَلْبَطِبُ ، وَالتَّذَرُّجُ إِلَى إِخْوَارِ الْأَرْبِ ، وَحَسْبِي أَنْ أَكْلِي قَدِ ارْتَادَ الْحَبَابَ الرَّحْبَ  
وَلشَرَبَ الْعَذْبَ ، وَلَعَلَّ الْحَطُوطُ سَتَلَشَفُ ، وَالنَّوَائِبُ سَتُصَرَفُ إِلَى أَنْ الْعَبْدَ إِلَى الْبَدِ  
نَمَائَاتِ الْأَسَلِ مِنْ شَامَةِ حَضْرَةِ الْعَلِيَاءِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى غُرْبَةِ الزُّمَرِ ، فَوَاللهِ مَا  
يَنْصَرِفُ يَكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِفُ حِينَ مِنْ عُمْرِي ، إِلَّا نَحْنُ التَّكْرِهَ ، وَالشُّوقِ إِلَيْهِ ، وَالْمُتَوَلِّ  
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا قَدَمُ الْأَمْنِيَّةِ مِنْ سَهَابٍ تَتَمَلَّكُ جَنَائِي ، وَحَصْرِي كَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ  
الْمُشَامَةِ لِيَلَائِي ، فَإِنْ حَدَثَ ذَلِكَ فَعَنْدِي عُنْدُ «الفصل بن سهلٍ وقد انقطع  
بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ - نَعَالَ «يَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُرَافَةِ الْعَبْدَانِ تَمَلِّكْ قَلْبَهُ صَبِيَّةُ سَيِّدِهِ»  
وَسَيُفْضِي - بِمَشْمُوءَةِ اللهِ - إِلَى مَا لَيْسَتْ جِزْرُهُ الْحَائِبُ مَوْلَى مِنْ إِسَاءَةٍ مِنْ شَامَةِ  
وَلَيْسَتْ طَرَفُهُ مِنْ أَرْبٍ لَيْسَتْ طَلْحَةُ مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ ، وَجَمَالِ مُرَمَّبٍ ، كَمَا أَنَّي أَمَلَهُ  
أَنْ سَأَصِلُ إِلَى مَالِهِ أَسْفَدَ شُكْلَهُ مِنْ بَهَاءِ سَنَظَرٍ ، وَسَنَادِ قَبْرِ ، وَرِئْخَةِ شَانٍ عَظِيمٍ  
سُلْطَانٍ ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ نَهَيْتُ لِي مِنَ الْخَطِّ مَا أَثْبِتُ بِهِ مَا أَدْعِيهِ لِنَفْسِي مِنْ مُدْرِ  
الصَّغَاتِ ، وَأَنْجِزُ مَحْمَدَ مَا نَدَيْتُ عَنْهَا مِنْ طَبَقِ الْعِيَانِ ، تَخَوَّلُ اللهُ فِي ذَلِكَ كَمِيلُ  
وَهُوَ حَسْبِي وَنِجَّةُ الْوَكِيلِ ، زَادَ اللهُ الْحَائِبَ مَوْلَى مِنْ سَنِيٍّ قَسِيمٍ ، وَصَنِيٍّ لِقَمِهِ رَجْنَهُ  
الْخَالِيَةِ مِنْ أَمَالِهِ

« وكتب اليه ليه ان صدر من حضرته الى قرطبة رسالة يقول فيها: »

اطال الله لبقاء سولاى بلنعم ليجوتها رالآمال ليصيرتها <sup>(١)</sup> والمن يقد صاوا لاجرا لسنيتها  
 ليله الذى اسالة انوار سولاى رابلا اميره ، وصيلة ناييه . وتلين نصير الحف لم  
 رلك سندا نارت حضرتة الخيلة حضرة المجد والسيادة . ونخل الانبال والسادة  
 لهج اللسان با حباي من ثيار الحلفة والنخعة . واما دني من عقه الادب والشب  
 نعم كية حاسيد تصدعت ، والناس سانس لتطحت . ونام البال السنت باله  
 وتتمن ليالي طالما تمتت حاله . وثما مال ادى مكانه منه . وارى اذل ندبة  
 من الخصوم به . تحسنة الكواكب في اشرافها . وتعيشه اليه الراني من اطرافها  
 لعبيره ما تخفض . ويبسط من المليم ما الشفن . ولا يغيره التقلب في ليميه  
 ولا غلاق بأسباب زينه . بجبره كرميه . ومانت من نردى . أعزّه الله - اشارة  
 بل عبارة اغد رنها طليعة لسعود منراى طلقا ، دقة مات لسراى تتوالى تسقا  
 نلما لحق الجسد لجه تركه النفس لديم . والبراءة منها اليه . بالطن الذى  
 اسلاى عنه . واسنى الى العيص منه . تأتيت من طاميه المقرة بطاعة الله  
 فى لنسي سلكيه لما أنا منها به سافس منه . ساعفت الارب . واسمعت المطالب

١ . وفى نسخة الذخيرة المنقولة عن نسخة المنقولة عن نسخة المغربية : « ليصيرتها »

وَلَمْ يَرِيحِي لَعْنُهُ وَحَبِي حَادِلُهُ ، وَلَا عِدَائِي تَلَيُّرَ اسِرِنَا وَلُتُهُ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةُ  
 تَسَدُّعٍ بِاعْتِرَاضِيهَا الْاِعْتِدَارُ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَادِرُ أَمْرُهُ ، دِيْتَجِدُنِي الْخَرْلَةُ  
 إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسَازِلُنْ لِأَنَّ الْإِذْنَ لَعْبَهُ عَهْدُهُ رَلَّانَ الْمِيعَادَ لَمْ يُكَلِّهُ عَقْدُهُ  
 بَلْ تَجَسَّبَتْ أَنْ اِدِلَّ شَبْرُكَ الْمَشَارَفَةِ . اِدْأَخِلْ بِرَسْمِ الْوَأَسْرَةِ ، فَلَمْ دَلَّي الْعُلَّةُ  
 فِي أَسْرِ الْمَسَاحَةِ مِثْلُهُ بِمَرَايَعَةٍ اِعْتَمِيَةٍ عَلَيْهِا ، دَاخِثِيهِ فِي الْاِنْشَوَاءِ إِلَيْهَا  
 دَالَهُ يُبَلِّغُنِي الْاَسَالَ مِنْ وَفْدِهِ بِبُضْرَتِهِ ، وَلِنَظَرَةٍ إِلَى عُثْرَتِهِ ، وَلَقَبِيلٍ لِرَاحَتِهِ وَ  
 تُصَرِّفِي فِي سَاحَتِهِ ، نَحْوَ الْمَالِكِ لِيَذَلِّكَ ، الْمَابِءُ عَلَيْهِ .

---

## متن رسالته الأخرى إلى المحتشد

«وله من رسالة حذف البرالحس منا أكثر مما ولم يذكره لا قطرة من دابل

او لنشة من سحر بابل، وما أنا شتهما على تواليتها، إشارة لحسن عانيها

واستفارة من سنى اربه نيهما، رضى « : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أُرَاهُ أَعَدَّ عُدِّي ، وَأَخَصَّ حُبِّي ، مِنْ رَزِينِي ، مِنْ ابْقَاءِ إِلَهِي فِي أَصْلَحِ  
الْأَحْوَالِ ، وَأَفْضَحِ الْإِسَالِ .

أَبْرَأُ جُرْحِي كِتَابِي إِلَيْكَ لِتُشْرِحَ الْضُرُورَةَ الدَّافِئَةَ إِلَيَّ صَنَعْتَ بِمَا لَحَنِي أَنْتَ  
صَدَّكَ الْأَمَانُ بِي عَلَيْهِ ، وَادَّلَكَ السَّفِيهَاتِ الرَّأْيَ فِيهِ ، مِنْ أَشَالِيهِمْ وَلِيَّ  
لِشَجِيٍّ مِنَ الْخَلْقِ ، دَمَانٌ عَلَى الْأُمْلَسِ مَا لَقِيَ الدَّيْرُ .

وَأُدْسَطُهُ بِمَا تَبَيَّنَ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ النِّصَالِكِ عَنِّي ، وَبَرَاءَتِكَ مِنْ أَكْدِ الْخِيَانَةِ  
وَأَنْتَ لَمْ تَكُنْ فِي دِيَارٍ وَلَا صَدْرٍ مِنْ شَأْنِكُنِي فِيهَا ، وَلَا مَاتَ لَكَ نَاقَةٌ وَلَا حِمْلٌ فِي  
مَظَاهِرَتِكَ لِي عَلَيْهِمَا ، مَعَ الْقَدَرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذَلُّلِ صَعْبِهَا  
وَتَلْسِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، نَأْرِي صِدْقَ الْحَدِيثِ وَمَا ذَاكَ خَبْلًا يَفِي  
لِدُخَايَ عَلَيْكَ بِالْإِنْصَادِ أَنْتَ عَيْنِي (وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي) غَضَّ أَحْبَابِيهَا عَلَى الْقَدَرِ<sup>١٠</sup>

١٠ ابن بسام

١١ جملته «وليس من حق عيني» ساقطة من الأصل ، وقد أثبتنا صلا لأن السياق يجمعها ، وهو

ليشير إلى قول ابن الرومي : «أنت عيني ، وليس من حق عيني غرض أحبابها على القدر» (١٠)

وإِنَّمَا يُعَانَبُ الْأَرْدِمُ ذَرَّ الْبَشَرَةَ<sup>(١)</sup> ، وَالْمَثَلُ الشَّائِرُ : يَبْقَى الْوَرْدُ مَا بَقِيَ الْخَطَابُ وَقَالَ الْأَخَرُ :

الْبَلْعُ بِالْإِسْمَحِ مِنْ تَخْلُفَةٍ      وَفِي الْقِتَابِ حَبَاةٌ بَيْنَ أَتُومٍ

وَأُخْتِمُهُ بِتَطْيِيفِكَ مَا مَاتَ سَبَبُ الْكِنَابِ ، وَالرَّاحِي إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ تَتَلَّافِي

مُورًا ، مَا صُنِّعَتْ جُرْمًا ، وَتَهْتَبِلُ آخِوًا ، مَا انْغَلَّتْ أَوْرًا ، نِيْعُدُ عَيْثُ مَا انْفَسَتْ

وَأَنْ كُنْتُ فِي ذَلِكَ ، « كَمَا جَعَلَ وَنَدَّ عَلِيمُ الْأَرْدِمُ »<sup>(٢)</sup> ، مَعْنَاهُ الْمَوْتُ قَبْلَ الْعُطْبِ .

وَحَبْرُ الْأَسْرِمَا سَتَعَبَلَتْ مِنْهُ      وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَشْبَاعًا

فِي عِلْمِكَ أَنِّي سَعَيْتُ مُخَالَفَةً بِالْجَرَى ، رَمَوْا أَخُو الْعَنَى ، وَنَدَّ لَهَا مِنْ أَشْبَاعِهِ

وَذَكَرَ أَنَّهُ لِيُفْلِكَ عَنْ سَبِيلِهِ إِذْ لِيُقُولُ : « لَا تَبْجَحِ الْمَوْتَ فَيُفْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ الْآخَرُ

« إِذَا نَتَّ لَهَا لِعَصْرِ الْمَوْتِ مَا دَكَ الْجَوَى      إِلَى لَبْضٍ مَا مِنْهُ عَلَيْكَ مَقَالُ »

دُرْكَ نَأْنٍ تَدْرُكَ لَبْضُ الْحَاكِيَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْبَاتٍ تَوْسُنُ مَوَاعِدَةَ الزَّلْزَلَةِ نَحَهُ ، بَل :

« أَوْ رَدَّ مَا سَحَدَ وَنَعْدُ شَتَعِلُ » ، وَشَهْدَةُ ابْنِ الْعَشَّارِ الْعَارِي عَنْ الثَّقَةِ رَدَّ مَا نَعْدُ

السَّجِيهِ مِنَ الرَّمِيَةِ وَالصَّبَا نَعْدُ ، النَّاشِيرُ لَا ذُنْبُهُ طَعْعًا ، الْأَكْلُ بَيْدَهُ جِسْعًا كَانُ

« الْقَوْلُ مَا مَالَتْ هَذَا مِ » ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ بِالْشُّهُورِ ، وَصَوَّرَ مَا وَعَدَ مِنْهُمْ

١ ، المعانيبة : الماددة للأردم : لها معناه الذي عليه الشعر . أي إنما يعود إلى الدباء من الأردم ما سلمت

لشهرته ، وهو مثل يضرب في إمكان المواجهة والاستغاب وفي الأصل « وأما ليالك الأردم على البشرة »

٢ ، يضرب بلاسر الذي انتهى مناره . وذلك أن الجلبة إذا حلم أي منه إيهابه ورتج فيه ردد فنسب لم يرح له

أصله ٢ ، ويرد عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :

« فإليك والكتاب إلى على      كمد الجعة دند حلم الأردم »

دلون الجميع المصنف بحكمه، دون ان يلاحظ بذكرية ذي الشهادةين، دينوب  
منفرداً عن اثنين .

« لَيْسَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ . »

وليتنى مع من لا يحلُّ قوله على . اهدى في شهادته إلى . ولم يقترن الحشف مع سوء  
الكلية . وليستفي لي العدة إلى الموت في بيت سلوية . خطبتا خسف لم أر  
النساء منهما إلا ان كُتبت الحوي الاشهب . رايت خراسان مكان الشوق  
اوصي اقرب . وكان الموتى سجنى بعد شجر من إلفاده . له مجلس حضرة نعماء  
الحضرة من انيام لبسهاهم . حوى في غشيان الحكم بحراهم فذكر له انه اتهمني  
بالغيب على عهد الموتى مولاى - كان - لنفع الله صدهاء رجل ثراه . وثبت عنده  
مع ذاك انى تمن لىاله العيمه . ولا ترتفع عنه الظن . فكلهم افتى بالامذار  
إلى . فيما شهده به من ذلك على ثم سجنى ان لم ات بدمع . اواصده من الحجة  
بمقنع . ناحطاط داخلة . ونحوى داقتة . وصالحني من معيره الفنى على النصف  
بأخير الاغدار . ولتقسم الصلح . والصلح جائز بين المسلمين « ثم اظهرت إليه

١١ . جاء في رسالة عربى الخطاب منى الله عنه المباحة لأحكام القضاء التى ارسلها إلى ابى موسى  
الاشعري قوله : « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً » وفى الأصل  
والصلح جائز بين المسلمين «



عَقْدًا مَّا نَ الْمُتَوَقِّفَ مَدَّسَ إِلَهَ رُوحَهُ ، وَلَوْ أَنَّ ضَرْبَ حَقٍّ ، قَدْ أَشْهَدَ نِيَهَ أَنْ لَمَّا لَه ، وَأَنَّ  
 جَمِيعَ مَا تَحِيَّ بِهَ الدَّارُ الَّتِي لَوْ أَنَّ لَجَدَ مَعَهَا إِشْرَافًا فِيهَا ، إِنَّمَا مَوَالِي خَائِنَةٌ الَّتِي  
 فِي عَصَنِهِ ، حَاشَا دَمَائِقَ بَيْنَهَا ، وَنَحَقَاتٍ عَيْنَهَا ، وَنَحَلُومُ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهِ هَذَا عَلَى  
 لَفْنِهِ ، وَتَقْيَدَ بَيْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَمَّا لَ أَنْ يَخْلَفَ مَعَهُ ، وَبِهِ لَيْسَ بَيْنَ وَصِيهِ وَدَسَا لُنْهُ  
 الشُّورَى نِيهَا أَتَبَهُ مِنْ مَعَدِّ الْعَوْدِ ، فَلَمْ يَجِبْنِي إِلَى ذَالِكِ . وَلَوْ أَنَّ تَكُنَّ الشُّورَى  
 مِنْ أَدَبِ اللَّهِ أَرَيْتُ لَوْ : « دَسَا رُفُوعُ فِي الْأَمْرِ مَا زَا عَزَمْتَ نَنُومُ عَلَى إِلَه »  
 لَوَجَبَ أَنْ يَجْلِسَ أَتَمَّ الْقَاحِ الْعَقْلِ ، وَرَأَيْتُ الصَّوَابَ ، وَأَنَّ لَمْ يَشَارِبِ إِحْدَى الْحُسَيْنِ ،  
 صَوَابًا لَفَوْهُ بِمُحَمَّدَتِهِ ، أَوْ خَطَأً لَيَنَادُكَ فِي نَدْمَتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ

« وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً مَكَانَ الْخَوَافِ مُدَّةً يَلْفُودُ رِمٌ »<sup>١</sup>

قَدْ تَرَمَّتْ لَهُ الْعَصَا وَتَبَهَّتْ عَلَى أَنَّ الذِّي دَعُوهُ إِلَيْهِ ، لَا لَيْسَتْ رَفْعِي عَنْهُ ، وَلَا يَجِزُ  
 نَعْيِي مِنْهُ (٢) ، نَحْنُ نَذِي عَمَلِي جَوَائِدِهِ : كَمَا نَتِ مَوَاسِدَ مُرُتُوبٍ لَهَا مَثَلًا إِذَا نَطَعْنَا  
 مِنْهُ مَلَأَ بَدَا عَلَمٌ ، دَمَانٌ آخِرًا - الذِّي لَسَخَ بِهِ مَا ضَلَّهَ - أَنْ تَدْرَجَ الشُّورَى كَانِي  
 أَبْنَاءَ الشُّورَى بِالْمُورَثَةِ ، نَتَوَبُّ رَتَبُ مَعَدِّ الْحَيْنِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَجِدَ كَمَا يَرْجُو أَخُو  
 السَّنَةِ الرَّبِيعِ : دَلَا فِي لُحُونِ الْحَامِيَلَاتِ رَحَاءً .

١. البيت للشاعر ابن جرير

٢. في الأصل : « دَسَا عَلَى الذِّي دَعُوهُ إِلَيْهِ ، لَا لَيْسَتْ رَفْعِي عَنْهُ وَلَا يَجِزُ مَعْنَى مِنْهُ » وما أَتَتْ بِهِ سَائِرُ  
 مَا كُنِيَ أَنْ لَيْسَتْ بِهِ الْمَعْنَى.

«كُنْتُ دِيَّاهُ سَعَابَهُ مُحِيلٍ رَجَاعًا، فَلَمَّا جَارَتْهُ اسْتَهْلَتْ»

وفي نعل منها:

ولم اتصَّ عَليَّكَ يَا سَيِّدِي بِمَا أَجْلَبَنَّهُ إِلَّا شَهْرَ شُحْرَةٍ الْإِسْمِ وَكُفِّ مَحْرِفَةِ النَّسَبِ  
رَمَّا لِيُمْ حَلِيمَةً لِبَسْرِي، وَكُنْتُ أَدَلَّ خَبِيرِي قَدْ وَضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ تَدَجَّرَتْ  
الْعَارَةُ بِوَضْعٍ مَسْفُورِي النَّاسِ، وَدَوَّى الْهَيْئَاتِ مِنْهُنَّ مَنِيهِ، وَفِي النَّشْرِ خِيَانًا وَلَبُضَةً  
أَمْعُونُ مِنْ لَبُضٍ، فَعَسَيْتُ - مِنْ مَطَالِبَةِ لَبُضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاهِيُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَلَيْسَعُونَ إِلَيْهِ  
بِمَا انْتَهَى لَتْنِي إِلَى حَيْثُ الْجَنَاحُ الْمُنِيدُونَ، وَلِلصُّورِ الْمُنِيدُونَ، وَشَكَّرْتُ ذَاكَ  
إِلَى الْحَكَمِ الْخَالِيسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْوُهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ لَقْدَمٍ وَضَعَهُ، نَانَقَى  
سَهَ الرِّضَا بِهِ، وَالْمَهْرَ لَا مَنَاحَظَ مِنْهُ وَلَقْدَمَ إِلَى الْمَرَكَلِ بِالسَّجْنِ فِي اخْتِبَارٍ بِحَاسِبِ  
الْبَإِينِ مِنْهُ مَنْ لَا يَلِيْقُ بِي مَلَابَسَتُهُ، وَانْتَبَهَ عَمَّنْ لَا تَرْضَى لِي مَجَالِسَتُهُ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ  
أَنْ أَحْضَرَهُ مَحَلِّينَ لِنَظَرِهِ، وَأَمَرَ بِنَادِيهِ، عَايَ انْتِيَالِهِ فِيمَا أَسْرَهُ بِهِ، وَأُنْتَهَاهُ  
إِلَى مَا حَدَّثَهُ وَأَسْأَلَتْ الْعَهْدَ فِي التَّفْهِيمِ عَائِي وَنَجَّحَ مِنْ أَسَادَ صِلَتِي مِنَ الرُّسُولِ إِلَى  
نَا صَعِدَتْ إِلَى عُزْفَةٍ فِي السَّجْنِ انْتَعَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا، وَأُسْلَانِي عَنِ الْمَصِيفَةِ بِالْكَوْنِ

نَبِيَّهَا - عَلَى مَضَا ضَمَّتْهَا - الْفَرَارِي مِنْ لَغَيْفِ الْإِخْلَاطِ هَنْ السَّجِينِ مِنَ السَّنَلَةِ وَ  
 السَّقَاطِ . فَحَبْنِ اسْتَوَاثِي الْيَهَادِ هَدِ بِحَطَى إِلْيُجِيمُ وَخَلَطَى جِهْمُ ، دَوَّعِي بَيْنَهُمُ  
 نُنْفِلْتُ دَخَلَ إِيَّيْ فِي طَفْزِهِ لِحَالٍ مِنْ أَلْبَغَ إِيَّيْ عَنْ ابْنِ أُفَى الْحَكَمِ رِسَالَةً جَابِغَةً مِنْ  
 السَّبِّ الْفَاحِشِ فَنَزَعَهُ سُنْطَلَةً مِنَ الْوَسِيهِ الرُّصْبِ عَلَى صُورِيهِ بِأَلْوِذَاتِ سِيَرٍ لُطْمَتِي .  
 « وَإِنَّكَ لَمْ تَفْخَرْ عَلَيْنَا كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يُجَابِكْ شَيْئٌ مُخَلَّبٍ »

فَلَمْ اسْتَطِيعْ صَبْرًا ، وَعَاطَيْتُ أُتَى خَدَّيْ أَلْبَيْتَ عَذْرَاءً ، وَلَمْ يَبْقُ إِلَّا أَنْ يَحْذِرَ لِي لَيْسَهُ دَاكِرٌ<sup>(١)</sup>  
 رَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مِنَ الْإِسْبَةِ . فَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ ، وَلَهُ اسْتَحْجِزُ أَنْ أَلْوَكَ تَالَيْتُ  
 الْأَذَلَّيْنِ الْغَيْرِ وَالْوَتِيدِ ، وَكَرِهْتُ أَنَّ الْفَرَارَ مِنَ الظَّالِمِ وَالْهَرَبَ يَتَا لَا يَطَاقُ مِنْ سُئِنِ  
 الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ « فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَشَّكُمْ »  
 وَقَالَ الشَّاعِرُ : « لَا مَعَادَ لِمَا فِي الْفَرَارِ نَقْدُ نَزَّيْتُ الْهُدَى إِلَى الْغَاءِ »

وَلَنُظَرْتُ فِي مَفَاقَةِ الْعَرَفِ ، وَالْبَيْتِ مِنَ الْإِحْسَةِ ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْجَانِسَ لَفَيْي  
 بِإِيْنَانٍ حَامِي وَقَطْعِي فِي مَوَاصِلِهِ وَطَنِي ، تَنْبُنُ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوْثٌ فِي الْعِزِّ ، وَدَعْدُوتٌ

١ . لِشَيْءٍ الْخَانِ لَسِيْدٍ يُخَاطَبُ بِنَبِيِّهِ :

فَقَوْمًا نَقُولُ بِالْإِذْنِ مُدْعِلْمًا      وَتَخَشَّنَا وَجْهًا . وَلَا تَحْلُقَا الشَّعْرَ .  
 وَقَوْلًا : « عَوَالِدُكَ لَا خَلِيلَةَ      أَصَاحُ وَلَا خَانَ الصَّدِيقِ وَلَا غَدْرَ »  
 إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ أَهْمُ السَّلَامَ عَلَيْكَ      وَمَنْ يَبْلُغُ حَوْلًا كَمَا نَقْدُ الْمَثَدْرَ

الحدِيثُ عَلَى الشَّكْلِ وَرَأَيْنَاكُمْ عَلَى الذِّكْرِ. وَأُزِنْتُ إِلَى قَوْلِهِ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَدْرِ

لِسَبِّ. - وَإِذَا نَبَأْتُ مُنْزِلُ نَقُولُ. - فَقَالَ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أَحَدُوثَهُ      نَكُونُ حَدِيثًا حَسَنًا

كَمَا أَنْ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى      وَمَا مَدَّ مَعْنَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَلَّى رَأَيْتُ      فَكُلَّ مَكَانٍ رَأَيْتُ »

وَلَمْ أَسْتَغْرِبْ أَنَّ اسْمًا بِمَثَلِ هَذَا الْحُسْنِ فِي سَفْطِ رَأْسِي وَتَعْقُ « تَحْتَاجِي دَائِلَ أَرْضٍ

نَسَّ تَوَابَهَا جِلْدِي، نَعْدِيًا صَاعَ الْمَرْءِ الْفَاضِلُ فِي وَلَمْنِهِ، وَكَذَلِكَ الْخَبِيطُ فِي مَجْرِيهِ

فَالِ بَعْضُهُمْ

« أَضِيحُ فِي تَعَشَّرِي دَلَمَ لَجْدِي      يَجُودُ عَوْدُ اللَّيْلِ مِنْ حَظِيحِهِ »

مَا اسْتَفْذَرْتُ إِيَّاهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاضِحَ وَحْبِهِ الْعُدْرَةِ، ثَابِتَ شَاثِمِ الْحِجَّةِ، عِيْدُ مَنْ غَضَّ عَنْهُ

الْجَمْعُ. - وَخَزَنَ لِيَاكُ النَّعْشِ، وَإِلَهُ يَصِيبُ عَرَصَ الصَّوَابِ بِرَأْيٍ وَلِيَقْرَبَ غَايَةَ

السَّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مُبْغِيٌّ عَلَى مَنْسُوبٍ مَالِدَانِيهِ

إِلَى. - نَهْوُ الْمُؤْمَلِ لُذْلِكَ، وَالْمَرْجُوءُ وَلَعْمَكَ بِأَسَدِي إِنْ سَاعَةً «<sup>(٢)</sup> الْحَذَرُ لِنَصِيْقِ

١. المعق: الموضع الذي تعق أي تسق منه من الصبي النائم. ومنه قوله.

« يَلِدُ بِهَا عَنْ الشَّيَابِ تَحْتِي      وَأَوَّلُ مَنْ جَلَدِي تَوَابَهَا »

٢. في الأصل « إِنْ سَاعَةِ الْعُدْرَةِ » وفي ماضي « لَهَا سَاعَةٌ » وقد أنشأنا مكانها « سَاعَةٌ » التي هي على صدرها الخ لئلا يفسد المعنى.

عَنْكَ رَأَاكَ تَتَّبِعُكَ ، فِي إِسْلَامِكَ يَكْمِيزُكَ دَابْنُ حَبَارِكَ وَشَيْخَتِ  
الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُتَابِرًا عَلَيْهِ ، أَخْبَرَا عَنْهُ تُتَّبِعَانِيهِ مَعَ الْإِثَارِكِ مِنْ ذِكْرِ هَذَا  
وَلَا يَتَّبِعَانِي بِهِ ، وَادْعَا إِلَى الْجَفَلَةِ ، وَقَدْ رَزَيْتَ أَنَّ حَسَنَ الْعَمَلِ مِنَ الْإِجَابِ وَ  
سَيِّئَتِ الْمَنَلِ «الْفَرَاخَالُ ظَالِمًا أَدْمَطُلُومًا» نَالَمُودَ لَتِيْرًا بِأَخِيهِ ، رَأَاكَ مِنْ  
السَّيِّئَةِ الْجِدَّةِ ، وَاسْتَحْوَا قِيَّ الْجَهْدِ ، فَبَلَغَ لَفْسِي عَذْرًا شَيْئًا تَنْجِي ، رَأَاكَ فِي أَمْرِي  
بَلَّغَ الْعُذْرَ ، وَكُنْتُ مِنْ نَفْسِكَ مَلَمَّةً وَمَا خُذَ دَانِجٌ ، رَأَاكَ مِنْ نَفْسِي ، وَقَدْ سَبَقَ  
السَّيِّئَةُ الْعَذْلُ ، وَقَدْ تَمَّ مِنْ نِيَّائِي مَا خَفِيَ بِهِ الْقَائِمُ ، وَأَنَا الْآنَ سَبَّيْتُ أَيْتًا لِبَعْضِ الْوَلَدِ  
إِلَّا أَنْ زِيْرًا " مِنْ وَعَيْبِهِ سَقَطَ إِلَى بَابِ السَّيِّئَةِ لَمْ يَرْتَفِعْ ، وَأَنَّ مَادَّةَ السَّيِّئَةِ  
لَمْ تَنْقَطِعْ ، وَأَنَّ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْإِنْفِقِ الَّذِي أَحْلَى بِهِ  
وَالْجَنَابِ الَّذِي أَحْطَ مِنْهُ ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي طَهْرٍ مَا كَانَ أَشَاءَ لِي إِلَيْهِ  
لِبَعْضٍ مِنْ كُنْتُ أَوْ إِلَى الثَّقَةِ لِبَعْضِهِ ، وَأَبْنَى عَلَى الْعُشَانَةِ مِنْ عَمَلِهِ  
مِنَ الْمُقْبَرَاءِ الْمَوْسُومِينَ بِالْأَثَرَةِ عَنْهُ الْحَاكِمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ  
وَقَدْ عَاشَتْهُ عَلَى نَاحِيَةٍ عَنْ مَطَاوِرِي دَلْفُصِيْرِهِ فِي مَوْ أَرَزْنِي .  
فَاعْنَدَ مَا بَأْ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَلَا سَفْعَةَ لِلْحِيلَةِ مِنْهُ إِذَا الْخَرَضُ عَلَى لَا

تَتَأْتِي مَعَارِضُهُ ، وَلَا يَنْجُوهُ إِلَّا سِتْبَهُادُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ وَصَفِي بِالْبَهَادِ دُعَانِي بِالنُّسْلِ

مَا لِي الْأَعْرَاضِ ، وَاللَّهُ مَا اسْتَخْبَرْتُ مِمَّا لَجَدْتُ أَنَّ مَنَّا مِنْ سِيَرِي مَاسِنَتْ  
وَأُتْرَفَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مُخَذَّرًا ، أَلَيْسَ مَصْدُورًا ، نَكَيْفَ تَبْلُ ذَلِكُ إِذْ لَمْ  
يَحْدُثْ سَبَبٌ وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَا لِي وَمِمَّا الْمُجْتَنَى لِمَا لِي بِأَد  
«سَتَلْتَبُ شَرًّا ذَنَّهُمْ وَلِيَالُونَ ، وَلَيْسَتْ لَهُ بِكَرِيمٍ السَّمَاءُ أَيْمُ الْخَبِّ  
دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْمَصَادِ لِحَاثِهَا .

«مَا لِي ، أَيْتُ غَوَاهُ الرَّجَا لِي لَا يُرْلَوْنَ أَرِيًّا صَحِيحًا ،

==

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِيْنَ لُسْلَقُ سَمَاعِيَّةُ بِالْبِسْنَةِ حَدَارِ

وَمَا سِيَرِي :

لِي لَجِبِ الْمَادِ خَلْفِي شَرِي كُنْتُ كَالْظُهُمَانِ بِالْمَادِ سِيَرِي

وَاللَّهُ مَا لَمْ تَقْعَتْ أَتَى أَدْنَى بِيَمْنُ أَدْنَى سِيَرِي مَعَ النَّصَالِي بِهِ

وَالْفَيْطَاغِي إِلَيْهِ وَالسَّامِي بِالْبَنَائِيلِ لَهُ ، وَالتَّحْوِيلِ عَلَيْهِ ، إِنَّ الْمَعَارِفَ

فِي أَمَلِ النَّهْلِ زَيْمُ

وَكُلُّن :

إِذَا مَا نَ غَيْرُ اللَّهِ - يَلْمُرُ - عُدَّةُ أَتَتْهُ الرُّزَايَا مِنْ دُجُوهِ الْفَوَائِدِ

لَفَدَ كَأَن مِّنْ حَاسِنٍ الشَّبِيرِ ، وَشُرُوطِ الرُّودَةِ وَالْكَرَمِ أَنَّ يَهْبِ لِحَاكَ الْكَرِ  
 لِمَا عَرَفَ ، وَيُغْفِرَ مَا سَخِطَ لِمَا رَضِيَ ، رَبِّهِ فَتَحَ بِلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَلِيُذْخِرُ الَّذِي  
 صَوَّأُجَلُّ دَارْفَقُ ، وَيُوَقِّفَ عَلَيْهِ مَا لَعَنَ لَهُ مِنْ سِعَايَةٍ رُفَّتْ إِلَيْهِ  
 مِنْ رِشَايَةٍ فَإِن كَانَ بَاطِلًا أَلْمَاءُ ، وَنَضَحَ الْخَيْرَ التَّقَرُّبُ بِهِ وَأَنْصَاهُ  
 وَإِن كَانَ حَقًّا صَبَرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْنَى إِنْخِصَاءَ الْكَلِيمِ ، وَفِيلَ رِجَالِهِ  
 الْمُحْتَبِ ، وَإِنْ تَصَدَّ فِي مَوَاقِفِ الْمَذْنِبِ ، نَفْعَتُ النُّوْقِ ، قَبْلَ التَّثْقِيلِ  
 وَالتَّلْهِيبِ ، نَبْلُ التَّارِيكِ فَإِنِ الرَّفَقَ بِالْجَانِي عِيَابُ وَالْحُرْلُجِي  
 وَالْعَصَا يَلْعَبُ بِهِ

وَلَسْتُ بِمُسْتَنْبِقٍ إِخْلًا تُلْمَةُ عَامِي شَعَتِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَذْنِبِ ؟  
 دُورِي دَلِيسُخَ أَنَّ بِالْحَضْرَةِ ، وَمَا لَا يَحْصُرُهُمُ الْعَدُوُّ تَحْتَمِلُ سَقَطَاتِهِمْ  
 وَلَخَفِيرُ صَفْوَانُكُمْ وَلَقَالُ عِزَاتُكُمْ

وَمَا شَرُّ اثْنَلَاثَةٍ أَمَّ عَمْرٍو لِيَصَاحِبُكَ الَّذِي لَا تُصْبِحُنَا (١)  
 وَمَا أَسْلَمُ أَنَّهُمْ يَدُلُّونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكْنَاهُ فِيهَا وَلَا يَمْنُونَ بِهِ لَعْنَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ  
 دُونِي بِهِ :

(١) أي ليس شر اثلاثه يا أم عمر الذي لا تسعينه لصاحبه وفي الأصل ١

« وما شر اثلاثه - أم عمر - لصاحبك الذي لا يصحينا »

بموا الحبة حتى تفضل العين انتها رضى ليصير اليوم يلبوهم سيدة

فان كانت مساحتهم ليسايفه سلفت احزرت منها الخط اى اذ لجمال  
 ادب فقه ضربت فيه بالقدح المعلى او يطفر لودر فما قصرت في الاجتهاد  
 عبر اتي حرمات النوف والامر بته ربه محته ماخاب الا لانه حاصه  
 فان كان ذنبى ان اكن مطفى اساء في سود القضا الى العذر

والله لقد اظهرت مدحه واضمرت لضعه دشمت على الصاعية له  
 وجريت بك الحيات الى اى لاف به اسفبه السالغ من بيا ددى  
 اليه السالغ من برور حمدى و اجنبه النض من ثمرات شكري واعدى  
 اليه الخطر من نفحات ذكرى لا ينفذ في النعيب اليه . الا صبا عاله  
 ولا يريه في القرب منه الا لبد عنه :

ما تى اسنه الى به ابن حنيه اذا الشزع اراه من الصدر الجدا  
 والذى احيته منك دلتى في الساعه اليه بك لعاذه محيا ذكرى  
 فراضيا في اسرى تخياله بالذى لا يسب عنه من ان الذى انقربه  
 لينفى نمايه ما لى العدر به . ولىا المولى به . نال بلاد اخواله  
 والغربه احد الشبا دين مال الله تعالى لا دنا كنا عليهم ان اقتلوا



الْفُسْلَةُ اَوْ اَخْرِجُوْنِيهِ دِيَاكُمْ مَا تَحْلُوهُ اِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ « رَمَالَ الشَّاعِرُ

« دَمِنْ لِيَتْرَبَ مِنْ نَوْمِهِ رَايَرُكَ يَرِيَا صَايَ مَظْلُومٍ مَخْبَرًا وَمَسْحَبًا

وَمَنْ نَقَّ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ هِيَ لِيَسِي كَلِي مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي إِسْ كَلْبَا «

وَقَدْ صَحَبْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ طَيِّبِي ، وَالذَّمَّ الَّتِي كَانَتْ مِجَارِي دَغِبْتُ عَنْ أَمَانَا

وَاحِدًا ، تَمْتَدُّ أُنَا سَهَا شَوْقًا إِلَى ، وَنَفْسٌ أَحْبَبْنَا خُزْنَا عَلَى دَاوَتِهِ يَرَى الْكَادَا

دَلِيْعٌ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي - نِيَادَمَا نَا سَجَابَةُ مَضُونَةٍ بِمُخْلَصٍ

وَالظُّلُومِ ، وَمَنْ قَامَتْ السَّمْنِي ، وَاسْتَوْجِبْتُ الْقَصْفَتَيْنِ ، وَلَكُنْ لِعَيْنِكَ الَّتِي تَدْخِرُهَا

عَلَيْهَا مَلِيَّةٌ نَائِبِي ، وَاسْأَلَهُ إِلَى كَانِيْسٍ وَلَسْكَينِ ، نَوَاجِيْنِي بِهَا فَاظْهَرَ بِمَيْتِ أَمَانَا

وَالْقِي الْعَصَا مَطْمِنًا طَايِنَ وَصَبْتُ خَشْرَ السَّنَرَةِ نَالَعَوَانُ لَا تُسَلِّمُ الْحَيْرَةُ « الْخَابِثُ

اَسْتَهَبْتُ إِلِيْهِ الْبَارِحَةَ ، أَعَايَتِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ الْأَرْضَ فِي مَطَايِيهِ وَلَقَرِيْتُ السَّلَامَةَ

فِي نَوَاطِينَهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى تَحْكُمَ إِلَهُ لِي وَمَوْخِرُ الْحَاكِيْنِ ، كُلَّ يَوْمٍ مَوْفَى شَأْنِي ، وَمَعَ الْبُيُومِ

نَعْدُ وَلَكَلَّ خَالٍ مُعَقَّبٌ ، وَلَدُجْمَا أَجَلَى ذَلِكَ الْمَكْرَدَةُ عَمَّا نَحْمَدُ ذَلِكَ بِأَسْبَغِي

فِي أَشْدَابِكَ يَا نَدَّ بِذَلِكَ إِلِيْهِ الْفَعْلُ ، وَلَا يَارِيَا قُرُوضُ وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ « لَا يَذْصَبُ الْخُفُّ

بَيْنَ النَّاسِ « وَالنَّحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرْدَرُّ عَلَى السَّيْدِي .

## خاتمة

عناية الباحثين والمحققين حول موضوع ابن زيدون وآثاره تدل على أنه كان في الحقيقة على المكان الرفيع من العلم والأدب وتكونه على المنزلة العليا إهتم الباحثون والأدباء بإصدار كتبهم القيمة . ونظن أن دب ابن زيدون قد أعانته على إشادة ذكره في الآفاق . كما كانت فنونه البارزة التي تمارس فيها ولادة حبه الداخلي لجيبته ولادة . وإن كان ذلك كله حظوا في نماءها وتنويعها إن حياة ابن زيدون الحاصنة وما اعتورها من علو شاهق، وانخفاض إلى الحضيض، إلى حبه الجارف وما تلون به من سعادة ونعيم وما غام عليه من قطيعة وحفاء، إلى شهره الخلاب الرائع ونثره الممتح الغائب كل أولئك كان مصدروا في كتاب القصة في العصر الحديث، فهاظف شاعر عربي إلى بيضاء إلى القمصان كما حظ ابن زيدون . وقلدت القصص عنه ما بين سرد تحليلي أو حوار مسرحي . وما بين سرد نثري أو نظم شعري . ومن المناسب أن نشير إلى ما وصل إلى علفنا أو رأيناه من هذه القصص بحسب ترتيبها الزمني .

(١) الوليد ابن زيدون مع ولادة : تاليف إبراهيم الأحمد الطرابلسي ، وهي مسرحية من ستة فصول طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٧م . ولم يند هذه المسرحية ولكن كور هو الذي حدثنا عنها ودخل فصولها . ولد ندرى أهي مسرحية شعرية أم نثريه وإن كان وصف كوريوحي بأنها مزيج من النثر والشعر . وأن المؤلف كثيراً ما يقتبس من شعر ابن زيدون .

(٢) غرام الشعراء : وهو فصول مسرحي شعري نظمها الشاعر أحمد رامي وسجلته الإذاعة وقد طبعه منفرداً ، ثم أعاد طبعه مع ديوانه سنة ١٩٥٠م .

١ ابن زيدون : لعل عبد العظيم  
٢ أيضاً لفتلاً عن IBNE ZAIDUN P.155  
٣ أيضاً لفتلاً عن ديوان رامي

(٣) ولادة وابن زيدون ، المؤلف عراقي، ولم نر هذه الرواية وإنما علمنا بها من كثير من إخواننا العراقيين، وهي بحسب وصفهم سردية تحليلية صدرت منذ بضع سنوات له

(٤) ولادة : مسرحية شعرية لشاعر معاصر، مكونة من أربعة فصول وستة مناظر، طبعتها لجنة البيان العربي بالقاهرة سنة ١٩٤١م<sup>٢</sup> (٥) هاتف من الأسلاك :- رواية نثرية تحليلية للاستاذ علي الجارم، سرد فيها المؤلف حياة ابن زيدون ولادة وما اعتور حياتها من نعيم وشقاء. طبعتها دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٤٩م<sup>٣</sup>

(٦) غواميات ولادة :- مسرحية شعرية من ثلاثة فصول وعلايد من المشاهدا ، نظمها الشاعر الأردني حسين سراج باشا، وأطبعتها مطبعة الحرية بالقاهرة سنة ١٩٥٢م<sup>٤</sup>

هذا ما وصل إلى علمنا من الروايات التي ألفت عن حياة شاعرنا، وقد يكون هناك غيرها غاب عنا. هـ .

محمد عبد الله

---

١هـ أيضا	٢هـ أيضا	٣هـ أيضا
٤هـ أيضا	٥هـ أيضا	

## المصادر و المراجع

ابن نايدون اثره وحياته وادبه :

عائى عبد العليم مكتبة الانجلو المصرية  
القاهرة ١٩٥٥

ابن نباتة المصري امير شعراء الشوق

ابن حزم (حياته وعصره) اساره وقصصه : محمد البوزهره ١٩٥٤

ابن نايدون الدكتور شوقا خيف دار المعارف ١٩٥٣

ابن حزم صورة اندلسية : الدكتور طه الحاجزى دار الفلوالعربي القاهرة

ابن زبيدون احمد الصبى

ابن حزم الاندلسى (المفاخر الظاهري) : الدكتور نكرويا ابراهيم الدار المصرية القاهرة

ابن عبد البر مآثره حياته وادبه الدكتور محمد طه حواس الدار المصرية

البيان والتبيين البعثمان عمرو بن جبر الجاظم بحقه

عبد السلام ماردن المطبعة الكاثر

لبيانية بيروت ١٩٥٩

البيان المغرب فى اخبار ملوك الاندلس والمغرب : ابو العباس بن عذرى المولى بن ج ٣

تحقيق جرومفنا لمدن مولدته ١٩٥٤

اثر العرب فى الحصار الادريه : عباس محمد هادى الحطار دار المعارف بمصر ١٩٤٦

الادب العربى فى اثار الدراسات : صالح احمد عاى وليد عرقاب جبرائيل جبور الطوف

خلاص عمر موزج مرسى سليمان محمد كامل حنين احسان عباس شكوى منبصل

محمد يوسف نجيه بيروت ١٩٦١

آداب المغاربة والاندلسيين : محمد رضا الشيبى

مرسى سليمان

الادب القصص عنه العرب

بلاستيك - مصر

الادب الاندلسى

الادب العربى وتاريخه

ارباب العرب (فى الاندلس ومصر لايعجات) لجوس البستاني ج ٣ بيروت ١٩٥٨

ألمها الملتون من الوسالة الحديثة لابن زبيدون مصطفى عتافى

- اعمال الاعلام : لسان الدين بن خطيب تحقيق ليغى بروفصال دار المشرق بيروت ١٩٥٦ م  
 الاثنى عشر على كتاب التمدن الاسلامى : شبللى نعمانى . كاخنود الهند ١٩١٢ م  
 الاسلام فى المغرب : محمد صلاح الدين حليمى والدكتور السيه محمد عبد العزيز  
 الاسلام والعرب : روم لاند ترجمه منير لعلباي . بيروت ١٩٦٢ م  
 الاسلام فى غوضه الاندلس . احمد مظهر العظمه - قاهره ١٩٥٩ م  
 الاسلام فى الاندلس : حموده على محمد  
 الاسلام فى اسبانيا : عبد البديع الحفى . قاهره ١٩٥٤ م  
 بحيه الوياه : جلال الدين سيوطى قاهره ١٣٢٦ م  
 بحيه المناس : احمد بن يحيى الضبى طبع فى مدينة لجريلط بطبع اندلس ١٨٨٢ م  
 بلاغه العرب فى الاندلس : الدكتور احمد ضيف مصر ١٩٢٤ م  
 بنوعبار باستنطبيه : عبد السلام احمد الطور  
 تاريخ الادب العربى : برد كلمات الامالى دار المعارف قاهره ١٩٧٧ م  
 تاريخ الادب العربى : الدكتور عمر فورغ ج ٤ بيروت ١٩٨١ م  
 تاريخ الادب الاندلسى : الدكتور احسان عباس بيروت ١٩٧٤ م  
 تاريخ الادب العربى : ابراهيم على ابو الخشب مصر ١٩٦٦ م  
 تاريخ التمدن الاسلامى : جري شريان مطبعة الهلال القاهره ١٩٣١ م  
 تاريخ اسلام  
 تاريخ علماء الاندلس : ابو الوليد عبد الله بن يوسف الخزرجى دار المعارف بيروت  
 تاريخ الاندلس فى عهد الموالطين والموحدين - يوسف اشباخ ترجمه محمد عبد الله  
 عنات لحبه النايف القاهره ١٩٥٨ م  
 تاريخ العرب : فليب حنى ترجمه اروارد جريجى والدكتور جبرائيل جيبو - القاهره ١٩٦١ م  
 تاريخ قضاه الاندلس : البولحسن عبد الله الشباخ تحقيق ليغى بروفصال بيروت لبنان  
 تاريخ العرب الادبى : رينولد كلس . ترجمه الدكتور صفاء خاص - بغداد ١٩٧٠ م  
 تاريخ العرب باسبانيا : محمد كيب رباب . مصر ١٩٠٣ م  
 تاريخ العلماء والرواة للعلماء الاندلس : الحافظ ابو الوليد عبد الله بن محمد بن  
 الخزرجى المعروف بابن الفري ١ - ٢ - تحقيق السيد غوث الطاهر  
 الصين قاهره ١٩٥٤ م

تاريخ الفلاندلس : انخل خينثالت بالشتيا - ترجمه حسين مونس - مصر الطبعة الاولى  
تاريخ العضة والنقد في الارب العرب : السباي بيوى - مصر سنة ١٩٥٦  
تاريخ سلع اسبانيا - زونى - ترجمه الدكتور حسن حبشى وجمال مجز رنقتا عبادى  
تاريخ المغرب العرب : سعدى علول - مصر  
توسيع المدارك -

تراث الاسلام - لجماعة من المستشرقين ترجمة لجنة الجامعين لنشر العلم ١٩٣٦  
التكملة لكتاب الاصله : البوسيدى محمد بن الجى كبر القضاى المحروف ابن الابار  
نصرة الحكام : ابراهيم بن على بن فرحون  
تاريخ المنون : مخطوطه صلاح الدين الصفدى  
تكملة التكملة : لابن الابار - تحقيق المستشرقى قدس سره  
التوسيعات الاعلامية : احمد مختار - بشتا  
شوات الارفاق : لابن حجة الحموى  
حذوة المقبلى : محمد بن فتوح الحميرى  
العلل السندية  
الحلة السيرا

حصانة العرب - غوستاف لولون - ترجمة محمد عادل - مصر الطبعة الثانية ١٩٤٨  
دوان ابن زيون : تحقيق كامل كليلنى وعبد الرحمن خليفه - تحقيق كرم البتاني  
نقشه صاار - بيروت ١٩٥١

الد - الكانة فى البيان المائنة الثانية - ابن حجر البستلى - دائرة الحافى .

العثمانية - حيدرا با - ١٩٧٢ - ١٩٧٦

دولة الاسلام فى الاندلس - محمد عبد الله عنات الجزار اول - القاهرة ١٩٩٣

الدخيرة : ابو الحسن على بن لبام - القاهرة ١٩٤٣

سايات المبرزين

رحلة الاندلس

رسالة النوايج والزوايج - احمد بن مروان بن شهيد الاندلسى تحقيق لطيرس  
السبائى

سلسلة محاضرات علمية في ادب الاندلس وتأريخها : ليفي برزفانل - ترجمة  
محمد عبد المكارى شحيرة

الشعور والشعر : ابو محمد عبد الله بن سلام بن قتيبة دار الثقافة بيروت ١٩٤٦  
الصلة : ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن لشكوال

صفة شبيهة خزيمة الاندلس : محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري  
لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٧

صبح الاغنى في صناعة الاشيا : احمد بن على الفشتندى الموسسة المصرية العاشر  
طبقات الامم : ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

اد السائل البشرية جرجي زبيلا بيروت دار

طوق الحمامة في الالفه واللاف : ابو محمد على بن خزم الاندلسي بيروت

نظرا اسلام : احمد اسين ج ٢ قاهرة ١٩٥٣

العقد الفريد : ابو عماد احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي تحقيق لشرليح

اد تصحيح احمد اسين واحمد النزين وابراهيم الانباركة الطبعة الثالثة

قاهرة ١٩٦٥

الحمد : ابن شقيق

العرب في اسبانيا : استاى لول ترجمة على الجاسم دار المعارف مصر ١٩٦٠

عريض السارية : الكتوب محمد ظهور الحق - دعوى ١٩٨٩

غابرو الاندلس وحاضره : محمد كورد على المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٢٣  
غزوة العرب في الاررجا.

فجر اسلام : احمد اسين مكتبة النهضة المصرية قاهرة ١٩٥٣

قصه الارب في الاندلس : عبد المنعم خفاجة الطبعة الثانية مكتبة المعارف

بيروت ١٩٦٣

قصه الارب في العالم : احمد اسين ونكى نجيب محمد النهضة المصرية

القاهرة ١٩٥٥

ملاطمة الحفيان : الفتح بن خاقان البوخرى مصر ١٢٨٤

- كتاب - يامن النفوس (في لحظات علماء القديرات وافر لقيّة ونقادهم  
ونسالكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم دار صادر - بيروت ١٩٥١ . الجليل  
عبد الله بن ابي عبد الله المالكى - تحقيق حين مرسل - قاهرة - ١٩٥١  
كتايب الاعمال ١٠٢ : البوالخرح الاصمهالى - تحقيق عبد الستار احمد  
فوانح بيروت ١٩٥٨
- الكامل : على بن ابي الكرم الشيبانى المحروم باين الاخير المحزى مصر  
المنهاج (في الادب العربى وتاريخه) عمود فونج بيروت ١٩٥٩  
عبد الارباب ٢٠٢ : شهاب الدين ابو عبد الله - يافوت الحموى - تحقيق  
احمد فريد رماى قاهرة .
- المغرب فى حلى المغرب : ابن سعيه المحرب - تحقيق وتعليق الدكتور شوقي  
صيف - مصر - الطبعة الثانية ١٩٥٣
- المقتبس فى اخبار بلاد الاندلس : ابن حياى - تحقيق عبد الرحمن على الحبيب  
دار الثقافة بيروت ١٩٦٥
- حارث العرب فى الاندلس . ليرس البشالى . بيروت ١٩٥٠
- مقدمه ابن خلدون : ابن خلدون بيروت ١٩٥١
- المقتبس فى تاريخ رجال الاندلس : البوروان حيان بن خلف المحروم باين  
حيات . تحقيق ادب طشورم الطرنه ١٩٢٧
- المحبب فى تلخيص اخبار المغرب - عبد الواحد المراكشى . ضبط لصحيح  
وتعليق - محمد سعيه العربان ومحمد الحربى العالمى قاهر ١٩٤٩
- المطبخ الافس : البوصرا الفتح بن خافان  
محاسن النساء :
- مسالك الابصار فى ملك الامراء - تحقيق الاساذ احمد ذكى باشا  
دار الكتب المصرى ١٩٢٤
- ملوك الطوائف - ديمى - ترجمه كامل كليل فى القاهره . ١٩٣٣ ولطراى  
فى تاريخ الاسلام .
- محبب النساء والاسراء المالكه فى التاريخ الاسلامى زامبا در القاهره ١٩٥١  
محبب اللبان يافوت الحموى - دار صادر بيروت ١٩٥٥



المسالك والممالك : أبو القاسم أحمد بن حوقل لابن خرداذبة مكتبته النسخ

خبردار ١٨٨٩

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي دار العلم للملايين ١٩٦٩

المفصل في علم العربية : زحمتري طبعة التقدم القاسم ١٣٢٣

المبسوط للسرخسي

المطرب .

سورة الحينات : الامام أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان النجاشي

البيهي المكي بيروت لبنان ١٩٧٠

المواهب الفتحية ج ٢ الشيخ حمزة فتح الله

نظرات في تاريخ العرب الاندلسي رجمونة محاضرات القاصافي الجامعة

المصرية كاميل كليلاني ١٩٢٤

فتح الطبيب من نصق الاندلس الرطيب : الشيخ احمد بن محمد المقرئ

القامصاني تحقيق الدكتور احسان عباس بيروت ١٩٦٨

خفاية العرب في معرقة قبائل العرب : أبو العباس احمد القلثندي

مطبعة النجاح لبيدار ١٩٥٨

نزهة الشناق : الشريف الإدريسي في انحراف الآفاق . راجع وصف

افريقيا الشمالية

خفاية الادب في فنون العرب : احمد بن عبد الوهاب النويري طبعة

دار الكتب المصرية - الطبعة الثانية ١٩٢٩ - ١٩٥٥

النجوم الزاهرة ج ٥ : يوسف بن تغري بردي . طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥

تسمية الاصبار والاسماء : للمولف مجهول

الخطبة الانسية

الخطبة الاحمدية : وخطرها على الاسلام - محمود الملاح - لبيدار ١٩٥٥

دنيات الايمان وانباء وانباء الزمان - ابن خلكان أبو العباس شمس

الدين احمد - تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٨

الواقي بالوفيات صلاح الدين خليل بن ايبك - باعقنا - ملصق يتروكيباوي

نرائز نساير ١٩٦١ / ١٩٦٢

مألف من الاندلس - علي الحارم - دار المعارف بمصر

ترجمہ خلیل الرحمان	اخبار اندلس اسکات
ڈاکٹر اشفاق ندوی	اسپین میں عرب کلچر
مولوی عنایت اللہ	اندلس کا تاریخی جغرافیہ
رباست علی ندوی	تاریخ اندلس
عبد القوی ضیاء پاکستان	تاریخ اندلس
نجیب شاہ اکبر آبادی دہلی ۱۹۸۹ء	تاریخ اسلام . حصہ سوم
سید اسیر علی	تاریخ اسلام
سید عبد الغنی دارفی	تاریخ اسپین
کوئٹہ ترجمہ مولوی محمد صدیقی	دولت ہسپانیہ
ڈوڑی . محمد عنایت اللہ	عبرت نامہ اندلس

1. ARAB-ANDALUSIAN CARIDOR  
HAROLD MORLAND PHOENIX PRESS 1949
2. ARABIC LITERETURE SIR HAMILTON GIBB. SEC. ED ~~RE~~  
REVISED - OXFORD UNIVERSITY PRESS 1963
3. A HISTORY OF ARABIC LITERETURE  
KRISHNA CHAITANYA MANOHAR  
PUBLICATION NEW DELHI 1983
4. A SHORT HISTORY
5. A SHORT HISTORY OF THE SARACEN
6. A LITERERY HISTORY OF THE ARABS
7. HISTORY OF THE ARABS  
P.K. HITTI, 6TH EDITION NEW YORK 1958
8. HISPENO ARABIC POETRY
9. HISTORY OF THE MOORISH EMPIRE IN EUROPE
10. IBN-ZAIDUN - COUR
11. MOORISH EMPIRE
12. SPANISH ISLAM
13. STUDIES IN ISLAMIC MYSTICISM : R.A. NICHOLSON  
CABRIDGE UNIVERSITY PRESS 1921
14. THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM VOL I. A.B. LONDON
15. THE ARABS HERITAGE M.A. FARIS. PRINCETON  
UNIVERSITY PRESS 1944.
16. THE MOORS IN SPAIN